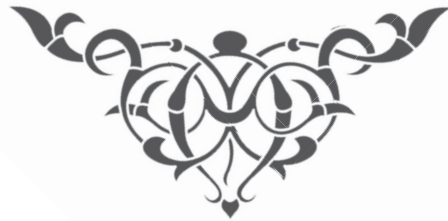




مَقَالَعُ بَحْثِ الْمُؤْتَمَرِ الْعِلْمِيِّ الدَّوْلِيِّ السَّنَوِيِّ الْعَاشِرِ لِفَكْرِ

الْإمام الحسن المجتبي عليه السلام



- الجزء الثاني -

البحوث الأكاديمية



العنوان: وقائع بحوث المؤتمر العلمي الدولي السنوي
العاشر لفكر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية - قسم النشر
الإشراف العام: السيد عقيل عبد الحسين الياسري
أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م. ضياء محمد حسن

الإدارة الفنية: م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي: علي عبدالحليم - احمد هاشم الحلو

عدد النسخ: ٢٥٠

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م



دار الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع

ISBN:978-9922-680-65-1

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مؤلف.
البحوث الأكاديمية المشاركة ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الدولي السنوي العاشر لفكر
الإمام الحسن المجتبي عليه السلام. الجزء الثاني. -الطبعة الأولى. - كربلاء، العراق : العتبة
العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، ١٤٤٥ هـ = ٢٠٢٤.
مجلد ٢٤ سم
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٨٠٣٦١
١. الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام، ٣-٥ هجري -- مؤتمرات. أ.
العنوان.

LCC : BP193.12 .A836 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة أثناء النشر

٢٣٩ ، ٢٠٦٣

م ٦٨٩ المؤتمر العلمي الدولي السنوي (١٠ : ٢٠٢٤ : كربلاء).

المؤتمر العلمي الدولي السنوي العاشر لفكر الإمام
الحسن المجتبي (ع) / المؤتمر . - ط١ - كربلاء : جمعية
العميد العلمية ، ٢٠٢٤ .

ج ١ (٣١٢ ص) . ٢٤٤ سم .

١. الحسن المجتبي (ع) - الإمام الثاني - مؤتمرات ٢. أهل بيت
النبي. أ. العنوان.

رقم الإيداع / ٢٠٢٤

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٥٢٠) لسنة ٢٠٢٤

المحتويات

٨	الشائعات ودورها في زعزعة الاستقرار في عصر الإمام الحسن (عليه السلام)	م.د. فوزي خيرى كاظم كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة
٣٢	تفسير الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) للقرآن الكريم في تفاسير المخالفين (جمع وتصنيف)	د. عمّار حسن عبد الزهرة وزارة التربية / مديرية تربية كربلاء المقدسة
٦٨	سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) من وجهة نظر مستشرقى دائرة المعارف الإسلامية	د. حيدر جابر عبد الربيعي الباحث يحيى شعيب السلطاني وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الأولى
١٠٠	شذرات درّية من الخطاب الحسنى الشريف - دراسة في تحليل الخطاب-	د. ريما حسين أمهر الجامعة اللبنانية / كلية الآداب والعلوم الإنسانية لبنان /
١٢٦	مناهج تفسير القرآن الكريم في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الإمام الحسن ودوره في تفسير القرآن أنموذجاً	د. زهراء علي دخيل دكتوراه في اللغة العربية وآدابها / الجامعة اللبنانية لبنان /
١٥٦	سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) في الفكر الاستشراقي	م.م. عقيل محمد صالح جامعة بابل / مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية
١٨٣	التربية النبوية وبناء شخصيه الإمام الحسن (عليه السلام) رؤيه سوسولوجية تحليلية	م.م. نور محمد خضير عباس م.م. زينب فلاح حسن جامعة بابل / كلية الآداب / قسم علم الاجتماع

١٩٨ التربية الأخلاقية على أساس
تعاليم الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)
الباحث محمد حسين قنடاق سازان
ماجستير في التربية الأخلاقية / ايران
الباحث نعيم حسيني
باحث في معهد دراسات الحضارة التوحيدية/ ايران

٢١٤ الرمز في الصورة الشعرية في
الآيات الواردة في كتاب صلح
الحسن (عليه السلام) للشيخ راضي آل ياسين
الباحثة زينب جميل عبد
ماجستير لغة عربية / أدب

٢٣٠ عقيدة الإمامة في خطاب الإمام
الحسن المجتبي (عليه السلام)
السيد يوسف البيومي الرضوي
لبنان

٢٨١ معالم قوة الشخصية في خطاب
الإمام الحسن (عليه السلام) -دراسة وتحليل
في نص خطبة (أخبركم عن أخ
لي)-
الشيخ حسن الجوادي
مركز الدراسات والمراجعة العلمية / العتبة
العباسية المقدسة

2 Analysis of
Metadiscourse Markers
in Some of Imam Al-
Hasan Al-Mujtaba's
Selected Religious Texts
Asst. Lect. Jaafar Hachim Malih
The Open Educational College/ Center of Thi-Qar
Asst. Lect. Salim Da'da'a Nayif
The General Directorate of Education in Thi-Qar

كلمة الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد أمينك على وحيك ونجيبك من خلقك وصفيك من عبادك إمام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام .. وبعد

الإمام الحسن عليه السلام كريم أهل البيت عليهم السلام وورث العلم عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين المرتضى عليه السلام، اجتمع فيه شرف الإمامة والحسب والنسب وهو السبط الأكبر وسيد شباب أهل الجنة وقد وردت في خطب الإمام سلام الله عليه وحواراته ومناظراته وأقواله، كثير من الحكم والمواعظ .. نهل منها الباحثون الأكاديميون والحوزيون والدارسون علومهم ومناهجهم، فكتبوا عن سيرته العطرة ومناقبه ومواقفه الفكرية، لدراسة المزايا اللغوية والأدبية في كلامه عليه السلام فضلاً عن دراسة المعاني التربوية والنفسية والاجتماعية والإعلامية في خطبه المباركة، وصولاً إلى ميادين التفسير والفقه والعقيدة لفهم القرآن والسنة النبوية في كلامه الشريف وأثرها في البناء العقدي للمجتمع الإسلامي .

وقد تبنى قسم النشر في جمعية العميد العلمية والفكرية طباعة وقائع البحوث العلمية المشاركة في المؤتمر العلمي الدولي السنوي العاشر لفكر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام الذي عقد برعاية العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية واقامته الهيئة العليا لمشروع الحلة مدينة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام وجمعية العميد العلمية والفكرية وجامعتي العميد والكفيل وكلية الآداب في جامعة بابل ، الذي وسم بعنوان: (الإمام الحسن عليه السلام وريث البيت النبوي) وشارك فيه باحثون من جامعات عراقية (بغداد، كربلاء، بابل، الكوفة، ذي قار، البصرة، المثنى...) تضمن العديد من الدراسات الفكرية، منها ما سلط الضوء على الشخصية القيادية للإمام الحسن عليه السلام في خطبه وأخرى عن استراتيجيات الخطاب الوظيفي التواصلية عند الإمام، مروراً بدراسة شعرية في مراثي المجتبي عليه السلام وورقة بحثية في سيرته ومناقبه الشريفة تبين محطات من حياة الإمام عليه السلام، فضلاً عن أوراق بحثية دلالية، تكشف عن حجاجية التناص القرآني والحديثي في خطب الإمام الحسن عليه السلام بوصف الحجاج جوهر

الخطابة ، وصولاً الى بعض الدراسات التاريخية والاجتماعية والفقهية واللغوية . فضلاً
الى الدراسات الاستشرافية التي سلطت الضوء على سيرة الإمام الحسن عليه السلام في الفكر
الاستشراقي .

وختاماً تجدد جمعية العميد العلمية والفكرية الشكر والامتنان والعرفان لجميع الباحثين
المشاركين في المحفل العلمي المبارك على جهودهم الفاعلة لأحياء أمر أهل البيت عليه السلام ،
حفظهم الله سبحانه وتعالى وجزاهاهم الله خير الجزاء .. ومن الله التوفيق

أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

رئيس قسم النشر

الشائعات ودورها في نزعرة الاستقرار
في عصر الإمام الحسن عليه السلام



م.د. فوزي خيري كاظم
كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة

ملخص البحث

يتحدث البحث عن مرحلة مهمة من مراحل عصر الدولة الإسلامية في بدايات نشأتها الأولى، وتحديدًا عصر الإمام الحسن (عليه السلام) وخلافته، وما جرى خلالها من حوادث كثيرة شكّلت العلامة الفارقة في تاريخ أمة الإسلام لما تضمنته من مفارقات جمة، لعلّ أبرزها تنازل الإمام الحسن (عليه السلام) عن الخلافة بعد ما عُرف في التاريخ باسم (صلح الإمام الحسن) الذي تمّ بينه وبين معاوية ونتج عنه تحوّل الخلافة بمعناها المعروف إلى ملكٍ عضوض بيد آل أمية وما نتج عنه بعد ذلك من أهوال على الأمة الإسلامية.

والبحث يتناول خصوصية هذه المرحلة المهمة ويناقش إحدى أهم أسباب هذا الصلح التي أُبتلي بها الإمام الحسن (عليه السلام) - على وجه الخصوص - وهي الشائعات التي روجها معاوية وأتباعه تجاه الإمام (عليه السلام) وموقفه من معاوية، فقد استطاع معاوية بما يمتلكه من أدوات خبيثة من بثّ السموم في عسكر الإمام الحسن (عليه السلام)، وما فعلته تلك الشائعات من زعزعة استقرار أتباعه دون أن يتنبهوا لها، فنالت منهم ومن وحدة صفهم تجاه معاوية وعسكره، فكانت تلك الشائعات من أهم أسباب عقد الصلح فيما بعد، وتصالح الإمام عن الخلافة لصالح معاوية.

وقد وظّف الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تتبع تلك الشائعات التي روجها معاوية وأتباعه وتقديمها كأحد أسباب هذا الصلح، مبتدئين بعرض مفهوم الشائعات في اللغة والاصطلاح وأسبابها وآثارها، ثم اتبعناها بعرض لأهم ما تخلله عصر الإمام الحسن (عليه السلام) بعد ذلك ركّزنا على الشائعات وآثارها على عسكر الإمام الحسن (عليه السلام) من خلال زعزعة الاستقرار، ودور معاوية في إثارتها، والنتائج المترتبة عليها.

Abstract

This research examines a vital period of the early Islamic era, specifically the era of Imam Hassan (peace be upon him) and his caliphate, as well as the significant incidents that occurred during this time. These incidents, due to the numerous contradictions they contained, left a distinctive mark on the history of the Islamic nation. One of the most prominent of these was the abdication of Imam Hassan (peace be upon him) from the caliphate, known as the "Peace Treaty of Imam Hassan" concluded between him and Mu'awiyah. As a result, the caliphate transformed into a despotic monarchy in the hands of the Umayyad dynasty, leading to subsequent horrors for the Islamic nation.

The research addresses the uniqueness of this important stage and discusses one of the most significant reasons for the truce, which was the rumors that Mu'awiyah and his followers spread against Imam Hassan (peace be upon him) and his position towards Mu'awiyah. Mu'awiyah, with the resources at his disposal, was able to spread false information in the army of Imam Hassan (peace be upon him), causing instability among his followers who did not realize it. These rumors were one of the most important reasons for the subsequent truce and the Imam's renunciation of the caliphate in favor of Mu'awiyah.

The researcher employs the descriptive analytical method to track the rumors that Mu'awiyah and his followers spread and present them as one of the reasons for this truce, starting with an exposition of the concept of rumors in language and terminology, their causes and effects, followed by an exposition of the most important things that took place in the era of Imam Hassan (peace be upon him). Then, the researcher focuses on rumors and their effects on the army of Imam Hassan (peace be upon him) by destabilizing it, Muawiyah's role in raising them, and the results.

المقدمة

تعدُّ حياة الإمام الحسن (عليه السلام) واحدة من الصفحات المشرقة في التاريخ الإسلامي، لما اشتملت عليه سيرته العطرة من مآثر كبيرة تركت لها بصمات لا يمكن أن يمحوها زمن، ولا أن تطفئها عثرات التاريخ.

فالإمام الحسن (عليه السلام) عاش حياةً مُلأت بالحوادث الكبيرة سواء في عهد جده رسول الله ﷺ أو في حياة أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) أو بعد استشهادهِ وتسلمه خلافة المسلمين لمدة وجيزة. وكلها أحداث قلبت أحداث التاريخ رأساً على عقب.

ولأن أكثر الأحداث التي عاصرها الإمام إثارة لاهتمام الباحثين وكتب عنها الكثير، هي قضية صلحه مع معاوية وتسالمه معه على تسليمه الخلافة بعد ما كان وما جرى من أحداث، فقد ارتأينا أن نستخلص موضوعنا من هذا الحدث الكبير، ونركز على العوامل التي ساهمت وأثرت في تحقق الصلح، لذا كان عنوان البحث: «الشائعات ودورها في زعزعة الاستقرار في عصر الإمام الحسن (عليه السلام)»، في إشارة للدور الكبير الذي لعبته الدعاية الأموية المغرضة في زعزعة استقرار معسكر أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) وساهمت بشكل كبير في دفع الأمور بمسارات بعيدة عن المسار السليم. فقد واجه الإمام وعسكره سيلاً من الشائعات المختلفة التي قلبت موازين العسكرين، وعجلت بقبول الصلح لسداجة المجتمعين حول الإمام الحسن من جهة، ومكر وخبث معاوية ورهطه من جهة أخرى.

وقد اقتضت ضرورة البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث، درس المبحث الأول: مفهوم الشائعات وتصنيفها وأسباب انتشارها وأهدافها وآثارها السلبية في المنظور الإسلامي، فيما سلط المبحث الثاني الضوء على الأوضاع العامة في عصر الإمام الحسن (عليه السلام)، أما المبحث الثالث فعرض دور الشائعات في زعزعة الاستقرار في عصر الإمام الحسن (عليه السلام)، ودور معاوية فيها، وزعزعة استقرار المجتمع، وتأثير الشائعات في عسكر الإمام، والنتائج المترتبة على الشائعات وآثارها.

المبحث الأول

مفهوم الشائعات وتصنيفها وأسباب انتشارها وأهدافها وآثارها السلبية في المنظور الإسلامي
مفهوم الشائعات في اللغة والاصطلاح:

الشائعات في اللغة من: شاع الخبرُ في الناس يشيع شيعاً وشيعاناً ومشاعاً وشيعوعة، فهو شائع، انتشر وافترق وذاع وظهر، ومعناه قد اتصل بكل أحد، فاستوى علم الناس به، ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض^(١).

أما في الاصطلاح: فقد عُرِّفَتْ بأنها المعلومات أو الأفكار، التي يتناقلها الناس، دون أن تكون إلى مصدر موثوق به يشهد بصحتها^(٢)، أو هي الترويج لغير مختلق لا أساس له من الواقع، أو يحتوي جزءاً ضئيلاً من الحقيقة^(٣).

ويرى بعض الباحثين إن الشائعة هي معلومة لا يمكن التحقق من صحتها ولا من مصدرها^(٤)، ومن المعروف إنها تنتقل عن طريق النقل الشفهي، وتتميز بكونها خبر مجهول المصدر وغير مؤكد الصحة.

دوافع وأهداف الشائعات:

تختلف دوافع وأهداف الشائعات بحسب أهداف مطلقها، فكلُّ وله هدف من إطلاق خبرٍ بعينه، ومراميهِ ومقاصده تتكشف من خلال ما تمتاز به الشائعة من نقل للأخبار غير المؤكدة لغرض معين لا يعرفه إلا مطلق الشائعة، ويمكن إبراز أهم هذه الدوافع بما يأتي:

١- إثارة الفتنة: يعدُّ هذا السبب من أهم دوافع الشائعات، لأنه يستهدف شريحة المجتمع ككل، الذي يتكون بالعادة من شرائح وأطياف متنوعة، فضلاً عن التوجهات والعقائد والأديان المختلفة في بعض الأحيان، وغالباً ما يكون هدف بثِّ الإشاعات هو لإحداث فتنة بين مكونات المجتمع لتفكيكه وإحداث فتنة بين مكوناته المختلفة^(٥).

٢- التسقيط: يعدُّ التسقيط من أبرز أسباب إطلاق الإشاعات، فلا سلاح أَمْضى من إشاعة تطلق على المنافسين أو المستهدفين من إطلاقها، لأن الهدف منه هو تشويه السمعة والإساءة للشخصية المستهدفة^(٦).

٣- اختبار ردات الفعل: من دوافع بث الشائعات كذلك هو معرفة ردود الأفعال حول موضوع معين، الهدف منه معرفة تفاعل الأفراد مع تلك الشائعات من أجل قياس ردة فعل المجتمع تجاهها، وعلى أثر ردة الفعل تلك تكون الخطوة الثانية لتنفيذ الأهداف التالية^(٧).

الآثار السلبية للشائعات على الفرد والمجتمع

ترك الشائعات الكثير من الاضطرابات وعدم الاستقرار بالنسبة للأفراد وللمجتمع عموماً، حيث إن لها آثاراً سلبية كبيرة تتراوح اضرارها بحسب المنطقة المستهدفة أو الافراد المستهدفون، ومن أهم الآثار التي قد تسببها اطلاق الشائعات^(٨):

١- انعدام الثقة: يؤدي انتشار الشائعات إلى انتشار الريبة وانعدام الثقة بين مكونات المجتمع عموماً، وتسري حالة الشك هذه في كل مفاصل الحياة، ولا تقتصر على حالةٍ دون أخرى، بحسب نوع الشائعة المستهدفة لموضوعٍ معيّن. وهو ما يؤدي إلى حالة من الفوضى التي تضرب في أطناب المجتمع ككل.

٢- تأثر الاقتصاد: في بعض الحالات تكون الشائعة مستهدفة لقطاع الاقتصاد في بلدٍ معين أو مجتمعٍ ما، وهذه الشائعة تكون لها آثار سلبية كبيرة على الطبقة المستهدفة أو نوع الاقتصاد المستهدف، مما يؤدي إلى حالة من الارباك الشديد التي تطال المجتمعات المستهدفة لاسيما في المجال الاقتصادي، مما قد يؤدي إلى تأثر الاقتصاد في تلك المناطق.

٣- التشكيك في العقائد: قد تستهدف الشائعات كذلك العقيدة الدينية لمجموعة معينة من الناس، لا تقتصر على الأديان فحسب بل إنها تطال المذاهب والفرق، وحتى المجموعات الدينية والعرقية الصغيرة، هدفها بثّ روح التفرقة بين أفراد المجتمع الواحد، وزعزعة استقراره، وبالتالي تضرب الفوضى أطنابه. وهذا من أكثر الآثار التدميرية التي قد تسببها الشائعة، كون قضية العقائد قضية روحية ترتبط بها النفس البشرية ارتباطاً وثيقاً.

حكم الشائعة في المنظور الإسلامي

وضع القرآن الكريم والسنة النبوية منهجاً علمياً ذا قواعد وأسس واضحة لمواجهة الشائعات ومنع خطرهما عن الأفراد والمجتمعات، في سبيل تحصين تلك المجتمعات ضد

الآثار التدميرية للشائعة، كما سارت على ذات النحو كل القوانين الوضعية للدول التي عملت على محاربة الشائعات بكل أنواعها ومحاولة وأدها في مهدها، أو على الأقل محاولة التقليل من آثارها السلبية الكبيرة، ولقد وضعت الشريعة الإسلامية مجموعة من التدابير للوقوف بوجه مثل هذه الأكاذيب التي قد تهدد كيان المجتمع في حال تركت لتنتشر فيه، ووجدت لها موطئ قدم تدخل منها إليه، وذلك من خلال مجموعة من التشريعات والنصوص الحكيمة التي تعمل على محاربة تلك الأوبئة، ومن أهم تلك التشريعات^(٩):

١- تحريم الكذب: إن الشائعة في الغالب تكون كذباً وافتراءً، هدفه إثارة الفتنة بين أفراد المجتمع، لذلك حرم الله سبحانه وتعالى الكذب على المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾^(١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١١). كما أكد النبي ﷺ على عظم الكذب حين قال: «كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ»^(١٢). فاعتبر إن تعمد الكذب على الناس هو خيانة له. وهذه النصوص وغيرها كثير تدل على إن الكذب محرّم في الشريعة الإسلامية. وبما إن الاشاعة هي كذب فهي محرمة كذلك.

٢- تحريم الغيبة: تنطوي الشائعة كذلك على الغيبة التي هي من أشد المحرمات في المنظور الإسلامي، وقد شبهها الله سبحانه بأكل لحم الميت كناية على قبحها. فهي تعني ذكر أخيك المسلم بما يكره بقصد التنقيص والتعيب^(١٣). لذلك نهى عنها تعالى بقوله: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾^(١٤).

٣- عدم الانسياق وراء ما ينقل دون يقين: إن قوام الشائعة هو تناقل الأخبار دون التحقق منها، وهو ما يساعد على انتشارها وتقويتها، بل والإسهام في نجاحها، لذلك فرض الله سبحانه على الناس عدم الانجرار إلى مثل ذلك وتناقل الأخبار دون يقين، للحد من خطورة الحديث إذا كان كاذباً لأنه قد يترتب عليه الأضرار بقوم آخرين، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١٥).

٤- النهي عن تناقل الأخبار: إن عدم الانجرار وراء الشائعات أو الأخبار غير المتيقن منها يجنب الإنسان الدخول في المحرمات التي نهى الله سبحانه وتعالى الدخول فيها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦).
فوقوف الحديث عندك يساهم في قتل الشائعة ويميتها.

٥- التستر على المسلمين والكف عن نشر الأذى: من المهم على المسلمين أن يكفوا الأذى عن إخوانهم، وعدم المساهمة بنشر ما يسيء لهم في المجتمع، وهو ما شدد رسول الله ﷺ عليه بالقول: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (١٧).

٦- غرس المبادئ الإسلامية في النفوس: وهذه من أهم خطوط المواجهة للشائعات، فتحصين المسلم لنفسه من الدخول في المحرمات كالغيبة وغيرها تجعل الإنسان في حلٍّ من الوقوع في المحرمات وبالتالي المساهمة في خلق مجتمع متعايش سليم الفطرة (١٨).

٧- تغليب حسن الظن: يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٩). وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءً وأنت تجد لها في الخير محملاً» (٢٠). من المهم جداً أن يكون الإنسان صادقاً مع نفسه ومع غيره، وأن يغلب الظن الحسن في التعامل مع الآخرين، لا سيما إن كان في الكلام ما يُشين، فتغليب الظن الحسن من الأعمال التي وصّى بها القرآن الكريم ورسوله الكريم وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) لما فيها من نشر للألفة والمحبة بين الناس، وتقوية الروابط الأخوية بينهم (٢١).

المبحث الثاني

الاضلاع العامة في عصر الإمام الحسن (عليه السلام)

١ - الاوضاع السياسية قبل وبعد صلح الإمام الحسن (عليه السلام)

سادت حالة الفوضى وعدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي في البلاد الإسلامية بعد استشهاد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فالأوضاع العامة كانت تنذر بانفجارها بين الحين والآخر، لاسيما وأن معاوية قدّم نفسه كمنافس على الخلافة، ولو نظرنا إلى المعسكرين - معسكر الإمام الحسن (عليه السلام) ومعسكر معاوية بن أبي سفيان - لوجدنا إن معسكر الإمام الحسن تميز بعدم الاستقرار وسادت الفوضى فيه، بسبب ميل الناس إلى طلب الراحة والدعة بعد أن شهدت ثلاثة حروب في عهد الإمام علي (عليه السلام)، لذلك فقد ركنت إلى طلب الراحة، فضلاً عن كرههم لسياسة الإمام علي (عليه السلام) التي امتازت بالصرامة والنهج القويم والذي لم تكن ترضى به كثير من وجوه الأمة المؤثرين، فضلاً عن الأساليب التي استعملها معاوية في استجلاب هؤلاء لمعسكره التي كانت أساليباً ملتوية وماكرة، لعبت فيها الاشاعات دوراً مؤثراً في ميل الكفة - عند هؤلاء - لصالح معاوية على حساب المبادئ الحقة التي انتهجتها سياسة الإمام الحسن (عليه السلام) التي لم تختلف عن سياسة أبيه من قبله^(٢٢).

فضلاً عن ذلك يلاحظ إن الثقل الأكبر من أصحاب علي (عليه السلام) لم يكن موجوداً حول الإمام الحسن (عليه السلام) لأسباب عدّة ومختلفة، تراوحت بين الاستشهاد بين يدي أبيه علي، وبين الغياب القسري لسبب من الأسباب.

ومن الجلي أن غياب هكذا رجال يلعب دوراً بارزاً في تحويل كفة الصراع لصالح معاوية، الذي استطاع بأساليبه استجلاب قسم آخر من الرجال المؤثرين حوله بالمال وتطبيق سياسة الخوف، وبثّ الاشاعات. وهذه العوامل مجتمعة تكشف عن أن الظروف لم تكن في صالح الحرب، فاحتمال الانتصار العسكري كان ضعيفاً في الاستناد لتلك المعايير.

ولعلّ المواقف السلبية لبعض رجالات الإمام الحسن (عليه السلام) لعبت هي الأخرى دوراً في قلب كفة الميزان لصالح المعسكر الشامي، ويمكن أن نستشف ذلك من قول الإمام الحسن لسليمان بن الصرد: «مع أن أبي كان يحدثني أن معاوية سبلى الأمر فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر، ما شككت أنه سيظهر، إن الله لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه»^(٢٣).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الهزيمة يمكن أن يكون لها تداعيات خطيرة وانعكاسات سلبية على الأمة الإسلامية عموماً، وليس على معسكر الإمام الحسن فحسب، فضلاً عن ما سينتج عن ذلك من حملات تصفية لن تستثني أحداً.

وقد ورد عن أبي سعيد عقيصاً^(٢٤) ما يوضح موقف الإمام الحسن وتقديره للظروف القائمة آنذاك، حين سألته عن سبب مدهنته لمعاوية على الرغم من معرفته بأن الحق معه، فقال الإمام الحسن مجيباً: «يا أبا سعيد أأستحجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماما عليهم بعد أبي (عليه السلام)، قلت: بلى، قال: أأست الذي قال رسول الله ﷺ لي ولأخي الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، قلت: بلى، قال: فأنا إذن إمام لو قمت وأنا إمام إذ لو قعدت يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل يا أبا سعيد إذا كنت إماما من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفّه رأيي فيما أتيت من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيت ملتبساً ألا ترى الخضر (عليه السلام)، لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى (عليه السلام)، فعلة لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي هكذا أنا سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولو لا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل»^(٢٥).

ولعل في هذا النص ما يدلُّ على السبب المباشر في إجبار الإمام الحسن (عليه السلام) على قبول الصلح، فالإمام الحسن (عليه السلام) كان خائفاً على الدين الإسلامي، لذا فقد توجب الحفاظ عليه من تلك المحاولات المسعورة التي كانت تستهدف الدين بالدرجة الأساس.

ونلاحظ إن تخلي الناس عنه يعدُّ عاملاً مؤثراً ثانياً في قبوله للصلح، فقد كتب قيس بن سعد إلى الإمام الحسن (عليه السلام) يخبره بخيانة قائد جيشه عبيد الله بن العباس وبعض القبائل العراقية التي توجهت نحو حرب معاوية، فلما قرأ الحسن (عليه السلام) الكتاب أرسل إلى وجوه أصحابه فدعاهم ثم قال: «يا أهل العراق ما أصنع بجماعتكم معي وهذا كتاب قيس بن سعد يخبرني بأن أهل الشرف منكم قد صار إلى معاوية. أما والله ما هذا بمنكر منكم لأنكم أنتم الذين أكرمتهم أبي يوم صفين على الحكمين فلما أمضى الحكومة وقبل منكم اختلفتم ثم



دعاكم الى قتال معاوية ثانية فتوانيتم ثم صار الى ما صار اليه من كرامة الله آياه، ثم أنكم بايعتموني طائعين غير مكرهين فأخذت بيعتكم وخرجت في وجهي هذا والله يعلم ما نويت فيه فكان منكم إلي»^(٢٦)، وهذا ما أكدته الراوندي (ت ٥٧٣هـ) بالقول: «كتب أكثر أهل الكوفة إلى معاوية بأننا معك وأن شئت أخذنا الحسن وبعثناه إليك»^(٢٧).

إزاء هذه التحديات الكبيرة كان على الإمام الحسن عليه السلام أن يختار بين أمرين لا ثالث لهما، وكلاهما خيار مُرَّ صعب، ولكن ما فرضته عليه الوقائع المتلاحقة تحتم عليه الرضا بأحدهما، أو لنقل بأحد الخيارين الأقل ضرراً على أرواح الناس، ويحافظ على الإسلام والمسلمين، وأول هذه الخيارات كان خيار الحرب ضد معاوية، وهذا بحد ذاته يشكل خطورة كبيرة على الإسلام، ولعل نتائجها عُرفت مسبقاً، مع تراجع الناس وتحاذيهم عنه، مع تفوق معاوية العسكري الواضح من حيث العدد والعدة، وتضافر أصحابه معه على باطله. وعليه فالمعركة خاسرة وفق المعايير العسكرية المتاحة للطرفين على أرض الواقع. أما الخيار الثاني فكان تسليم الأمر لمعاوية وفق شروط معينة يتفق عليها معه، على الرغم من إن الإمام الحسن عليه السلام كان يعلم سلفاً إن معاوية ليس أهلاً للثقة وحفظ العهد والاتفاقات، ولكن الخيارات المتاحة ضيقة جداً، وغير ممكنة.

فصار الحفاظ على أرواح من بقي منهم مع الإمام الحسن ضرورة جداً للحفاظ على بيضة الإسلام، وكان القرار هو التصالح مع معاوية. وقد بين الإمام الحسن عليه السلام موقف هذا الصلح معه، وإنه مجبور على القبول بما فرضه الواقع عليه، وخذلان الناس له، فلم يبق معه إلا عدد قليل من أصحابه وأهل بيته، وقد ذكر ذلك بالقول: «يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين، ولو سلّمت له الأمر فأيم الله لا ترون فرجاً أبداً مع بني أمية، والله ليسومونكم سوء العذاب حتى تتمنوا أن عليكم جيشاً جيشاً، ولو وجدت أعواناً ولو وجدت أعواناً ما سلّمت له الأمر، لأنه محرّم على بني أمية فأفٍ وترحاً يا عبيد الدنيا»^(٢٨).

وهذه الخطبة تُوجز بشكل كبير موقف الإمام الحسن عليه السلام وما كان يعانيه من تحاذل أصحابه وغدرهم به، وطلب الدنيا التي مع معاوية، فقد أكدت المصادر التاريخية أن أكثر أصحاب الحسن - من أهل الكوفة - قد كاتبوا معاوية بأنهم معه، وإنهم على استعداد لتسليم الحسن له^(٢٩).



ويؤكد ذلك ما ذكره الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) نقلاً عن أحد أصحاب الإمام الحسن بعد أن طعن في المدائن من قبل بعض المنافقين، وقد سأله عن مرحلة ما بعد الصلح فقال: «أرى والله أن معاوية خير من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة باغتوا قتلي وانتهبوا ثقلي وأخذوا مالي والله لئن أخذ معاوية عهده أحقن به دمي وأمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فبضع أهل بيتي والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بجنتي حتى يدفعوني إليه سالماً»^(٣٠).

ومن خلال هذا النص تتضح الصورة جلية في أن ما دفع الإمام الحسن للقبول بالصلح مع معاوية هو خذلان أصحابه، وفقدانه للناصر في مثل هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية، ومن بقي معه - عدا أهل بيته وخلص أصحابه - لا يمكن أن يأتمنه على حياته، ولو ظل على موقف من معاوية ولم يقبل بالصلح معه لأسلموه هم إليه مع من بقي من أهل بيته.

٢- الأوضاع الاجتماعية قبل وبعد صلح الإمام الحسن (عليه السلام)

سادت المجتمع في تلك الفترة من حياة الدولة الإسلامية موجة من الاضطرابات السياسية والعسكرية الكبيرة التي شملت أمصاراً عدة، لعل أبرزها الكوفة التي أصبحت في خلافة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عاصمة للدولة الإسلامية، وكان التركيب الاجتماعي يضم طبقات عدة غير متجانسة في تركيبها العنصري والوظيفي كذلك، فكان لابد والحال هذه أن تنتج هذه الاختلافات مجتمعاً متناقضاً يسوده الانقسام ويعيش حالة من الاضطراب الاجتماعي انعكس بشكل ملحوظ على واقع الحياة العامة والمجريات السياسية والعسكرية بعد ذلك^(٣١).

فالمجتمع كان يضم أصحاب المصالح العليا والمتنفذين الذين كانوا يفضلون مصالحهم الشخصية على مصالح المسلمين، فكانوا يميلون معها بالكيفية التي تساعد على الكسب، وهؤلاء أصبحوا أصحاب اليد الطولى في المجتمع.

كما كان هناك طبقة الخوارج وهم أعداء الإمام علي (عليه السلام)، وأعداء الحسن بطبيعة الحال من بعده، وهؤلاء - بحكم انتماؤهم العقائدي - يحكمون بكفر جميع من خالفهم، سواء أكانوا من أصحاب معاوية أو من أصحاب الحسن (عليه السلام)، ولهم وضعهم الخاص بهم لا يداهنون أحداً ولا يهمهم طرف من الأطراف.

وهناك طبقة الموالي - وهم الحمراء - وتضم العبيد من أبناء أسرى الفرس والعجم وغيرهم ممن استجلبوا أثناء سنوات الفتح الإسلامي، فكان المجتمع آنذاك - على حد وصف الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) - : «أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه عليهما السلام، وبعضهم مُحْكَمَةٌ، يُوثَرُونَ قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم سُكَّاكٌ، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين» (٣٣).

فكان هذا هو واقع المجتمع الذي كان يعيش فيه الإمام الحسن (عليه السلام)، وهو ما أثر سلباً - بعد ذلك - في مسألة خذلانهم للإمام الحسن ومكاتبته لمعاوية «سراً في أمورهم واتخذوا عنده الأيادي» (٣٣).

وكان من الطبيعي أن يكون المجتمع متعدد الولاءات نتيجة لاختلاف الناس، وعندما يكون المجتمع على مثل هذا التفرق والتمزق والاختلاف لا يمكن أن ينصاع لقائد حتى لو كان الإمام الحسن (عليه السلام). فالأمزجة هي من تتحكم وتحكم، والولاءات هي من تتخذ القرارات، والمصالح هي من تقرر.

ويمكن أن نلاحظ هذا الاختلاف واضحاً في خطبة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) بعد عقد الصلح مباشرة، الذي يدل على مدى معاناة الحسن (عليه السلام) للوصول إلى ما وصلت إليه الأمور من عقد الصلح مع معاوية، فقال: «أيها الناس، إن معاوية زعم أني رأيت للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً، وكذب معاوية، أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبي الله، فأقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني لأعطتهم الساء قطرها والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية. وقد قال رسول الله ﷺ: ما ولت أمة أمرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلًا حتى يرجعوا إلى ملّة عبدة العجل، وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أن هارون خليفة موسى، وقد تركت الأمة علياً وقد سمعوا رسول الله ﷺ يقول لعلي (أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي)، وقد هرب رسول الله ﷺ من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى فرّ إلى الغار، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم. ولو وجدت أعواناً ما بايعتك يا معاوية. وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه، وكادوا يقتلونه ولم يجد عليهم أعواناً،

وقد جعل الله النبي في سعة حين فرّ من قومه لما لم يجد أعواناً عليهم. وكذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة وبايعت غيرنا ولم نجد أعواناً. وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً. أيها الناس، إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلاً من ولد النبي غيري وغير أخي» (٣٤).

وهذه الخطبة تكشف بوضوح مدى التفرق والخذلان الذي عاناه الإمام الحسن (عليه السلام) من الناس الذين كانوا معه، ولعل ذلك يغني عن أي حديث آخر. مستشعراً بخطورة الموقف بين هذا الخليط الذي يحمل عوامل الانقسام على نفسه، فضعفت ثقته بجنده لاسيما وأن تجربة الإمام علي (عليه السلام) كانت غير بعيدة زمنياً عن مثل هذه التجربة في معركة صفين. وإلى ذلك أشار (عليه السلام) حين خاطب جيشه معه في المدائن قائلاً: «كنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم» (٣٥).

مؤكداً ذلك المعنى حين سُئل: «ما حملك على ما فعلت؟ فقال: كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوما لا يثق بهم أحد أبداً إلا غلب، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى، مختلفين لا نية لهم في خير ولا شر، لقد لقي أبي منهم أموراً عظماً، فليت شعري لمن يصلحون بعدي، وهي أسرع البلاد خراباً» (٣٦).

المبحث الثالث

دور الشائعات في زعزعة الاستقرار في عصر الإمام الحسن عليه السلام

دور معاوية في تصدير الشائعات:

حاول معاوية بن أبي سفيان طوال فترة إمارته على الشام التي استمرت مدة عشرين عاماً كاملاً، إحكام سيطرته على الشام، فاستخدم لذلك مختلف الأساليب في تحقيق ذلك، لعل أبرزها إحكام اغلاق بلاد الشام على أهلها وعدم اختلاطهم مع غيرهم من الأمصار الأخرى لأي سبب كان، فكان لا يسمح لأي شخص لاسيما من الصحابة المعروفين بقوة إيمانهم وعدم ميلهم لأساليبه الملتوية وشرائه لذمم العديد من النافذين^(٣٧)، فهو لاء كانوا ممنوعين من التواجد بالشام لأي سبب، لأنهم قد يقبلوا الطاولة على معاوية من خلال ما يملكونه من حقائق عن معاوية وأساليبه.

وبهذه الطريقة استتب الأمر لمعاوية في الشام، يساعده في ذلك - فضلاً عما ذكرناه - أساليب معاوية في الدهاء والمكر الذي جعل الناس تلتف حوله التفافاً. وسخر كل الإمكانات المادية والمعنوية في سبيل تحقيق أهدافه.

وعلى الرغم من المراقبة الشديدة التي فرضها عمر بن الخطاب على عماله، ومحاسبتهم على كل صغيرة وكبيرة يقرّفونها، إلا أننا نراه قد ترك معاوية خارج حدود هذه المراقبة والمحاسبة، فقد كان صاحب مكانة عند الخليفة، على الرغم مما كان يصله عن معاوية وأعماله في الشام كانت في غالبها منافية للمنهج الإسلامي الذي خطّه النبي الأكرم ﷺ وسار عليه من بعده المسلمون إلا معاوية الذي سار على نهج القياصرة وملوك العجم، فتشبه بهم وبتصرفاتهم التي لا تمت للإسلام ونهجه بصلة. بل نراه قد قلدهم في أمر القصور وبنائها بكل ما فيها من ترف. إلا أن عمر لم يكن يحاسبه أو يراجع في تلك الأعمال، بل أرسل إليه تفويضاً كاملاً ليعمل وفق ما يراه معاوية، لا وفق الرؤية الإسلامية، حين قال له: «لا آمرك ولا أنهاك»^(٣٨).

وهذا الأمر جعل من معاوية الحاكم الذي لا يُراجع في عمل يعمل، ولا في فعله يفعل، فله أن يفعل ما يراه دون أن يراجع أحد، أو ينتقده أحد. وهو ما جعله يستخدم كل

الوسائل المشروعة وغير المشروعة دون رقابة أو قيود، ساعياً لاستغلال الظروف كل ما سنحت له فرصة لذلك.

وحين تهيأت اللحظة المناسبة هبَّ ليكشف عن أطماعه ونواياه بعد مقتل عثمان بن عفان، فجعل نفسه المطالب بدم عثمان، داعياً إلى محاسبة قتلته، وهو يعلم أن عثمان إنما قتل بثورة من قبل رجال جاؤوا من جميع الأمصار^(٣٩)، ولا يمكن والظروف هذه أن يتم تحقيق طلبه وإيقاع القصاص بقتلة الخليفة.

ولكن هدفه كان واضحاً وهو الطلب بالخلافة كخطوة يتم اتخاذها بعد أن يتم له أمر المطالبة بدم عثمان، وإعلان نفسه بأنه الطالب بدم ابن عمِّه الذبُّ قُتل مظلوماً - كما ادعى - وهذا ما يجعله المنافس الوحيد لخلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد أن تمت مبايعته من قبل جميع الأمصار ورجائها إلا معاوية وبلاد الشام التي كانت محكمة على رأيه.

وبدأ برسم سياسته الخاصة تجاه هذه الخطوة، وأتبع كل الوسائل التي تتيح له تحقيق بعض بوادر النجاح، ومن ضمن أساليبه الخبيثة هي سلاح الشائعات التي أخذ يطلقها كلما أُتيحت له الفرصة لذلك، وحشد لذلك الحشود التي اشترى بعضهم بالمال أو بالسلطة أو بتطبيق سياسة التضليل والتدليس التي داوم عليها منذ بداية عهده على ولاية الشام^(٤٠).

٢- أثر الشائعات في زعزعة استقرار المجتمع آنذاك

يعد استخدام الشائعات من أقدم الأساليب التي أُستخدمت في النزاعات السياسية والعسكرية على وجه الخصوص منذ القدم.

فالشائعات هي مجموعة من الأخبار الزائفة التي يتم إطلاقها لتحقيق هدف أو أهداف معينة من خلالها، تستهدف مجتمع معين عند طريق زعزعة استقراره وإثارة الفوضى فيه من خلال نشر تلك الأخبار الكاذبة لتعميق الخلافات بين أفرادها، وبالتالي يسهل استهدافه وتحقيق الأغراض المرجوة منه. ولا يخفى ما للشائعات من آثار مدمرة قد تقضي على مجتمع بأكمله، وتهيء الظروف والنفوس لتقبل الغازين وأفكارهم، بل تضرب وحدة المجتمعات فتشل قدرتهم على المقاومة، وهذه الشائعات كانت أحد الأسباب المهمة التي ساهمت بتفكيك المجتمع الكوفي، وزعزعة استقرار معسكر الإمام الحسن (عليه السلام).

فضلاً عن ذلك إن المجتمع الكوفي آنذاك لم يكن مجتمعاً موحد الصف، مجتمع الكلمة، بل كان يعجُّ بأصناف شتى من الناس تختلف أهوائهم وأفئدتهم فهم: «أخلاط من الناس بعضهم شيعية له ولأبيه عليه السلام وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم وبعضهم شكاك وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين»^(٤١). وعندما يكون المجتمع بهذه الصورة فإنه بالتأكيد مستعد لتقبل كل أنواع الشائعات .

٣- الغاية من بثّ الشائعات في عسكر الإمام الحسن عليه السلام

بدأت بوادر الفتنة والشقاق بين صفوف عسكر الإمام الحسن عليه السلام تظهر بوضوح منذ أن عسكر الجيش في النخيلة^(٤٢)، وهو الموضع الذي أعلن كمرکز لتجمع الجيش، ومن هنا بدأت الشائعات.

ثم توجه الحسن عليه السلام إلى المدائن، حيث تمّ اختيارها مقرأً لقيادته في هذه الحرب، فأرسل الإمام الحسن تحت قيادة عبيد الله بن عباس اثني عشر ألفاً من الجند لملاقاة جيش معاوية. وحين صل عبيد الله بن العباس إلى مسكن^(٤٣) عسكر هناك، وصار معاوية وعسكره أمامه، وعندها بدأت تظهر بوادر الفتنة بوضوح، وانطلق معاوية يبيث سمومه في عسكر عبيد الله بن العباس، والدسائس كانت تشقّ طريقها إلى معسكره فتجد المتقبلين لها، والمنافقين ومن يؤثرون العافية، وكانت أول تلك الشائعات الكاذبة هي: «أنّ الحسن يكتب معاوية على الصلح فلم تقتلون أنفسكم»^(٤٤).

فوقعت تلك الشائعة وقوع النار في الهشيم، فساد الارتباك والفوضى في صفوف الجند، وطارت الأقاويل بتصديق ذلك، وقد زاد من هول ذلك موقف عبيد الله بن العباس الذي لم يحاول أن يطمئن الجند أو على الأقل يحاول التأكد من هذا الخبر، بل إنه موقفه هذا زاد من ارتباك الجند، ووسّع الهوة بينهم وبين يقينهم بأن ذلك قد حدث بالفعل.

بل إن عبيد الله بن العباس بنفسه قد وصلته رسائل من معاوية تحمل بين طياتها تأكيد تلك الشائعة، مع عوامل الأغراء التي لامست منه شغاف النفس، وقد جاء فيها: «أنّ الحسن قد راسلني في الصلح، وهو مسلم الأمر إليّ، فإن دخلت في طاعتي كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن أجبتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، أعجل لك في

هذا الوقت نصفها، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فانسل عبيد الله إليه ليلاً، فدخل عسكر معاوية»^(٤٥).

وهكذا انكفأ عبيد الله بن عباس على نفسه واستجاب لداعي الخيانة، فيصبح الصباح على العسكر وهو بلا قائد، فقائده ذهب إلى معاوية. فوصل الخبر إلى الإمام الحسن (عليه السلام)، فعين بديلاً عنه هو قيس بن سعد بن عبادة، وهنا ما كان معاوية ليترك الأمر يستتب للحسن (عليه السلام)، ولكنه أسلوبه تغير لأن قيس بن سعد ليس ممن يشتروا بالمال، وهنا كانت الشائعة هو الأسلوب التالي لمعالجة هذا الموقف، فبث شائعة تقول أن قيس بن سعد قد صالح معاوية، ثم ألحقها بإشاعة أخرى تقول أن قيساً قد قتل، فأثر ذلك تأثيراً كبيراً بأصحاب النفوس الضعيفة^(٤٦).

وتلاحقت الشائعات التي أخذت تهز عسكر الإمام حتى في المدائن، فقد تواردت الأخبار أن كثيراً من القواد والزعماء قد فروا من معسكر الحسن (عليه السلام)، وإن الجنود قد انهزموا بأعداد كبيرة، مما ترك صدمة كبيرة في نفوس المتواجدين منهم في المدائن، ودبت الفوضى وعدم الاستقرار في المعسكر كله، فقوضت فرصة النصر بشكل كبير، مما أدى بالتالي إلى اتخاذ الإمام الحسن (عليه السلام) لقرار التصالح مع معاوية.

٤ - النتائج المترتبة على الشائعات وآثارها

لعبت الشائعات دوراً مهماً في قلب الأمور لصالح معاوية وأصحابه، للأسباب التي سبق وأن أشرنا لها سابقاً، فضلاً عن أن أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكونوا على درجة من الوعي ليستطيعوا أن يقفوا بوجه هذه الدعايات المغرضة التي ساقها أعدائهم ضدهم، ويقفون ضدها بحزم مع قيادتهم التي كانت على دراية تامة بالمخطط الأموي الذي كان يهدف إلى بلوغ السلطة على حساب من هو أحق بها منه مستخدماً أساليب ملتوية وخبيثة لم تقف عند حد، بل تجاوزت كل الحدود كانت الشائعات المصدر الرئيس لها.

وكما هو معلوم أن الآثار المترتبة على إطلاق الشائعات في المجتمع كثيرة ومتنوعة تزداد خطورتها كلما كان المجتمع المستهدف مفككاً قليل التماسك، لأن درجة الوعي تقل كثيراً من أخطار الشائعات بسبب التماسك وعدم الالتفات إلى ما تجرّه تلك الأكاذيب.



فضلاً عن أن درجة وعي المجتمع - أفراداً وجماعات - من شأنها أن تحقق مستوى تواصل ثابت مع جهات القرار، وبالتالي تكون قدرتها على كشف الغموض الذي أدى الى انتشار الشائعات. فالشائعة ممكن أن تشكل خطراً ملموساً على المجتمع حتى لو كانت على سبيل الدعاية والمزاح.

فالشائعات والأكاذيب الملفقة تعد خطراً كبيراً يهدد استقرار الدولة وأمنها، فضلاً عن التشكيك بمدى قدرة الجهات المسؤولة في الدولة على مواجهة التحديات المتظرة، ناهيك عن نشر الرعب والذعر في نفوس المواطنين، وصرف أنظارهم عن القضايا الأهم. كما أنها تظلل الرأي العام وتشكل قوة ضاغطة تفرض هيمنتها على الحكومة وصانعي القرار فيها باعتبارها قوة اجتماعية لها وقعها في ما يُشرع من قوانين وأحكام، مما يؤدي إلى العجلة واتخاذ قرار متسرع تؤدي إلى الوقوع بالمحذور.

ومن الآثار الأخرى للشائعات أن انتشارها يؤدي إلى شيوع الامراض النفسية في المجتمع ويولد لدى البعض الغل والحقد والكرهية، مما يؤدي بالتالي إلى ضعف الروابط الاجتماعية والأسرية وتجعل المجتمع مهياً بشكل أكبر إلى تقبل شائعات جديدة.

كما إن انتشار الشائعات في المجتمع تؤدي إلى تفكك المجتمع، وشعور الافراد فيه بالخطر لاسيما إن كانت الشائعة تمس العقيدة والقيم والبنیان المجتمعي مما يؤدي إلى انهيار قيم الفرد وتكامله مع الافراد الاخرين داخل المجتمع في حالة استمرار الشائعة دون نفيها من مصدر رسمي.

كما تؤدي إلى تغليب مشاعر الاحباط داخل المجتمع لاسيما عند انتشارها واستمرارها دون مكافحتها بالأساليب المعرفية التي من شأنها أن تؤدي إلى كبح انتشارها ووأدها في مهدها. وخلاصة القول يمكن أن نقول أن الشائعات هي معاول هدامة تنهش في جسد المجتمع لابد من العمل على مكافحتها بالطرق السليمة التي تؤمن الخلاص منها حتى لا تصل الأمور إلى ما لا تحمد عقباه.



الخاتمة

توصل البحث في نهايته إلى النتائج الآتية:

- ١- لا يمكن لأي منصف أن ينكر الدور القيادي للإمام الحسن عليه السلام في مجابهة أطماع معاوية ومحاولاته المسعورة للنيل من الإسلام على طول تاريخه الطويل. فقد وقف بالصد لكل تلك المحاولات الساعية لتشويه صورة الإسلام ومفاهيمه الإنسانية.
- ٢- اضطر الإمام الحسن عليه السلام ولأسباب كثيرة لقبول الصلح مع معاوية حفاظاً على دماء المسلمين من السفك على أيدي معاوية وأعوانه الذي كان لا يتوانى من ذلك مدفوعاً بغريزة الطمع وحب السلطة دون شيء آخر.
- ٣- لعب الظروف المحيطة بالإمام الحسن عليه السلام دوراً كبيراً في إجبار الإمام الحسن عليه السلام لقبول الصلح مع معاوية، فمع تخاذل كثير من أصحابه وخيانة بعضهم، وملل الناس من الحرب، كل ذلك تركه وحيداً دون أي مناصرة دفعته بالتالي لقبول الصلح على الرغم من كراهيته لذلك.
- ٤- كانت للأساليب التي استخدمها معاوية مكرراً وخداعاً سبباً مباشراً في زعزعة استقرار جيش الحسن عليه السلام وإشاعة روح التفرقة بينهم، وهي الأهداف التي كان يسعى معاوية من خلالها الوصول إلى الحكم.
- ٥- كانت الشائعات التي بثها معاوية وأعوانه إحدى الأسباب التي ساهمت بشكل كبير في قبول الإمام الحسن للصلح مع معاوية، فقد عمد إلى استعمال شتى الأساليب - ومنها بث الشائعات - وسيلة لتحقيق أطماعه. لما للشائعات من القدرة على جذب الناس نحو اتجاه معين، وذلك لما لها من قوة في التأثير على الرأي العام.
- ٦- تُعدّ الشائعات من الأساليب المعنوية الهدامة التي يمكنها فعل ما لا تستطيع فعله الأسلحة الفتاكة، إذ يمكن تحطيم النفوس بالحزن والحسرة، والقضاء على المجتمع بإشعال نار الفتنة، وبث العداء والتفريق بين أفراد المجتمع. وهو ما حصل في عسكر الإمام الحسن عليه السلام.

الهوامش

- ١- ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ١٩١.
- ٢- كابفيرير، الشائعات، ص ١٤.
- ٣- ابراهيم، صفاء عباس، الاشاعة وإثرها على الفرد والمجتمع، ص ٣.
- ٤- المرجع نفسه، ص ٤.
- ٥- اليوسف، عبد الله احمد، الإمام الحسن (عليه السلام)، ص ١٤٠.
- ٦- اليوسف، عبد الله احمد، الإمام الحسن (عليه السلام)، ص ١٤٠.
- ٧- ابراهيم، صفاء عباس، الإشاعة وأثرها على الفرد والمجتمع، ص ٧.
- ٨- البرعي، المنهج الإسلامي في التثبت من الأخبار، ص ٣٦.
- ٩- القرش، الاسلام والشائعات، ص ١.
- ١٠- سورة الزمر: آية ٣.
- ١١- آل عمران: آية ٧٥.
- ١٢- ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٤٢٣؛ ابن حجر العسقلاني، الاصابة، ج ٣، ص ١٢١.
- ١٣- مشكيني، مصطلحات الفقه، ص ٣٩٨.
- ١٤- سورة الحجرات: آية ١٢.
- ١٥- سورة الحجرات: آية ٦.
- ١٦- سورة النور: آية ١٦.
- ١٧- المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١٥، ص ٩٠٤.
- ١٨- القرش، الاسلام والشائعات، ص ٣.
- ١٩- سورة الحجرات: آية ١٢.
- ٢٠- الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٦٢.
- ٢١- القرش، الاسلام والشائعات، ص ٣.
- ٢٢- الشاكري، سيرة الإمام الحسن، ص ١.
- ٢٣- ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٤١.
- ٢٤- أبو سعيد التيمي الكوفي وأسمه دينار، روى عَنْ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وحضر معه صفين، روى عَنْ عبد الله بن عباس. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٢٥١.
- ٢٥- الصدوق، علل الشرائع، ص ٢١١.
- ٢٦- ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج ٤، ص ٢٨٩.
- ٢٧- الراوندي، الخرائج والجرائح، ص ٥٧٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٤٥.
- ٢٨- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٤٤-٤٥.
- ٢٩- المصدر نفسه، ص ٤٥.
- ٣٠- الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٥٣.

- ٣١- القرشي، الإمام الحسن (عليه السلام)، ج ٢، ص ١٤٥.
- ٣٢- المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٨.
- ٣٣- المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٣٤٣.
- ٣٤- سليم بن قيس، كتاب سليم، ص ٩٣٨؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٥٠؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٢٢.
- ٣٥- ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٣، ص ٧.
- ٣٦- المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨.
- ٣٧- العاملي، صلح الحسن، ص ٩.
- ٣٨- الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٣٣؛ العاملي، صلح الحسن، ص ٩.
- ٣٩- ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ١٥؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٤٩.
- ٤٠- شرف الدين العاملي، صلح الحسن، ص ١٠.
- ٤١- المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٨.
- ٤٢- تصغير نخلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام وهو الموضع الذي خرج إليه علي (عليه السلام)، لما بلغه ما فعل بالأبنا من قتل عامله عليها وخطب خطبة مشهورة ذم فيها أهل الكوفة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٧٨.
- ٤٣- وهو موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢ فقتل مصعب وقبره هناك معروف. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٢٧.
- ٤٤- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٤٢.
- ٤٥- المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٥١.
- ٤٦- ينظر: المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢١.

المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم.
- * ابراهيم، صفاء عباس
- * الاشاعة وأثرها على الفرد والمجتمع، بحث منشور في كلية الاعلام، جامعة السودان، العدد ٢٠، (٢٠١٩م).
- * ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م):
- * الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام، (دار الكتاب العربي، بيروت - ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)
- * ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد بن محمد (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م):
- * الفتوح، حيدر آباد، (الهند - ١٩٧٠).
- * الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن احمد (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م):
- * مقاتل الطالبين، تحقيق: احمد صقر، دار المعرفة، (بيروت - د. ت).
- * البرعي، محمد عبد اللطيف،
- * المنهج الإسلامي في الثبوت من الأخبار والقضاء على الشائعات، دار الخلفاء الراشدين، ط ١، (الاسكندرية - ٢٠١٤).
- * ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م):
- * الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البيجاوي، دار الجيل، (بيروت - ١٤١٢هـ / ١٩٩١).
- * ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله، (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م):
- * شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.م - د.ت).
- * الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
- بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م):
- * سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بأشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط ٣، مؤسسة الرسالة، (بيروت - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).
- * الراوندي، قطب الدين ابو الحسن سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٧م)
- * الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي، (قم - ١٤٠٩هـ).
- * ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م):
- * الطبقات الكبرى، تحقيق: احسان عباس، ط ١، دار صادر، (بيروت - ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).
- * سليم بن قيس، الهلالي (ت ٧٦هـ / ٦٩٥م):
- * كتاب سليم، دار الهدى، ط ١، (قم - ١٤١٥هـ).
- * الشاكري، حسين
- * سيرة الإمام الحسن (عليه السلام)، (قم - ١٤٢٠هـ).
- * ابن ابي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت: ٢٣٥هـ)
- * المصنف في الاحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، (الرياض - ١٤٠٩هـ).
- * الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي (ت: ٣٨١هـ):
- * علل الشرائع، مكتبة الداوري، (قم - د. ت).
- * الطبرسي، ابو منصور احمد بن علي (ت: قرن ٦هـ):
- * الاحتجاج، (مشهد - ١٤٠٣هـ).
- * العاملي، عبد الحسن شرف الدين
- * صلح الحسن، (د.م / د.ت).
- * ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩):
- * الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، (د.م - د.ت).
- * القرشي، باقر شريف

- * حياة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، تحقيق: مهدي باقر القريشي، ط ١، مهر دار للنشر، (طهران ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).
- * القرش، عبد الوهاب
- * الإسلام والشائعات منهج في التعامل وأسلوب في الوقاية، بحث منشور على شبكة الانترنت، <https://islamonline.net>
- * كابفيرير، جان - نويل
- * الشائعات الوسيلة الإعلامية الأقدم في العالم، ترجمة: تانيا ناجيا، دار الساقى، ط ١، (بيروت - ٢٠٠٧).
- * المتقي الهندي، علاء الدين بن علي (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م):
- * كنز العمال في سنن الاقوال والأفعال، موقع يعسوب، (د. ت.).
- * المجلسي، محمد باقر بن محمد (ت ١١١٠هـ / ١٦٩٨م):
- * بحار الانوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليه السلام)، مؤسسة الوفاء، ط ٤، (بيروت - ١٤٠٤هـ).
- * المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م):
- * مروج الذهب ومعادن الجواهر، موقع الوراق (د. م - د. ت.).
- * المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري
- * البغدادي (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م):
- * الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ط ١، قم - ١٤١٣هـ).
- * ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ)
- * لسان العرب، ط ٣، دار صادر (بيروت - ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- * ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م):
- * معجم البلدان، دار صادر، ط ١، (بيروت - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
- * اليوسف، عبد الله احمد
- * الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) وحرب الشائعات، بحث منشور في مجلة العميد، العدد الخامس، (١٤٣٨هـ). السنة الخامسة، المجلد الخامس، العدد الخاص الخامس لشهر ربيع الأول ١٤٣٨هـ - كانون الأول ٢٠١٦م.

تفسير الإمام الحسن المجتبي عليه السلام للقرآن الكريم
في تفاسير المخالفين (جمع وتصنيف)



د. عمّار حسن عبد الزّهرة
وزارة التربية / مديرية تربية كربلاء المقدسة

ملخص البحث

يأخذ تفسير القرآن الكريم مساحةً قصوى بين الدراسات الإسلامية بوصفه النصّ الأساس في التشريع، وعليه يُعتمد في التأسيس للحياة الإسلامية، والتفسير له مناهج ومرجعيات تتنوع بحسب الطوائف الإسلامية والأطر التي انتظمت عليها، ولكن تبقى مساحات واسعة للاشتراك بين المسلمين وأهم تلك المساحات بعد القرآن الكريم هم أهل البيت عليه السلام؛ لإيمان الجميع بحبهم وموالاتهم إيماناً بوصية الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم للثقلين بالتمسك بالقرآن وبهم. وقد خلف أهل البيت عليه السلام علومًا جمّة ومعارف كثيرة نقلتها المدونات الإسلامية على اختلافها، ومن تلك الجهود ما يخص القرآن الكريم الذي كان جهدٌ كبيرٌ لإمام في بيان أهميته وتفسيره وقراءته، وقد آلينا في هذا البحث جمع جهده القرآني من المدونات الخاصة بالقرآن الكريم لدى المسلمين من غير شيعة أهل البيت عليه السلام، وعند الجمع ظهرت لنا مادةٌ جيّدة ثمّ بعد ذلك صنّفناها بحسب طبيعتها والموضوعات التي عالجتها، وبحسب تبّعنا فإنّ هذا العمل يُعدُّ بكرةً لعدم رعاية الجهد القرآني للإمام الحسن عليه السلام على هذه المساحة من التتبّع بين المصادر.

Abstract

Exegesis of the Holy Qur'an holds immense importance in Islamic studies, as it serves as the primary source of legislation and the cornerstone of Islamic life. Diverse methods and references are used in the interpretation of the Qur'an, which vary depending on the organisational frameworks of the Islamic sects. Despite these differences, there exist extensive areas of common ground among Muslims, and the most crucial of these areas, after the Holy Qur'an itself, is the Ahlulbayt (peace be upon them); due to the belief of all Muslims in their love and allegiance, as a commitment to the Prophet Muhammad's (peace be upon him and his pure progeny) will to hold onto the two weighty things, the Qur'an and the Ahlul Bayt. The Ahlul Bayt (peace be upon them) left behind a considerable amount of knowledge and information that has been transmitted through Islamic records in all their diversity. Among these efforts is the exegesis and explanation of the Holy Qur'an, which was undertaken by Imam Hassan (peace be upon him). In this research, we have endeavoured to gather and compile his Qur'anic efforts from the specialized records of Muslims other than the Shi'a's. After collecting and classifying the material according to its nature and the topics it addressed, a significant amount of high-quality material has been obtained. This research is unique as it is the first to pay such attention to the Qur'anic efforts of Imam Hassan (peace be upon him) on this scale.

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءُهُ الْعَادُونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ.. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ..

الإمام الحسن عليه السلام أحد أعمدة البيت النبوي، والإمام الثاني عند الإمامية بعد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو سيد شباب الجنة وأحد أصحاب الكساء وخامس خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله بحسب باقي الطوائف الإسلامية الأخرى، ومن هنا فإن له منزلةً متفردة لدى المسلمين كافة، وكذلك يشغل حيز خلافته والأحداث التي جرت في عصره مساحةً واسعة من التجاذبات في التاريخ الإسلامي، ومن هنا فإنه يمثل مساحةً كبيرةً للدراسات، ومع تلك المساحة الواسعة إلّا أننا لا نجد اهتماماً من لدن المختصين يوازي ما لهذا الإمام من أهمية دينية ومعرفية، ومن الحسنات الكبيرة للعبئة العباسية أن خصّصت مؤتمراً دولياً يستهدف إحياء تراث هذا الإمام الهمام، ومن هنا فإننا قرّرنا أن نتابع الجهد القرآني للإمام الحسن عليه السلام في المؤلفات القرآنية لدى المسلمين من غير الشيعة وخصوصاً التراثية منها، وبعد النظر فيها خلصت إلى جهد كبير للإمام الحسن عليه السلام لم أتوقعه؛ لما يشاع بقلّة ما ورد إلينا من جهد معرفي للإمام الحسن المجتبى عليه السلام ولا سيما على مستوى التفسير القرآني.

وبعد جمع المادّة أعملت النظر فيها محاولاً تصنيفها لأنتهي إلى ستّة مباحث بحسب طبيعة المادّة تسبقها تمهيد عرضت فيه مفهوماً موجزاً للتفسير وما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام من روايات تشير إلى أهمية القرآن الكريم وفصائل بعض السور والآيات، ثمّ المبحث الأوّل وتابعت فيه تفسير الإمام الحسن عليه السلام للآيات القرآنية بحسب رؤيته مع الإيمان المطلق بأنّ ما يصدر عنه في حال صحّته فإنّ مصدره الوحي بالاتّصال بالنبوي صلى الله عليه وآله، وبعده يأتي المبحث الثاني وهو تفسير القرآن بالقرآن، يعقبه المبحث الثالث وهو التفسير بالمأثور، ويتلوه المبحث الرابع وهو التفسير بأسباب النزول، وبعده المبحث الخامس وهو التفسير العملي للقرآن الكريم، وذلك بإحصاء ما ورد من مواقف في الحياة اليومية للإمام الحسن عليه السلام يُشير بها إلى مصاديق بعض الآيات القرآنية وانطباقاتها على بعض الحوادث في عصره، وأخيراً المبحث السادس وتخصّص بقراءة الإمام الحسن عليه السلام؛ لأنّ القراءات القرآنية في كثيرٍ منها هي وجوه تفسيرية للآيات القرآنية.



وختامًا لا أدعي الكمال لما سطرْتُ ولكن حسبي أني بذلت جهدي وفوق كل ذي علمٍ عليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

التمهيد:

عُرِّفَ التفسيرُ بجملةٍ من التعاريف ومنها: ((هو علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن الكريم، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك))^(١)، وعُرِّفَ أيضًا بأنه: علم يبحث فيه أحوال القرآن المجيد من حيث دلالتها على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية^(٢).

فالتفسير علم يبحث في كلمات الله تعالى؛ بغية الوصول إلى المقاصد الإلهية ولو بدرجاتٍ مقاربة، ولكن لو اعتمدنا على المرجعيات الأصيلة في معرفة المقاصد القرآنية فإننا سنكون على أقرب درجة من المعرفة لحقائق القرآن الكريم، وأسلم مرجعية في ذلك بعد النبي أهل البيت عليهم السلام الذين أوصانا رسولنا بالتمسك بهم وجعلهم بمعية القرآن الكريم العاصمين من الضلال.

ومن هنا وجدنا لزاماً أن نتابع تفسير أهل البيت عليهم السلام في مدونات المسلمين؛ بوصفه صادراً من مرجعية هي الأعراف بكتاب الله تعالى بعد الرسول صلى الله عليه وآله، ومن هنا فإننا سنتابع تفسير الإمام الحسن عليه السلام في مدونات المسلمين غير الشيعة؛ إذ وردت له روايات تفسيرية لبعض الآيات القرآنية وقبل أن نبداً بعرض الروايات نبين بعض مقدمات التفسيرية لديه عليه السلام من قبيل بيان أهمية القرآن الكريم وكيفية التعامل معه وكذلك فضل بعض السور وآيات القرآن الكريم. فأمّا ما ورد من الأوّل فممنه ما روي عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام في أهمية القرآن الكريم وكيفية التعامل معه ما جاء بقوله: ((إنّ من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقّدونها في النهار))^(٣).

وفي سلامة القرآن الكريم من اللحن والخطأ يُنقل عن الإمام الحسن عليه السلام قوله ردّاً على ما دار بينه وبين سعيد بن العاص بقولهم: ((وإنّ سعيداً قال للحسن: أما إنّي قد أدخلت في كتابكم ألفَ حرف، وأسقطت منه ألفَ حرف، فقال له الحسن: فأنا مؤمّن بما أسقطت كافرٌ بما أدخلت، فقال له: ليس حيثُ يذهبُ إنما أردت إصلاح اللحن منه، فقال له الحسن: فأني الثلاثة لحن: الله تعالى الذي تكلم به، أم جبريل الذي نزل به، أم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بلغه))^(٤).



وأما ما ورد من فضائل السور عن الإمام الحسن عليه السلام ما جاء في أهمية سورة الكهف التي من شدة أهميتها أن الإمام الحسن عليه السلام يقرأها كل ليلة؛ لما لها من فضل وفضيلة^(٥). ومما ورد في فضل بعض الآيات القرآنية ما جاء عن الإمام الحسن عليه السلام في فضيلة آية الكرسي، وذلك بنقله عن النبي صلى الله عليه وآله بقوله: ((إن النبي صلى الله عليه وآله قال: من قرأ آية الكرسي دبر الصلاة المكتوبة، كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى))^(٦).

المبحث الأول/ تفسير الإمام الحسن عليه السلام للقرآن الكريم على وفق رؤيته:

عند قراءة التفسير نجد فيه مناهج كثيرة منها ما يعتمد المفسر على نفسه في إيراد البيان لآيات القرآن الكريم، ومنها التفسير بالأثر وغير ذلك من المناهج الأخرى وسندرج في هذا المبحث تفسير الإمام الحسن عليه السلام لبعض الآيات القرآنية، وهو تفسير لا يمكن عدّه من التفسير بالرأي؛ لأن الإمام عليه السلام متصلاً بالنبي صلى الله عليه وآله ثم بالله تعالى. وسنسوق بعضاً من الأمثلة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]

((حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، قَالَ: ثني يَحْيَى بْنُ يَعْقُوبَ أَبُو طَالِبٍ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: كَانَتْ لَيْلَةُ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ))^(٧).

ومن تفسير الإمام الحسن عليه السلام قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة هود: ١٧].

وقد اختلف المفسرون في مرجعية الضمير في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ﴾ على أقوال: ((قِيلَ فِي أَفَمَنْ كَانَ: الْمُؤْمِنُونَ بِالرَّسُولِ، وَقِيلَ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله خَاصَّةً... قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالنَّخَعِيُّ، وَجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَعِكْرِمَةُ: هُوَ جَبْرِيلُ. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: هُوَ الرَّسُولُ))^(٨).

فالإمام الحسن عليه السلام يكشف بأنَّ العائد في (كان) على الرسول محمد صلى الله عليه وآله.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]

((روى الحسن بن علي عليه السلام قال: فينا والله أهل البيت نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾))^(٩).

ومن الآيات الأخرى التي فسرها الإمام الحسن عليه السلام قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة: النحل: ٩٧]

((واختلف الناس في (الحياة الطيبة)، فقال ابن عباس والضحاك: هو الرزق الحلال، وقال الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: هي القناعة، وهذا طيب عيش الدنيا))^(١٠).

ومن التفسير أيضًا ما جاء عن الإمام الحسن عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [سورة مريم: ٢٤]

وهنا اختلف المفسرون في تحديد المنادي في الآية الكريمة على ثلاثة أوجه: ((الأول: أنه عيسى عليه السلام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير. والثاني: أنه جبريل عليه السلام وأنه كان كالمقابلة للوَلَد. والثالث: أن المنادي على القراءة بالكسر هو الملك، وعلى القراءة بالفتح هو عيسى عليه السلام، وهو مروى عن ابن عيينة وعاصم))^(١١).

ثم يرجح الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) الرأي الأول على وجوه أربعة كان الرابع منها رأي الإمام الحسن عليه السلام، وهو تفسير الضمير في قوله تعالى ﴿تَحْتَهَا﴾ بعيسى عليه السلام، وهذا ذكره في قوله: ((والأول أقرب لوجوه: الأول: أن قوله: فناداهَا مِنْ تَحْتِهَا بِفَتْحِ الْمِيمِ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ إِذَا كَانَ قَدْ عَلِمَ قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ تَحْتَهَا أَحَدًا وَالَّذِي عَلِمَ كَوْنُهُ حَاصِلًا تَحْتَهَا هُوَ عِيسَى عليه السلام فَوَجَبَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ بِكَسْرِ الْمِيمِ فَهِيَ لَا تَقْتَضِي كَوْنَ الْمُنَادِي جِبْرِيلَ عليه السلام، فَقَدْ صَحَّ قَوْلُنَا. الثاني: أن ذلك الموضع موضع اللوث والنظر إلى العورة وذلك لا يليق بالملائكة. الثالث: أن قوله فناداهَا فَعْلٌ وَلَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ فَاعِلُهُ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَلَقَدْ تَقَدَّمَ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ ذِكْرُ جِبْرِيلَ وَذِكْرُ عِيسَى عليه السلام إِلَّا أَنَّ ذِكْرَ عِيسَى أَقْرَبَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ [مريم: ٢٢]، وَالضَّمِيرُ هَاهُنَا عَائِدٌ إِلَى الْمَسِيحِ فَكَانَ حَمْلُهُ عَلَيْهِ أَوْلَى. والرابع:

وَهُوَ دَلِيلُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّ عِيسَى ﷺ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَلَمَهَا لَمَا عَلِمَتْ أَنَّهُ يَنْطِقُ فَمَا كَانَتْ تُشِيرُ إِلَى عِيسَى ﷺ بِالْكَلَامِ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ الْمُنَادِي هُوَ عِيسَى ﷺ، فَاَلْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى أَنْطَقَهُ لَهَا حِينَ وَضَعْتُهُ تَطْيِيبًا لِقَلْبِهَا، وَإِزَالَةً لِلْوَحْشَةِ عَنْهَا حَتَّى تُشَاهِدَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مَا بَشَّرَهَا بِهِ جَبْرِيلُ ﷺ مِنْ عُلُوِّ شَأْنِ ذَلِكَ الْوَلَدِ)) (١٢).

وَمِمَّا فَسَّرَهُ الْإِمَامُ الْحَسَنُ ﷺ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِذْ بَارَ النُّجُومُ﴾ [سورة الطور: ٤٩]

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَأَذْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠].

((قَالَ: ثَنَا يَحْيَى قَالَ: ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: ﴿أَذْبَارَ السُّجُودِ﴾: الرُّكْعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ)) (١٣).

وَمِمَّا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْأَنْفَةِ الذِّكْرُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَارَ النُّجُومُ﴾ [الطور: ٤٩]: ((عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ: ﴿وَإِذْ بَارَ النُّجُومُ﴾ [الطور: ٤٩] رَكْعَتَانِ قَبْلَ الصُّبْحِ، وَأَذْبَارَ السُّجُودِ [ق: ٤٠]: رَكْعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ)) (١٤).

وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

وَفِي مَعْرِضِ تَفْسِيرِ هَذِهِ آيَةِ ذِكْرِ أَبُو إِسْحَاقَ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧ هـ): ((وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: إِذَا صَاحَ النَّسْرُ قَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ عَشْ مَا شِئْتَ آخِرَهُ الْمَوْتَ، وَإِذَا صَاحَ الْعُقَابُ قَالَ: فِي الْبُعْدِ مِنَ النَّاسِ أَنْسَ، وَإِذَا صَاحَ الْقَبْرِ قَالَ: إِلَهِي الْعَنِ مَبْغِضِي آلَ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا صَاحَ الْخُطَّافُ قَرَأَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَمْدُ الضَّالِّينَ كَمَا يَمْدُ لِلْقَارِيَّ)) (١٥). وَفِي لَفْظٍ آخَرَ فِي مَعْرِضِ آيَةِ الْأَنْفَةِ الذِّكْرُ: ((وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: النَّسْرُ إِذَا صَاحَ قَالَ: يَا بَنَ آدَمَ عَشْ مَا شِئْتَ فَآخِرُكَ الْمَوْتُ، وَإِذَا صَاحَ الْعُقَابُ قَالَ: فِي الْبُعْدِ مِنَ النَّاسِ الرَّاحَةُ، وَإِذَا صَاحَ الْقُنْبَرُ قَالَ: إِلَهِي الْعَنِ مَبْغِضِي آلَ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا صَاحَ الْخُطَّافُ قَرَأَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إِلَى آخِرِهَا فَيَقُولُ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وَيَمْدُ بِهَا صَوْتَهُ كَمَا يَمْدُ الْقَارِيَّ)) (١٦).

وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩]

((وظاهر هذا الخبر أن الهبة كانت لزوجه عليه السلام، وأنه كان ذلك لما أراد فراق شعيب عليه السلام، وهو خلاف ما يقتضيه ظاهر ما تقدم، «فلما قضى موسى الأجل» أي أتمَّ المدة المضروبة لما أراد شعيب منه، والمراد به الأجل الآخر كما أخرجه ابن مردويه عن مقسم، عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام))^(١٧).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: «وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ ذُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ» [السجدة: ٢١]

((حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ثنا هُشَيْمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَوْفٌ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، أَنَّهُ قَالَ: «وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ ذُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ» [السجدة: ٢١] قَالَ: الْقَتْلُ بِالسَّيْفِ صَبْرًا))^(١٨).

«وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» [الأحزاب: ٣٧]

وفي تفسير هذه الآية نقلوا عن الإمام الحسن عليه السلام بما نصّه: ((عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألتني علي بن الحسين ما يقول الحسن في قوله: «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ»؟ فذكرت له فقال: لا، ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال: «اتقِ الله»، و«أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» فقال: قد أخبرتك أنني مزوجكها «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ»))^(١٩).

ومنه أيضاً قوله تعالى: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» [الضحى: ١١]

((عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي قَوْلِهِ: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» قَالَ: إِذَا أَصَبْتَ خَيْرًا فَحَدِّثْ إِخْوَانَكَ))^(٢٠).

وفي رواية أخرى: ((رجلٌ من أصحاب الحسن بن علي عليه السلام: دخلت على سيدي الحسن فقبلت يده، فناولني كفه وقال: قبله المؤمن من المؤمن من المصافحة. قلت: ما معنى قوله: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»؟ قال: هو الرجل يعمل عمل البرِّ يُخْفِيهِ عن المخلوقين، ثم يُطْلِعُ عَلَيْهِ ثِقَاتِهِ مِنْ إِخْوَانِهِ))^(٢١).

وفي رواية أخرى: ((وأخرج ابن أبي حاتم عن مقسم قال: لقيت الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ فقلت: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فقال: الرجل المؤمن يعمل عملاً صالحاً فيخبر به أهل بيته)) (٢٢).

وفي رواية أخرى: ((عن الحسن بن علي ﷺ أنه قال: إِذَا أَصَبْتَ خَيْرًا أَوْ نِعْمَةً فَحَدِّثْ بِهِ الثَّقَةَ مِنْ إِخْوَانِكَ)) (٢٣).

ومن تفسير الإمام الحسن ﷺ ما جاء في تفسير التكرار في سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ١ - ٥].

وفي بيان ذلك ((يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الزَّانِقَةِ سَأَلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ تَكَرُّرًا وَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَأَجَابَهُ الْحَسَنُ بِمَا حَاصِلُهُ: إِنَّ الْكَافِرَ قَالُوا: نَعْبُدُ إِلَهَكَ شَهْرًا وَتَعْبُدُ آلِهَتَنَا شَهْرًا فَجَاءَ النَّفْيُ مُتَوَجِّهًا إِلَى ذَلِكَ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ مِنَ التَّكَرُّارِ فِي شَيْءٍ بَلْ هِيَ بِالْحَذْفِ وَالِاخْتِصَارِ أَلْيَقُ وَذَلِكَ لِأَن قَوْلَهُ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، أَيُّ لَا أَعْبُدُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَا تَعْبُدُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾، أَيُّ وَلَا أَنَا عَابِدٌ فِي الْحَالِ مَا عَبَدْتُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ فِي الْحَالِ مَا أَعْبُدُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْقَصْدَ نَفْيَ عِبَادَتِهِ لِأَهْلِيهِمْ فِي الْأَزْمَنَةِ الثَّلَاثَةِ الْحَالِ وَالْمَاضِي وَالْإِسْتِقْبَالِ وَالْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ النَّفْيُ فِي الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ وَحَذْفُ الْمَاضِي مِنْ جِهَتِهِ وَمِنْ جِهَتِهِمْ وَلَا بُدَّ مِنْ نَفْيِهِ لِكِنَّهُ حُذِفَ لِدَلَالَةِ الْأَوَّلِينَ عَلَيْهِ)) (٢٤).

ومن تفسير آخر للإمام الحسن ﷺ للفظه (الناس) في أثناء ذكرهم لقوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢] ((وَسُئِلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ مَنِ النَّاسُ؟ فَقَالَ: نَحْنُ النَّاسُ، وَأَشْيَاعُنَا أَشْبَاهُ النَّاسِ، وَأَعْدَاؤُنَا النَّسْنَاسُ، فَقَبَّلَهُ عَلِيٌّ ﷺ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)) (٢٥).

المبحث الثاني/ تفسير القرآن بالقرآن:

وهو من المناهج التفسيرية المهمة، وآليته: أن ((نفس القرآن بالقرآن ونستوضح معنى الآية من نظيراتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآية))^(٢٦)، وقيل فيه أيضاً: ((أن تفسر الآيات القرآنية بعضها لبعض، أي: جعلها شاهداً لبعضها على الآخر فيستدل المفسر على هذه الآية مثلاً بتلك الآية؛ بهدف معرفة مراد الله تعالى من القرآن الكريم))^(٢٧)، على نحو ((تكون آيات القرآن بمثابة المصدر لتفسير آيات أخرى))^(٢٨)، وقد قسم الشيخ هادي معرفة النظر فيه على قسمين: ((الأول: ما أبهم في موضع، وبُين في موضع آخر، فيكون أحدهما متناسباً مع الآخر تناسباً معنوياً أو لفظياً. الثاني: هو أن الآية ليست بموضع الإبهام في آية أخرى لفظياً أو معنوياً، إنما يمكن أن تكون شاهداً لرفع ذلك الإبهام))^(٢٩)، وقد ورد للإمام الحسن (عليه السلام) جملة من الأمثلة في تفاسير المخالفين على نحو يُفسر فيه القرآن بالقرآن، ومن ذلك قوله

تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣]، وقد فسرها (عليه السلام) عبر آيتين هما:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١]

﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]

وذلك بما روي عنه: ((سأل رجل الحسن بن علي، عن ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: سألت أحداً قبلي؟ قال: نعم سألت ابن عمر وابن الزبير، فقالا: يوم الذبح ويوم الجمعة؛ قال: لا، ولكن الشاهد: محمد، ثم قرأ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾، والمشهد: يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾))^(٣٠).

وبرواية أكثر تفصيلاً وردت ((عن حباب، عن رجل، قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجل يحدث عن رسول الله ﷺ، والناس حوله، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود، قال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهد فيوم عرفة، فجزئته إلى آخر يحدث عن رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود، قال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، والمشهود يوم النحر، فجزئتهما إلى غلام كان وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود، قال: نعم، أما الشاهد فمحمد ﷺ، وأما المشهد فيوم

الْقِيَامَةِ، أَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: «يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا» [الأحزاب: ٤٥] وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: «ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ» [هود: ١٠٣]، فَسَأَلْتُ عَنْ الْأَوَّلِ، فَقَالُوا: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَأَلْتُ عَنِ الثَّانِي، فَقَالُوا: ابْنُ عُمَرَ، وَسَأَلْتُ عَنِ الثَّلَاثِ، فَقَالُوا: الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ((٣١)).

ومنه أيضًا ما جاء عنه ﷺ في تفسير قوله تعالى: «وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ» [نوح: ٥٢].

((وعن الحسن بن علي ﷺ أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا خَرَجَ تَبِعَهُ بَعْضُ حِجَابِهِ فَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ ذُو مَالٍ وَلَا يُولَدُ لِي، فَعَلِمَنِي شَيْئًا لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُنِي وَلَدًا، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالْإِسْتِغْفَارِ، فَكَانَ يَكْثُرُ الْإِسْتِغْفَارَ حَتَّى رُبَّمَا اسْتَغْفَرَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَبْعِمِائَةَ مَرَّةٍ، فَوُلِدَ لَهُ عَشْرَةُ بَنِينَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: هَلَا سَأَلْتَهُ مِمَّ قَالَ ذَلِكَ، فَوَفَدَ وَفْدَةً أُخْرَى، فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ هُودٍ ﷻ: «وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ» وَقَوْلَ نُوحٍ ﷻ: «وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ» ((٣٢)).

((وَقَدْ انْتَزَعَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ مِنْ هَذَا وَمِنْ قَوْلِهِ: «وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ»، أَنَّ كَثْرَةَ الْإِسْتِغْفَارِ قَدْ يَجْعَلُهُ اللَّهُ سَبَبًا لِكَثْرَةِ الْوَلَدِ، وَأَجَابَ مَنْ سَأَلَهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ ذُو مَالٍ وَلَا يُولَدُ لَهُ بِالْإِسْتِغْفَارِ، فَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَوُلِدَ لَهُ عَشْرُ بَنِينَ)) ((٣٣)).

وقد استشهد الإيجي الشافعي (ت: ٩٠٥ هـ) بقول للإمام الحسن ﷺ في معرض تفسيره لقوله تعالى: «وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ» [هود: ٥٢] في قوله: ((«وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» بِالْإِيمَانِ، «ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» ارجعوا إليه بالطاعة، «يُرْسِلِ» جواب الأمر، «السَّمَاءُ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا» كثير الدر، «وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ» يضاعف قوتكم بالمال والولد والشد في الأعضاء، ومنه قال الحسن بن علي ﷻ: من كثر استغفاره كثر نسله)) ((٣٤)).

المبحث الثالث / التفسير بالمأثور:

من المناهج المعتمدة في التفسير ما يطلق عليه بالتفسير بالرواية والأثر، وقد عُرِفَ بأنه: ((ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة تبيناً لمراد الله من كتابه))^(٣٥)، ولا يمكننا أن نعدّ تفسير القرآن بالقرآن من المأثور؛ لأنّ المتبادر إلى الذهن من الأثر هو ما ورد من سنة للنبي أو المعصوم أو أصحابهما وليس كذلك القرآن، وعليه فإنّنا عزلنا تفسير القرآن بالقرآن لعدم صحّة دخوله في مصطلح الأثر، ويبدو أنّ هذا هو رأي الزركشي الذي قسّم القرآن الكريم على قسمين فقال: ((واعلم أنّ القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد. والأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي، أو عن الصحابة أو عن رؤوس التابعين))^(٣٦). ولذلك فإنّ تفسير القرآن بالقرآن لا يدخل ضمن التفسير بالمأثور، وسنسوق بعض الروايات التي نقلها الإمام الحسن عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعلها المفسرون مفاتيح لتفسير بعض الآيات القرآنيّة. ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]

((ومنه ما روى الحسن بن علي قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: دَعَا مَا يُرِيكَ إِلَى مَا لَا يُرِيكَ فَإِنَّ الشَّكَّ رِيبة، وَإِنَّ الصَّدَقَ طَمَأنينة، أَي فَإِنَّ كَوْنَ الْأَمْرِ مَشْكُوكًا فِيهِ مِمَّا تَقْلُقُ لَهُ النَّفْسَ وَلَا تَسْتَقِرُّ، وَكَوْنُهُ صَاحِقًا صَادِقًا مِمَّا تَطْمَئِنُّ لَهُ وَتَسْكُنُ))^(٣٧).

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]

((روي عن الحسن بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للسائل حق وإن جاء على فرس))^(٣٨). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

((رَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) قَالَ: لِلْسَّائِلِ حَقٌّ وَلَوْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ))^(٣٩). أي روى عن النبي ﷺ .

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

((الحسن بن علي قال: حدثني علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان))^(٤٠).

المبحث الرابع / تفسير القرآن بأسباب النزول:

توصف (أسباب النزول)، بأنها الدواعي التي نزلت الآيات القرآنية بسببها فصارت متضمنة لها ومبينة لأحكامها، وقد قُسم الخطاب القرآني بالنظر إلى هذه الأسباب على قسمين: الأول، الآيات النازلة ابتداءً من دون علاقة بالأسباب الخارجية كالسؤال، والآخر، الآيات النازلة عقب حادثة أو سؤال، من قبيل: آيات الظهار في سورة المجادلة، وآية السؤال عن الخمر والميسر، إلى غير ذلك^(٤١). وهي من الآليات التفسيرية المهمة في كشف المقاصد القرآنية، وقد فسّر الإمام الحسن ﷺ جملةً من الآيات القرآنية ببيان أسباب نزولها، ومن جملة ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] ((روي عن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ أَلْفُ شَهْرٍ وَلَيْتَ فِيهَا بَنُو أُمِيَّةَ. قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَرَاهُمْ عَلَى الْمَنَابِرِ فَهَالَهُ ذَلِكَ فَأَحْصَيْتَ وَلَا يَتَهُم بَعْدَ ذَلِكَ فَكَانَتْ كَذَلِكَ))^(٤٢).

وفي رواية أخرى أكثر تفصيلاً نصّها أَنَّهُ: ((قَامَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَ: سَوَدَتْ وَجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ، عَمَدَتْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَبَايَعْتَهُ يَعْنِي مَعَاوِيَةَ فَقَالَ: لَا تُؤْتِنِي (رَحِمَكَ اللَّهُ) فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَرَى بَنِي أُمِيَّةَ يَخْطُبُونَ عَلَى مِنْبَرِهِ رَجُلًا رَجُلًا، فَسَاءَ ذَلِكَ، فَزَلْتُ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ وَنَزَلْتُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تَمْلِكُهُ بَنُو أُمِيَّةَ. قَالَ الْقَاسِمُ: اللَّهُمَّ فَحَسْبُنَا مَلِكُ بَنِي أُمِيَّةَ فَإِذَا هُوَ أَلْفُ شَهْرٍ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ))^(٤٣). ((وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر، فاهتم لذلك، فأعطاه الله ليلة القدر، وهي خير من ملك بني أمية ألف شهر، ثم كشف الغيب



أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر^(٤٤). ((ثُمَّ انْقَطَعُوا وَصَارُوا مَبْتُورِينَ))^(٤٥). وفي وصف آخر لبني أمية في هذا الحدث التفسيري ينقله أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) بقوله: ((وَعُوتَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى تَسْلِيمِهِ الْأَمْرَ لِمُعَاوِيَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَى فِي الْمَنَامِ نَبِيَّهُ ﷺ بَنِي أُمَيَّةَ يَنْزُونَ عَلَى مَقْبَرِهِ نَزْوَ الْقَرْدَةِ، فَاهْتَمَّ لِذَلِكَ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَهِيَ خَيْرٌ مِنْ مُدَّةِ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ هَذَا الْقَدْرُ مِنَ الزَّمَانِ))^(٤٦).

ومنه أيضاً ما ورد بتفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

((وروى في نزولها: أنه شجر بين علي بن أبي طالب ﷺ والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام، فقال له الوليد: اسكت فإنك صبي. أنا أشب منك شباباً، وأجلد منك جلداً، وأدرب منك لساناً، وأحد منك سنناً، وأشجع منك جنناً، وأملأ منك حشواً في الكتبية. فقال له علي ﷺ: اسكت، فإنك فاسق، فنزلت عامة للمؤمنين والفاستقين، فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما. وعن الحسن بن علي ﷺ: أنه قال للوليد: كيف تشتم علياً وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات، وسماك فاسقاً))^(٤٧).

المبحث الخامس / التفسير العملي للقرآن الكريم:

في هذا المبحث سنشير إلى جملة من الآيات القرآنية التي عمد الإمام الحسن ﷺ إلى تفسيرها عملياً، على وفق مواقف في الحياة اليومية؛ ولكنها تُشكّل مواقف تفسيرية بوصفها مصاديق تطبيقية للآيات القرآنية. ومن جملة ما ورد في ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]

((حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: ثنا مِسْعَرٌ، عَنْ رَجُلٍ: أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ كَانَ يَجْلِسُ إِلَى الْمَسَاكِينِ، ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ» [النحل: ٢٣])^(٤٨).

ومن جملة ذلك أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]

((عن حصين بن عبد الرحمن عن أبي جميلة قال: إن الحسن بن علي استخلف حين



قُتِلَ عَلِيٌّ ﷺ قَالَ: فِينِمَا هُوَ يَصِلِي؛ إِذْ وَثَبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَطَعَنَهُ بِخَنْجَرٍ، وَزَعَمَ حَصِينٌ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ الَّذِي طَعَنَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَحَسَنٌ سَاجِدٌ قَالَ: فَيَزَعُمُونَ أَنَّ الطَّعْنَةَ وَقَعَتْ فِي وَرْكَهِ فَمَرَضَ مِنْهَا أَشْهَرًا، ثُمَّ بَرَأَ فَقَعَدَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، اتَّقُوا اللَّهَ فِينَا فَإِنَّا أَمْرَاؤُكُمْ وَضَيْفَانُكُمْ، وَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قَالَ: فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى مَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ إِلَّا وَهُوَ يَحْنُ بِكَاءٍ)) (٤٩).

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ((عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سَلِيمَانَ الضَّبْعِيِّ عَنْ سَعْدِ بْنِ الطَّرِيفِ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ نَعُوذُهُ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ بَارئًا. قَالَ: كَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ الْحَسَنُ: أَسْنَدُونِي. فَأَسْنَدَهُ عَلِيٌّ إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: يَا بَنِي آدَمَ الْفَرَاثُصُ تَكُنْ مِنْ أَعْبَادِ النَّاسِ، وَعَلَيْكَ بِالْفَنُوعِ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، يَا بَنِي إِبْنِ الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَقَالُ لَهَا: شَجَرَةُ الْبَلَوَى، يَوْتِي بِأَهْلِ الْبَلَاءِ فَلَا يَنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ وَلَا يَنْشُرُ لَهُمْ دِيْوَانٌ، يَصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرَ صَبًّا - ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾)) (٥٠).

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا مَا وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وَفِي مَعْرُضِ هَذِهِ الْآيَةِ قِيلَ: ((وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي عِبَادَتِهِمْ وَهُمْ فِي أَكْمَلِ زِينَةٍ، فَهَذَا - مَثَلًا - الْإِمَامُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ لَبَسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ فَقِيلَ لَهُ يَا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ لِمَ تَلْبَسُ أَجْمَلَ ثِيَابِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يَحِبُّ الْجَمَالَ، فَأَنَا أَتَجَمَّلُ لِرَبِّي، لِأَنَّهُ هُوَ الْقَائِلُ: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾)) (٥١)، وَقِيلَ فِيهَا أَيْضًا: ((وَبِهَذَا الْمَعْنَى، أَخَذَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ؛ إِذَا كَانَ يَلْبَسُ أَجْوَدَ ثِيَابِهِ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ﴾ فَأَنَا أَتَجَمَّلُ لِرَبِّي وَهُوَ يَقُولُ: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾)) (٥٢).



وَمَا أَفَادَ الْمَفْسَّرُونَ مِنْ سِيرَةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عليه السلام) فِي تَفْسِيرِ بَعْضِ الْآيَاتِ بِوَصْفِ عَمَلِهِ أَحَدَ مَصَادِيقِ الْآيَةِ مَحَلَّ النَّظَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

وَفِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ قِيلَ: ((رَوَى مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا أَسَى عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ حَجَجْتُ مَاشِيًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾. وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ (عليهما السلام) حَجَّاهُ مَاشِيَيْنِ. وَرَوَى الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ الْعُرَيْنِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ الرُّصَافِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا نِدَمْتُ عَلَى شَيْءٍ فَاتَنِي فِي شَيْئِي إِلَّا أَنْ لَمْ أَحُجَّ رَاجِلًا، وَلَقَدْ حَجَّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ خَمْسًا وَعِشْرِينَ حَجَّةً مَاشِيًا مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ وَإِنَّ النَّجَائِبَ لَتَقَادُ مَعَهُ، وَلَقَدْ قَاسَمَ اللَّهُ ﷻ مَالَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِنَّهُ لَيُعْطِي النَّعْلَ وَيُمْسِكُ النَّعْلَ وَيُعْطِي الْخُفَّ وَيُمْسِكُ الْخُفَّ. وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ عَمْرِو بْنِ زَرٍّ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كَانُوا يَحْجُونَ وَلَا يَرْكَبُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾. وَرَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَمْشِي وَتَقَادُ دَوَابُّهُ)) (٥٣).

٤٨

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٨٠)

ذَكَرَ فِي مَعْرِضِ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مَقْطَعًا مِمَّا جَرَى بَيْنَ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عليه السلام) وَالْخَوَارِجِ، وَذَلِكَ بِمَا نَصَّهُ: ((عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ الْخَوَارِجِ فِي كَلَامٍ جَرَى بَيْنَهُمَا: بِمَ حَفِظَ اللَّهُ مَالَ الْغُلَامَيْنِ؟ قَالَ: بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا قَالَ فَأَبِي وَجَدِي خَيْرٌ مِنْهُ؟ قَالَ: قَدْ أَبْنَانَا اللَّهُ أَنْتَكُمُ قَوْمٌ خَصِمُونَ)) (٥٤). ((وَذَكَرَ مِنْ صِلَاحِ هَذَا الرَّجُلِ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَضَعُونَ عِنْدَهُ الْوَدَائِعَ فَيُرْدِيهَا إِلَيْهِمْ كَمَا وَضَعُوهَا، وَيُرَوِّى أَنَّهُ كَانَ سَبَاحًا)) (٥٥).

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ أَيْضًا مَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢]

((قِيلَ: مَا الْخُشُوعُ؟ قَالَ: الْخُشُوعُ عِلَاقِيَّةٌ، وَهُوَ الْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِقَامَةِ عَلَى شُرُوطِ آدَابِ الْأَمْرِ، وَهُوَ تَخْلِيصُ الْحَرَكَاتِ وَالسُّكُونِ عَمَّا سِوَاهُ، وَأَصْلُ ذَلِكَ الْخُشْيَةُ



في السر، فإذا أعطي الخشية ظهر الخشوع على ظاهره، وهي من شروط الإيذان. وقد حكي عن الحسن بن علي ﷺ أنه إذا فرغ من وضوئه تغير لونه، فقليل له في ذلك، فقال: يحقُّ على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه»^(٥٦).

ومما ورد في هذا الجانب كذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

((هذا خطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته، قال الحسن أمر الله عز وجل في هذه الآية بصلة الرحم، ونذب إلى أن تعطي القرابة من المال من غير الزكاة، ولهم في الزكاة حق وغير ذلك. وقال ابن عباس: هو أن تصل قرابتك والمساكين وتحسن إلى ابن السبيل. وقيل: عني بذئ القربى هنا قرابة رسول الله ﷺ. وروي ذلك عن الحسن بن علي، أن يعطوا من غير الزكاة))^(٥٧). أي أن القربى في الآية هم قربى رسول الله ﷺ، واشترط على أن لا يعطوا من الزكاة؛ لأنه بحكم الصدقة.

ومن الاستشهاد بسيرة الإمام الحسن ﷺ بالتفسير ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

((حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يُحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «كَانَ يَمْتَعُ بِالْحَادِمِ، أَوْ بِالنَّفَقَةِ، أَوْ بِكِسْوَةٍ» قَالَ: وَمَتَّعَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ أَحْسَبُهُ قَالَ: بِعَشْرَةِ آلَافٍ))^(٥٨).

وقيل فيها أيضًا: ((تحتمل الآية أن تكون في المطلقات المدخولات بهنَّ، وقد فرض لهنَّ أن يأمر الأزواج بالمتعة ندبًا، لا وجوبًا، على ما روي عن الحسن بن علي ﷺ أنه متَّع بعشرة آلاف))^(٥٩)، وهناك من قال: ((وَمَتَّعَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بِعَشْرِينَ أَلْفًا وَزِقَاقٍ مِنْ عَسَلٍ))^(٦٠).

وفي رواية أخرى يقول: ((وَمَتَّعَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ امْرَأَةً لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَقَالَتْ: مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَيِّبٍ مُفَارِقٍ))^(٦١). وهذه المرأة هي عائشة الخنعمية^(٦٢)، ومما قيل في سبب طلاقها أنه ((كَانَتْ عَائِشَةُ الْخَنْعَمِيَّةُ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَلَمَّا أُصِيبَ عَلِيٌّ وَبُوعَ الْحَسَنُ بِالْخِلَافَةِ قَالَتْ: لَتَهْنِكَ الْخِلَافَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: يُقْتَلُ عَلِيٌّ

وَتُظْهِرِينَ الشَّامَةَ! اذْهَبِي فَأَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا. قَالَ: فَتَلَفَعْتُ بِسَاحِجَهَا، وَقَعَدْتُ حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، فَبَعَثَ إِلَيْهَا بَعْشَرَةَ آلَافٍ مُتَعَةً، وَبَقِيَّةَ مَا بَقِيَ لَهَا مِنْ صَدَاقِهَا. فَقَالَتْ:

مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ

فَلَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُهَا بَكَى... وَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي أَبْنْتُ الطَّلَاقَ لَهَا لَرَجَعْتُهَا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَيُّمَا رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا عِنْدَ كُلِّ طَهْرٍ تَطْلِيقَةً، أَوْ عِنْدَ رَأْسِ كُلِّ شَهْرٍ تَطْلِيقَةً، أَوْ طَلَّقَهَا ثَلَاثًا جَمِيعًا لَمْ تَحِلَّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ)) (٦٣).

وعلى أساس ما تقدم استند عبد القادر بن ملا حويش (ت: ١٣٩٨ هـ) في التقنين للمسامحة في تقدير المتعة، وذلك بقوله: ((وعليهم أن يتسامحوا في هذه المتعة ما استطاعوا تطبيقاً لقلوبهم وجبراً لخواطرها، وقد أمتع الحسن بن علي (عليه السلام) إحدى مطلقاته بثمانية آلاف درهم، وكان جوابها له متاع قليل من حبيب مفارق)) (٦٤).

ومنه أيضاً ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبِإِ﴾ [آل عمران: ١٤]

((روى الحسن بن علي عن أبيه علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لما أراد أن يخلق الخلق قال للريح الجنوب: إني خالق منك خلقاً فأجعله عزاً لأوليائي، ومذلة على أعدائي، وجمالاً لأهل طاعتي، فقال الريح: أخلق، فقبض منها قبضة فخلق فيها فرساً، فقال له: خلقتك عربياً وجعلت الخير معقوداً بناصيتك، والغنائم مجموعة على ظهرك، عطفك عليك صاحبك، وجعلتك تطير بلا جناح، وأنت للطلب وأنت للهرب، وسأجعل على ظهرك رجالاً يسبحوني ويمجدونني، ويهللونني ويكبرونني، تسبحين إذا سبّحوا، وتهللين إذا هللوا، وتكبرين إذا كبروا)) (٦٥).

ومن الآيات الأخرى التي استشهد المفسرين في تفسيرها بسيرة الإمام الحسن (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

نقل المفسرون في تفسير هذه الآية من سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) ما نصّه: ((دُعَاءُ الْقُنُوتِ:

لَمَّا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَابْنُ حَبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي
الْحَوَرَاءِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقْوَهُنَّ فِي الْوُثْرِ: اللَّهُمَّ
اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ،
وَقِنِّي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا
وَتَعَالَيْتَ))^(٦٦).

ومن جملة ذلك أيضًا ما ورد بتفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى
حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١].

((حدثني السبعي قال: لما سلم الحسن بن عليٍّ لمعاوية الأمر، قال له معاوية: قم
فاخطب واعتذر إلى الناس، فقام الحسن فخطب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إِنَّ أَكْبَسَ
الْكَيْسَ التَّقَى، وَإِنَّ أَحْمَقَ الْحَمَقِ الْفُجُورَ، وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي اخْتَلَفْتَ فِيهِ أَنَا وَمَعَاوِيَةُ
إِمَّا حَقٌّ أَمْرِي كَانَ أَحَقَّ بِهِ، وَإِمَّا حَقٌّ كَانَ لِي فَتَرَكْتَهُ التَّمَاسُ الصَّلَاحَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ قَالَ:
﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾))^(٦٧). وهنا يشير الإمام الحسن عليه السلام بأنَّ أحد
مصاديق الفتنة في الآية الكريمة هو حكم معاوية بن أبي سفيان.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]

وقد علّق أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ) على هذه الآية بذكر محاوره
للإمام الحسن عليه السلام بقوله: ((وَرَوَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ قَالَ لِحَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْفُهْرِيِّ وَكَانَ
مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ رُبَّ مَسِيرٍ لَكَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ فَقَالَ أَمَّا مَسِيرِي إِلَى أَبِيكَ فَلَا فَقَالَ
الْحَسَنُ بَلَى وَلَكِنَّكَ اتَّبَعْتَ مُعَاوِيَةَ عَلَى عَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرُ وَاللَّهُ لَئِنْ قَامَ بِكَ مُعَاوِيَةُ فِي
دُنْيَاكَ لَقَدْ قَعَدَ بِكَ فِي دِينِكَ وَلَوْ كُنْتَ إِذْ فَعَلْتَ شَرًّا قُلْتَ خَيْرًا كُنْتَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ: ﴿خَلَطُوا
عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ وَلَكِنَّكَ أَنْتَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ
عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤])^(٦٨)، وهنا يبين الإمام الحسن عليه السلام أحد
مصاديق الآية وانطباقاتها وهو جزءٌ من التفسير العملي للقرآن الكريم.

ومن التطبيقات العملية للآيات القرآنية عند الإمام الحسن عليه السلام ما ورد في قوله تعالى:



﴿وَقَالَ اذْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرَّاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

((عن الحسن بن علي عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا: باسم الله الملك الرحمن الرحيم بسم الله مجريها. الآية))^(٦٩).
ومنه أيضاً: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

((وعن الحسن بن علي عليه السلام أن رجلاً قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيهًا قال: ليس بتيه ولكن عزة، وتلاه هذه الآية))^(٧٠). وهناك من روى إضافة أخرى على قول الإمام الحسن عليه السلام المتقدم، وهي: ((فإن هذا العز الذي لا ذل معه، والغنى الذي لا فقر معه))^(٧١).

ومن ذلك أيضاً ما جاء في بيان الخلق القرآني للإمام الحسن عليه السلام، وذلك بوصفه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

((قال عصام بن المصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي عليهما السلام، فأعجبني سمته وحسن روائه، فأثار مني الحسد ما كان يجنبه صدري لأبيه من البغض، فقلت: أنت ابن أبي طالب! قال نعم. فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إلي نظرة عاطف رءوف، ثم قال: أعود بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فقرأ إلى قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ثم قال لي: خفف عليك، استغفر الله لي ولك إنك لو استعنتنا أعناك، ولو استرفدتنا أرفدناك، ولو استرشدتنا أرشدناك. فتوسم في الندم على ما فرط مني فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أمن أهل الشام أنت؟ قلت نعم. فقال: شئشنة أعرفها من أخزم))^(٧٢).

ومن جملة ما ورد في التفسير العملي لآيات القرآن الكريم عند الإمام الحسن عليه السلام ما جاء في بيان بعض الأحكام الشرعية ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠].

((وعن الحسن بن علي عليه السلام، أنه قضى في اللقيط أنه حر، وقرأ: ﴿وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾))^(٧٣)، وقال القرطبي بعد ذكره لرأي الإمام الحسن عليه السلام: ((وإلى هذا ذهب



أَشْهَبُ صَاحِبُ مَالِكٍ، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ وَجَمَاعَةٍ^(٧٤).
ومن الاستدلال على بيان الأحكام الشرعية ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]
((أَمَّا إِنَّهُ يُسْتَحَبُّ التَّسْتَرُّ لِمَا رَوَاهُ إِسْرَائِيلُ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ دَخَلَ غَدِيرًا وَعَلَيْهِ بُرْدٌ لَهُ مُتَوَشَّحًا بِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ قِيلَ لَهُ، قَالَ: إِنَّمَا تَسْتَرْتُ مِمَّنْ يَرَانِي وَلَا أَرَاهُ، يَعْني مِنْ رَبِّي وَالْمَلَائِكَةِ))^(٧٥).

ومنه أيضًا ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

((عندما استشار رجل سيدنا الحسن بن علي عليه السلام قال: زوجهما من ذي الدين، إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها))^(٧٦).

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٢ - ١٣]

((عَنْ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ قَالَ: رَكِبْتُ دَابَّةً، فَقُلْتُ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، فَسَمِعَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ وَاهْبَارِي: قَالَ الْمُحَارِبِيُّ: فَسَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: هُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام، فَقَالَ: «أَهْكَذَا أُمِرْتُ؟» قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ؟ قَالَ: تَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا فِي خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ ذَكَرْتَ نِعْمًا عَظِيمًا، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٤])^(٧٧).



المبحث السادس / قراءة الإمام الحسن (عليه السلام) في تفاسير المخالفين:

القراءة: ((علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله))^(٧٨)، أو هي: ((علم يُعلم منه إتقان الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيأة النطق، والإبدال، وغيره من حيث السماع))^(٧٩)، أو هي ((علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله))^(٨٠). ولها مقاييس لتمييز الصحيحة من الشاذة وهي^(٨١):

١. صحة السند والرواية .

٢. موافقة رسم المصحف .

٣. موافقة العربية .

وقد ذكرت تفاسير العامة جملةً من القراءات القرآنية ونسبتها للإمام الحسن (عليه السلام)، وهناك من نصَّ على أن أحد مصادر الكسائي في قراءته الإمام الحسن (عليه السلام)، وذلك بما نقله السخاوي بما نصَّه: ((وأما الكسائي فإن قراءته راجعة إلى حمزة، وإلى حروف رويت عن رسول الله ﷺ وعن علي (عليه السلام)، وعن عبد الله بن عباس، وعن الحسن بن علي (عليه السلام))^(٨٢).

ومن الأمثلة على قراءة الإمام الحسن (عليه السلام) الواردة في كتب المخالفين ما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وفيها وردت قراءة للإمام الحسن (عليه السلام) نُقلت بما نصَّه: ((ولوالدي، على الأفراد، يعنى أباه. وقرأ الحسن بن علي (عليه السلام): ولولدي، يعنى إسماعيل وإسحاق، وقرئ: لولدي، بضم الواو. والولد بمعنى الولد، كالعدم والعدم. وقيل: جمع ولد، كأسد في أسد. وفي بعض المصاحف: ولذرّيتي))^(٨٣).

وذكرت قراءة الإمام الحسن (عليه السلام) ونُسبت إلى غيره من أهل البيت (عليهم السلام) وبعضاً من التابعين، وذلك بقولهم: ((وقرأ الحسن بن علي (عليه السلام)، وأبو جعفر محمد، وزيد ابنا علي، وابن يعمر، والزهري، والنخعي «ولولدي» بغير ألف وبفتح اللام ثنية ولد يعني بهما إسماعيل وإسحاق))^(٨٤).

ومن الأمثلة الأخرى لقراءة الإمام الحسن (عليه السلام) ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا



كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿[نوح: ٢٦ - ٢٧]

((وَلِوَالِدَيَّ أَبُوهُ لَكَ بَنُ مَتَّوْشَلَخَ وَأُمُّهُ شَمَخَاءُ بِنْتُ أَنْوَشَ وَكَانَا مُؤْمِنِينَ، وَقَالَ عَطَاءُ: لَمْ يَكُنْ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ آبَائِهِ كَافِرٌ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ عَشْرَةُ آبَاءٍ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ (وَلِوَالِدَيَّ) يريد ساما وحاما))^(٨٥).

وفي رواية أخرى: ((وَقَرَأَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَيَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ وَالنَّخَعِيُّ وَالزُّهْرِيُّ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: وَلِوَالِدَيَّ ثَنِيَّةٌ وَلَدٍ، يَعْنِي سَامًا وَحَامًا))^(٨٦).

ومن الأمثلة الأخرى ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ الْشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِحِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]

((ومعنى (وسوس إليه) أنهى إليه الوسوسة، كقولك. حدث إليه. وأسر إليه. أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود، لأن من أكل منها خلد بزعمه، كما قيل لحيزوم: فرس الحياة، لأن من باشر أثره حيي ومُلك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس: إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ بالكسر))^(٨٧). وقال أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ): ((وَمَعْنَى عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ أَيِ الشَّجَرَةِ الَّتِي مَنْ أَكَلَ مِنْهَا خُلِدَ وَحَصَلَ لَهُ مُلْكٌ لَا يَخْلُقُ، وَهَذَا يَدُلُّ لِقِرَاءَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ بِكَسْرِ اللَّامِ))^(٨٨).

ومن المثلة الأخرى أيضا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]

((والمعنى: فلما لم يبق لزید فيها حاجة، وتقاصرت عنها همته، وطابت عنها نفسه، وطلقها، وانقضت عدتها زوّجناكها، وقراءة أهل البيت: زوّجتكها. وقيل لجعفر بن محمد عليه السلام: أليس تقرأ عليّ غير ذلك، فقال: لا والذي لا إله إلا هو، ما قرأتها على أبي إلا كذلك، ولا قرأها الحسن بن عليّ على أبيه إلا كذلك، ولا قرأها على بن أبي طالب على النبي ﷺ إلا كذلك))^(٨٩).



ومن ذلك القراءة في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].
 روي ((عن أبي قتادة الأنصاري عن أبيه قال: سمعت الحسن بن علي بن أبي طالب على المنبر يقول: ﴿ذُقْ إِنَّكَ﴾ بفتح الألف))^(٩٠)، ونقل أيضاً بأن الكسائي قرأ بهذه القراءة وذلك بقولهم: ((وقرأ الحسن بن علي عليه السلام ﴿ذُقْ إِنَّكَ﴾ بفتح الهمزة، وهي قراءة الكسائي))^(٩١)، وقد بينوا أن ((المعنى في فتحها: ذُقْ بهذا القول الذي قلته في الدنيا، ومن كسر حكى قوله، وذلك أن أبا جهل لقي النبي ﷺ قال: فأخذ النبي ﷺ فهزه، ثم قال له: أولى لك يا أبا جهل أولى فأنزلها الله كما قالها النبي ﷺ))^(٩٢)، وقال أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ): ((والمعنى عليها: ذق لأنك كنت تقول هذا، والمعنى على قولك))^(٩٣).

ومن ذلك أيضاً ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾ [القيامة: ١٠]
 ((وقرأ الحسن بن علي بن أبي طالب، والحسن بن زيد، وابن عباس والحسن وعكرمة وأيوب السخيتي وكلثوم بن عياض ومجاهد وابن يعمر وحماد بن سلمة وأبو رجاء وعيسى وابن أبي إسحاق وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزهرري: بكسر الفاء، وهو موضع الفرار))^(٩٤)، والمعنى: ((بفتح الميم والفاء، أي: الفرار، وهي قراءة الجمهور، وقرئ: بفتح الميم وكسر الفاء، وهو موضع الفرار))^(٩٥).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَنَا صَبِينَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥]
 ((قرأ الجمهور ﴿أَنَا﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف في ذكر تعداد أسباب الوصول إلى الطعام، وقرأ الكوفيون والأعرج وابن وثاب والأعمش ورويس عن يعقوب ﴿أَنَا﴾ بفتحها على أنه بدل من طعامه بدل الاشتغال؛ لكون نزول المطر سبباً لحصول الطعام، فهو كالمشتمل عليه، فالثاني مشتمل على الأول؛ إذ لا يلزم فيه أن يكون المبدل منه مشتملاً على البديل، فحينئذ العائد محذوف، والتقدير: أنا صبيناه الماء. والمعنى عليه: فلينظر الإنسان إلى أنا صبيناه الماء صباً. وقرأ الحسن بن علي عليه السلام: (أنى) بالفتح، والإمالة على معنى: فلينظر الإنسان كيف صبيناه الماء))^(٩٦).



الخاتمة

١. أثبتت الدراسة بأنَّ هناك جهداً قرآنياً خصباً للإمام الحسن بن عليّ ﷺ في تفاسير العامّة ومصنّفاتهم القرآنيّة.
٢. بيّنت الدراسة الجهد التفسيري للإمام الحسن ﷺ في مدونات العامّة التفسيرية، ومن ذلك الجهد ما كان منفرداً به الإمام الحسن ﷺ، ومنه ما صار طريقاً لمن بعده في اتّباعه.
٣. كشفت الدراسة عن ملامح لمنهج الإمام الحسن ﷺ بالتفسير، ومن تلك الملامح تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالأثر وتفسير القرآن بأسباب النزول، والتفسير العملي للقرآن الكريم، عبر تطبيقه في الحياة اليوميّة على مصاديق آياتٍ بعينها.
٤. استقرت الدراسة ما جاء من قراءاتٍ قرآنيّة للإمام الحسن ﷺ في تفاسير العامّة، وكذلك كشفت عن أنّ الإمام الحسن ﷺ كان مصدراً لبعض القراء من قبيل الكسائي.

الهوامش

- ١- الإلتقان في علوم القرآن: ١٧٤/٢.
- ٢- ينظر: دراسات في التفسير ورجاله: ١٤.
- ٣- التبيان في آداب حملة القرآن: ٥٤، مفاتيح للتعامل مع القرآن: ٤٤.
- ٤- الانتصار للقرآن: ١٩/١.
- ٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٩٠/٨.
- ٦- مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ، «الْمَقْصِدُ الْأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلْمُسَمَّى»: ٤٧/٢.
- ٧- تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٠٢/١١.
- ٨- البحر المحيط في التفسير: ١٣٤/٦.
- ٩- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٣٣/٤.
- ١٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤١٩/٣.
- ١١- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير: ٥٢٧/٢١، ينظر: تفسير حقائق الروح والريحان في رواي علوم القرآن: ١٠٩/١٧.
- ١٢- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير: ٥٢٧/٢١، ينظر: تفسير حقائق الروح والريحان في رواي علوم القرآن: ١٠٩/١٧.
- ١٣- تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٦٩/٢١، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: ٣٨٣/٤.
- ١٤- تفسير عبد الرزاق: ٢٣٣/٣.
- ١٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٩٣/٧.
- ١٦- الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي: ١٦٦/١٣.
- ١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢٧٩/١٠.
- ١٨- تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦٣٠/١٨، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٣٢/١١.
- ١٩- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: ٣٤٥/٩، تفسير القرآن العظيم - تفسير ابن كثير: ٣٧٨/٦، الأساس في التفسير: ٤٤٣٠/٨، أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين: ٥٢.
- ٢٠- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٣٤٤٤/١٠، تاريخ نزول القرآن: ١٥٥.
- ٢١- كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ١٢٣.
- ٢٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣٨٤/١٥.
- ٢٣- تفسير القرآن، أبو المظفر: ٢٤٦/٦، ينظر: الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي: ١٠٢/٢٠.
- ٢٤- البرهان في علوم القرآن: ٢٢/٣.
- ٢٥- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير: ٣٤٠/٣٢.
- ٢٦- الميزان في تفسير القرآن: ١١/١.

٢٧- المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم: ٦٥.

٢٨- المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ٤٢.

٢٩- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ٢ / ٢٢ - ٢٥.

٣٠- تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٤ / ٢٦٦ ، ينظر: تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة: ٣ / ١٨٨ ، النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه): ٥٤٤ ، إعراب القرآن للأصبهاني: ٥٠٨ ، تفسير القرآن العظيم: ٨ / ٣٦٥ ، فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٥ / ١٦٠ .

٣١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٠ / ١٦٥ - ١٦٦ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٤ / ٤٥٨ ، ينظر: تفسير القرآن، أبو المظفر: ٦ / ١٩٤ ، زاد المسير في علم التفسير: ٤ / ٤٢٤ .

٣٢- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢ / ٤٠٢ ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): ٢ / ٦٧ ، تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ١٣ / ١٢٧ ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٣ / ٣٥٨ .

٣٣- البحر المحيط في التفسير: ٦ / ١٦٧ .

٣٤- تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن: ٢ / ١٨١ .

٣٥- مناهل العرفان: ٢ / ١٥ .

٣٦- البرهان في علوم القرآن: ٢ / ١٧٢ .

٣٧- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ١ / ٣٤ ، تفسير القرآن العظيم: ١ / ٧١١ .

٣٨- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٥ / ٤١٤ .

٣٩- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير: ٥ / ٢١٨ .

٤٠- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١ / ١٤٦ .

٤١- ينظر: الإتيان في علوم القرآن: ١ / ١٠٧ ، من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله (ﷻ): ٣٧ ، معجم علوم القرآن: ٣٤ - ٣٥ .

٤٢- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس: ٥ / ١٦٦ .

٤٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٠ / ٢٥٧ ، ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجل من فنون علومه: ١٢ / ٨٣٧٢ ، تفسير القرآن، أبو المظفر: ٦ / ٢٦١ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥ / ٥٠٥ ، أحكام القرآن، القاضي المعافري: ٤ / ٤٢٩ ، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي: ٢٠ / ١٣٣ ، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٨ / ٤٤١ ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ٨ / ٤٧٣ .

٤٤- التسهيل لعلوم التنزيل: ٢ / ٥٠٠ ، فتح الرحمن في تفسير القرآن: ٧ / ٤٠٦ .

٤٥- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير: ٣٢ / ٣٢١ .

٤٦- البحر المحيط في التفسير: ١٠ / ٥١٥ .

٤٧- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣ / ٥١٤ - ٥١٥ .

- ٤٨- تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٤/ ١٩٨ ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: ٦/ ٣٩٧٢ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٣٨٧ .
- ٤٩- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٩/ ٣١٣٢ ، ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨/ ٣٨٢ ، ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٨/ ٤٢٨ ، التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٠٥ ، الإكليل في استنباط التنزيل: ٢٩٢ .
- ٥٠- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٨/ ٢٢٥ - ٢٢٦ .
- ٥١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٥/ ٢٦٥ .
- ٥٢- المصدر نفسه: ٣/ ١٤٠٩ .
- ٥٣- أحكام القرآن، أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي: ٥/ ٦٥ ، زاد المسير في علم التفسير: ٣/ ٢٣٣ ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٤/ ٣٠٢ .
- ٥٤- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير: ٢١/ ٤٩٢ .
- ٥٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٨/ ٣٣٦ .
- ٥٦- تفسير التستري: ١٠٩ .
- ٥٧- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: ٦/ ٤١٨٢ .
- ٥٨- تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤/ ٢٩٢ .
- ٥٩- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٢/ ٢١٦ .
- ٦٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٣١٩ ، البحر المحيط في التفسير: ٢/ ٥٣٢ .
- ٦١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢/ ١٩١ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي: ١/ ٣٢٠ ، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١/ ٦٤١ .
- ٦٢- البحر المحيط في التفسير: ٢/ ٥٣٢ .
- ٦٣- الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي: ٣/ ٢٠٢ ، ينظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام: ١/ ٣٧٦ .
- ٦٤- بيان المعاني: ٥/ ٢٠٧ .
- ٦٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣/ ١٦ .
- ٦٦- فضائل القرآن، النسائي: ١٤٦ ، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٦/ ٤٧٢ .
- ٦٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٦/ ٣١٤ ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: ٧/ ٤٨٣٧ .
- ٦٨- أحكام القرآن، أبو بكر الرازي الجصاص: ٤/ ٣٥٥ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٦/ ١٤ .
- ٦٩- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ١٣/ ٩٥ ، فتح البيان في مقاصد القرآن: ٦/ ١٨٣ .
- ٧٠- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤/ ٥٤٣ ، فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٤/ ١٥١ ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٤/ ٤١١ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ٢٨/ ٢٢٧ .
- ٧١- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير: ٣٠/ ٥٤٩ ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل):

- ٣/ ٤٨٨ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٤/ ٣١١ ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ١٠/ ١٤٣٤ .
- ٧٢- الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي: ٧/ ٣٥٠ - ٣٥١ ، ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ٩/ ٢٢٢ .
- ٧٣- أحكام القرآن، أبو الحسن الطبري: ٤/ ٢٣٠ ، أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ): ٣/ ٤٢ .
- ٧٤- الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي: ٩/ ١٣٤ .
- ٧٥- المصدر نفسه: ١٤/ ٢٥١ .
- ٧٦- تفسير الشعراوي - الخواطر: ٤/ ٢١٩٧ .
- ٧٧- تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٠/ ٥٥٨ ، ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤/ ٢٣٩ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/ ٤٨ ، مفاتيح الغيب - التفسير الكبير: ٢٧/ ٦٢٢ ،
- ٧٨- منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ٦١ .
- ٧٩- تحف فضلاء البشر: ١/ ٦٧ .
- ٨٠- منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ٩ .
- ٨١- ينظر: النشر ١/ ٩ ، والقراءات القرآنية - تاريخ وتعريف: ٥٢ .
- ٨٢- جمال القراء وكمال الإقراء: ٥٢٣ .
- ٨٣- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/ ٥٦٢ .
- ٨٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٧/ ٢٢٩ .
- ٨٥- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير: ٣٠/ ٦٦٠ .
- ٨٦- البحر المحيط في التفسير: ١٠/ ٢٨٩ ، ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١٠/ ٤٧٨ .
- ٨٧- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣/ ٩٢ .
- ٨٨- البحر المحيط في التفسير: ٧/ ٣٩٢ .
- ٨٩- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣/ ٥٤٣ .
- ٩٠- معاني القرآن، الفراء: ٣/ ٤٣ .
- ٩١- معاني القرآن، النحاس: ٦/ ٤١٤ ، ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٩/ ٤٠٨ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٣/ ١٣٢ ، الموسوعة القرآنية: ٦/ ٢٤٤ .
- ٩٢- تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ٢٦/ ٣٩٣ .
- ٩٣- معاني القرآن، النحاس: ٦/ ٤١٤ .
- ٩٤- البحر المحيط في التفسير: ١٠/ ٣٤٦ ، الموسوعة القرآنية: ٦/ ٣٥٦ .
- ٩٥- الموسوعة القرآنية: ٦/ ٣٥٦ .
- ٩٦- تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ٣١/ ١٣٣ ، فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٥/ ٨٤ .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* تحاف فضلاء البشر بقراءات القرآن الأربعة عشر، المسمى (منتهى الأمانى والمسرات فى علوم القراءات)، للشيخ أحمد بن محمد البنا (١١١٧هـ)، تحقيق: محمد اسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، عالم الكتب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

* الإتقان فى علوم القرآن جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

* أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.

* أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلى المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

* أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفى: ٥٠٤هـ)، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.

* الأساس فى التفسير، سعيد حوى (ت: ١٤٠٩هـ)، دار السلام - مصر - القاهرة، ط ٦، ١٤٢٤هـ. ق.

* أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني

الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

* إعراب القرآن للأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

* إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.

* الإكليل فى استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

* الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتوح - عمان، دار ابن حزم - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

* أنوار الملالين فى التعقبات على الجلالين، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، ط ١، ١٤١٤هـ.

* البحر المحيط فى التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.

جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية،
ط ١، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.

* تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن،
محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد
الله الحسيني الحسيني الإيجي الشافعي (ت:
٩٠٥ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١،
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

* تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن
يونس بن ربيع التستري (ت: ٢٨٣ هـ)، جمعها:
أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل
عيون السود، منشورات محمد علي بيضون /
دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
* تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي
الشعراوي (ت: ١٤١٨ هـ)، مطابع أخبار
اليوم، عام ١٩٩٧ م.

* تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي
القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير
بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت:
٣١٠ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد
المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث
والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد
السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر
والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

* تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد
عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر
التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم
(ت: ٣٢٧ هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب،
مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية
السعودية، ط ٣، ١٤١٩ هـ.

* تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد
عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر

* البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين
محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت:
٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،
دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي
وشرائه، ط ١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

* بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، عبد
القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي
العاني (ت: ١٣٩٨ هـ)، مطبعة الترقى - دمشق،
ط ١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.

* تاريخ نزول القرآن، محمد رأفت سعيد، دار
الوفاء - المنصورة، مصر، ط ١، ١٤٢٢ هـ -
٢٠٠٢ م.

* التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي
الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦ هـ)،
حققه وعلق عليه: محمد الحجار، ط ٣،
مريدة ومنقحة، دار ابن حزم للطباعة والنشر
والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

* التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير
العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،
محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن
عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية
للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.

* التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن
أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي
الغرناطي (ت: ٧٤١ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد
الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم -
بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ.

* تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر
سورة السجدة، محمد بن الحسن بن فورك
الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت: ٤٠٦ هـ)،
دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش،

بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط ١، (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).

* التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط ١.

* تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الحرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

* تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الباني الصنعاني (ت: ٢١١ هـ)، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، سنة ١٤١٩ هـ.

* التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ذوي القربى، مشهد - إيران، (د. ط)، ١٤١٨ هـ.

* الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

* جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣ هـ)، تحقيق: د. مروان العطية - د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

التميمي، الخنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧ هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩ هـ.

* تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

* تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩ هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

* تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

* التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط ٢، ١٤١٨ هـ.

* تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠ هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، رازجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

* التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية

* الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

* دراسات في التفسير ورجاله، أبو اليقظان عطية الجبوري، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة.

* روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي، مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، ط ٣، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.

* زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

* الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت: ١١٥٠ هـ)، تحقيق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم)، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، ط ١، ١٤٢٧ هـ.

* عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو

العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

* فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

* فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت: ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية)، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

* فضائل القرآن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: د. فاروق حمادة، دار إحياء العلوم / دار الثقافة - بيروت / الدار البيضاء، ط ٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

* القراءات القرآنية - تاريخ وتعريف، للدكتور عبد الهادي الفضلي، دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

* كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: ٣٧٠هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م).

* الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزنجشري - جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي -

بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

* الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن

محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت:

٤٢٧ هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور،

مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار

إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١،

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

* لسان العرب، محمد بن مكرم بن منصور

الأفريقي المصري (ت: ٧١١ هـ)، دار صادر

ط ١، بيروت .

* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو

محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن

تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢ هـ)،

تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار

الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ ،

* مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ،

«الْمُقَصِّدُ الْأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ

لِلْمُسَمَّى»، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط

بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ)،

مكتبة المعارف - الرياض، ط ١، ١٤٠٨ هـ -

١٩٨٧ م.

* معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي،

محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن

محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠ هـ)،

تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث

العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.

* معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد

(ت: ٣٣٨ هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني،

جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٩ هـ.

* معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد

الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧ هـ)،

تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي

بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

* مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، أبو عبد الله

محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي

الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب

الري (ت: ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي

- بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.

* مفاتيح للتعامل مع القرآن، دصلاح عبد الفتاح

الخالدي، دار القلم - دمشق، ط ٣، ١٤٢٤ هـ -

٢٠٠٣ م.

* المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، علي رضا

الأصفهاني، مركز المصطفى العالمي، ط ٢،

١٤٣١ هـ.

* مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني،

المكتبة العصرية، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

* منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لأبي الخير محمد

بن محمد الدمشقي الشهير بـ (ابن الجزري)

(٨٣٣ هـ)، صححه: محمد حبيب الله الشنقيطي

، وأحمد محمد شاكر، المطبعة الوطنية الإسلامية

مصر ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٠ م.

* المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم، هدى

جاسم أبو طبرة، مكتب الإعلام الإسلامي،

ط ١، ١٤١٤ هـ.

* موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور،

أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر

للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية، ط ١،

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

* الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري

(المتوفى: ١٤١٤ هـ)، مؤسسة سجل العرب،

١٤٠٥ هـ.

* الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي،

إسماعيليان، قم - إيران، ط ١، ١٣٩٣ هـ.

والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
- جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
* الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن
علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي،
النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ)، تحقيق
وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،
الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد
محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل،
الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه:
الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

* النشر في القراءات العشر، لحافظ أبي الخير محمد
بن محمد الشهير بـ (ابن الجزري) (٨٣٣ هـ)
، صححه: علي محمد الصباغ، دار الكتب
العلمية، بيروت د. ت.
* الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن
وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه،
أبو محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن
محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي
القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧ هـ)، تحقيق:
مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا
والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.
د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب

سيرة الإمام الحسن عليه السلام من وجهة نظر مستشرفي
دائرة المعارف الإسلامية



د. حيدر جابر عبد الربيعي
الباحث يحيى شعيب السلطاني
وزارة التربية / مديرية تربية الرصافة الأولى.

ملخص البحث

تطرق البحث لسيرة الإمام الحسن عليه السلام وكل ما يخص فترة خلافته بدءاً من البيعة له عليه السلام خليفة للمسلمين (٤١هـ / ٦٦١) فضلاً عن قضية الصلح وكذلك شروط الاتفاق بينه وبين معاوية وما شابها من افتراءات وتداعيات، وكذلك موقف أنصار الإمام الحسن عليه السلام من تنازله عن الخلافة إلى معاوية، وقرار اعتزال الإمام الحسن عليه السلام ومغادرته الكوفة بعد الصلح إلى المدينة واستشهاده (٥٠هـ / ٦٧٠م). في ضوء آراء مستشقين دائرة المعارف الإسلامية.

Abstract

This study provides an in-depth look at the life of Imam Hassan (peace be upon him) and the events occurred during his period as the Muslim caliph (41 AH/661 AD), including the contentious issue of the peace treaty and the conditions outlined in the agreement between him and Mu'awiyah. The research also explores the reaction of Imam Hassan's adherents to his decision to relinquish the caliphate to Mu'awiyah and his subsequent decision to retire to Medina, where he was martyred (50 AH/670 AD). This analysis is informed by the perspectives of Western scholars in Islamic Encyclopedia.

المقدمة

يُعدُّ الإمام الحسن (عليه السلام) المؤسس الحقيقي لثورة الإمام الحسين والمهد لها، فالصلح الذي أبرمه الإمام الحسن، كشف كيد معاوية وفضحه وبيّن للمجتمع الكوفي مكره وخداعه، فضلاً عن نكته لوعود الصلح. فبيّن الإمام الحسن غايات بني أمية ودسائسهم وهم لا يمثلون الاسلام بصورة تدريجية، واتضح ذلك للمجتمع الكوفي طيلة مدة حكم معاوية وابنه يزيد والتي اتسمت بالظلم والاستبداد، فدفعهم لمراسلة الإمام الحسين والاستنجاد به لتخليصهم من ظلم الامويين المتمثلة بيزيد، فالحسن ألهم البشرية اسلوب حقن الدماء، ومبدا التسامح والتعايش السلمي، وهي من اعظم الملامح التي نقلها التاريخ، فامتدت ابعادها بأروع صور التضحية من اجل اقرار اسمى معاني الدين الا وهي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك تميزت بالخلود والبقاء.

ان الإمام الحسن (عليه السلام) وصلحه هو جزء من تراث الاسلام، فقد اولوا لها المستشرقون اهتماماً خاصاً، فافردوا له المقالات والبحوث من وجهة نظرهم ووفق منظورهم وتوجهاتهم الخاصة والتي وظفوها حسب افكار مدارسهم الاستشرافية التي نشأوا فيها، فكان لمستشقي دائرة المعارف الاسلامية اراء دونوها ضمن هذه الموسوعة.

يحاول هذا البحث الاجابة عن تساؤل مهم «هل عبّرت الآراء الواردة في دائرة المعارف الاسلامية عن حقيقة شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) وطبيعة الظروف التي تمّ بموجبه عقد الصلح». في مقالات المستشرقين ام ان احكامهم وآرائهم كانت نابعة من ايدولوجياتهم ومدارسهم الفكرية المناهضة للإسلام، وسيحاول الباحثان الاجابة عن هذه الاشكالية عن طريقة الخطة المنهجية للبحث الذي قُسم على ثلاثة مباحث؟ تطرق المبحث الاول الى نبذة عن بدايات دائرة المعارف، اما المبحث الثاني تحدث عن الحسن (عليه السلام) في مقومات الحياة والمجتمع، وجاء المبحث الثالث عن الصلح وظروفه في ظلّ الوضع السياسي للدولة الاسلامية آنذاك.

المبحث الاول

(نبذة عن دائرة المعارف)

أولاً: دائرة المعارف الاسلامية قبيل اصدارها

اهتم الغربيون بعلوم الشرق ومعارفه منذ بداية الاستعمار واساليبه حيث سعوا جاهدين لجمع تراث العرب بكل الوسائل من اجل الوقوف على ادق التفاصيل ومعرفتها، وهذا يكمن وراء مؤسسات مؤدجلة لخدمة غاياتهم السياسية والفكرية لفهم كل تاريخ العرب وافكارهم وعقائدهم للسيطرة عليهم من خلال مكامن خاصة تكون حساسة يعولون عليها تخدم توجهاتهم، ونتيجة لاهتمام الغرب بالثقافة العربية ظهر مصطلح الاستشراق^(١)، والذي يبين عمق اهتمامهم بتراث المسلمين والشرق بكل ثقافاتهم سواء العلمية او الادبية فضلاً لتقاليدهم وعاداتهم حيث امتزجت واثرت بالدراسات التي تخص الحضارة الاسلامية^(٢).

وقد شملت بحوثهم على دراسة المظاهر العامة في اسيا والشرق الاوسط وشمال افريقية وثقافتهم وشاع في القرن التاسع الميلادي / القرن الثالث الهجري، تخصصهم في علوم (الشرق الاوسط)^(٣)، ولعمق تدخل الغرب اتجاه الشرق ووثوق العلاقة بينهم استعمل المستشرق ادوارد سعيد^(٤) Edward Sai مصطلح الاستشراق بفكره الاكاديمي على هذه العلاقة وطبيعتها، لذا اطلق اسم المستشرق عليهم فكانوا مواظبين في كتابة المقالات والبحوث والمحاضرات والمؤتمرات الدولية المنظمة علنية كانت او سرية، وكانت محاورها الاسلام وماضيه ومستقبله بشتى الجوانب^(٥)، فسلك المستشرقون شتى الطرق وعولوا عليها لبلوغ غاياتهم بإيصال افكارهم ونظرياتهم للعالم الشرقي والغربي وشعوبه^(٦).

ثانياً: التعريف بدائرة المعارف الاسلامية

هي موسوعة اكايدمية تحتوي على ما يحتاجه الباحث، وقد تطرقت موسوعة دائرة المعارف الى حياة العرب والاسلام وكل موضوع يرتبط بها، وهي مجموعة كبيرة وضخمة من المقالات والآراء عرضت موضوعات غاية في الاهمية بما يخص شعوب واديان البلاد العربية الاسلامية واعلامها واحداثها التاريخية واحوالها السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية على امتداد العصور بدءاً بعصر ما قبل الاسلام^(٧).

وقد أسس هذه الموسوعة مجموعة من المستشرقين الذين ينهلون من مدارس استشراقية غربية متنوعة^(٨)، وذكر العقيلي^(٩) ان العامل الاساسي في اصدارها هو شعور المستشرقين في مؤتمراتهم الدولية بالحاجة الى دائرة معارف لأعلام العرب والاسلام تجمع شتات دراسات جهودهم، اذ كانت الدافع والسبب الرئيس في ظهور اضخم عمل على الاطلاق تمثل في دائرة المعارف الاسلامية^(١٠).

ثالثاً: اصدارات دائرة المعارف

صدرت دائرة المعارف الاسلامية بأكثر من لغة وبطبعتين، الطبعة الاولى صدرت خلال الاعوام (١٩١٣-١٩٣٨ م) باللغات الانكليزية والفرنسية والالمانية^(١١)، وصدرت الطبعة الثانية ما بين الاعوام (١٩٤٥-١٩٧٧ م) باللغات الانكليزية والفرنسية^(١٢)، وقد تولت نقلها الى العربية لجنة دائرة المعارف الاسلامية من خريجي الجامعات المصرية منذ عام (١٩٣٣-١٩٥٣ م)، ولكنها لم تصل في الترجمة الا الى حرف العين، ولإكمال الترجمة سعى المترجمون الى نشر تعليقات هامة في اعقاب الكثير من المقالات لتصحيح الاخطاء التي وقع فيها المستشرقون، وقام بكتابة هذه التعليقات مجموعة من العلماء المعروفين^(١٣)، ومن ابرز من قام بإعداد ترجمتها هم ابراهيم زكي خورشيد، واحمد الشنتاوي، وعبد الحميد يونس^(١٤).

وقد عربت دائرة المعارف الاسلامية في ثلاثة اصدارات هي:

الاصدار الاول: وقد ظهر في عام (١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م) في خمسة عشر مجلداً كل مجلد بحدود خمسمائة صفحة، اشتملت على مواد من حرف الالف حتى اجزاء من حرف العين، وقد انتهت بمادة (عارفي باشا)، وتولى دار الفكر بالقاهرة طباعتها^(١٥).

الاصدار الثاني: وقد ظهر هذا الاصدار في عام (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م)، في ستة عشر مجلداً، واشتملت من الحرف الالف وحتى اجزاء من الحرف الخاء، وانتهت بمادة (خد بنخش) وهي مشتملة على ما وجد في الدائرة الاصل، وقد علق المترجمون وبعض الفضلاء على كلا الطبعتين تعليقات مفيدة وتنبهاً على بعض الاخطاء، وبقي كثير من الملاحظات التي لم يعلق عليها او علق عليها تعليقات غير كافية^(١٦).

الاصدار الثالث: أصدره مركز الشارقة للأبداع الفكري عام (١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م)

بالتعاون مع هيئة الكتاب المصرية، وفي هذا الاصدار تم عمل الاتي:

١- الاعتماد على الاصدارين الاولين المترجمين بما فيهما من تعليقات مع اختصار الكثير من المواد والمعلومات والتعليقات الاقل اهمية.

٢- تم ترجمة ما بقي من حرف العين الى حرف الياء مع اختصار لكثير من المواد الاقل اهمية، مع اضافة بعض التعليقات الجديدة، اصبح المجموع اثنان وثلاثين مجلداً^(١٧).

وتعد دائرة المعارف الاسلامية اهم مؤلف استشرافي على الاطلاق بسبب العدد الكبير من المستشرقين المساهمين فيها، وكبر حجمها وتنوع المدارس الاستشرافية التي ينحدرون منها، ويعد جهداً مشتركاً يمثل خلاصة الحضارة العربية الاسلامية من جوانب دينية وسياسية وعلمية واقتصادية عدة، وهم بهذا العمل عكسوا آراءهم وافكارهم تجاه حضارة الاسلام وتاريخه وشعبه ودوله منذ بداية صدر الاسلام على الرغم من تباين الكتابات لديهم.

رابعاً: منهاج دائرة المعارف الاسلامية:

أن تأليف المستشرقين لموسوعة دائرة المعارف الاسلامية لم يكن عملاً اعتباطياً غير منظم، وإنما بذلت له جهوداً كبيرة وقدمت له المؤسسات الحكومية كل الدعم المادي والمعنوي حتى تخرج بالنتيجة التي يصبون إليها. لذلك أسست الموسوعة على أساس عمل منظم ذو منهجية في الكتابة. ، وبذلك سجلت دائرة المعارف الاسلامية أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية فأصبحت مرجعاً مهماً حيث لم تجد عالماً أو باحثاً إلا ورجع إليها^(١٨).

خامساً: سير المستشرقين الذين ترجموا سيرة الإمام الحسن .

أسهم عدد كبير من المستشرقين الغرب في كتابة دائرة المعارف الاسلامية والذين يتمتعون بدورهم إلى مدارس استشرافية غربية متنوعة كالإنكليزية والالمانية والامريكية والهولندية والفرنسية والاطالية.... ، ولقد ساهم كتاب غريون تابعون لهذه المدارس في كتابة محتوى الدائرة بكل محاورها والتي اهتمت بالإسلام والمسلمين والحضارة العربية الاسلامية ومنهم:

١- هنري لامنس (١٨٦٢-١٩٣٧م) Henri Lammens:

هو مستشرق بلجيكي المولد فرنسي الجنسية ومن محرري دائرة المعارف الاسلامية شديد التعصب ضد الاسلام^(١٩)، ولد في عام ١٨٦٢م وتوفي في بيروت ١٩٣٧م، ولد

لامنس في مدينة غاند ببلجيكا وتعلم في لوفان وتلقى في علم اللاهوت في أنكلترا واختير أستاذاً للأسفار القديمة في كلية روما وأستقر في بيروت فتعلم اللغة العربية وأتقنها وكذلك اللاتينية فدرس الفلسفة في قسم الدراسات الشرقية^(٢٠)

٢- ليفي دلافيدا (١٨٨٦-١٩٦٧ م) Live Della Vida :

هو من كبار المستشرقين الايطاليين^(٢١)، ولد في (١٢٢ أغسطس ١٨٨٦ م) من أسرة يهودية استقرت في ايطاليا منذ وقت طويل وقضى دراسته في الثانوية في جنوه وانتقل إلى روما للدراسات الجامعة، فدخل كلية الآداب وحصل على الليسانس ١٩٠٩ م، وبدأ دلافيدا بتدريس اللغة العربية في المعهد الشرقي، واما مؤلفاته فأنها تتدرج في ثلاثة ابواب: الدراسات العربية الاسلامية، اللغات السامية: العبرية والسريانية.

٣- فتشيا فاليري^(٢٢) هي مستشقة وباحثة ايطالية، استاذة اللغة العربية في جامعة نابولي، ومن أشهر مؤلفاتها كتاب محاسن الاسلام.

المبحث الثاني

(الحسن عليه السلام في مقومات الحياة والمجتمع)

١- الولادة والنسب

ولد الإمام الحسن عليه السلام في منتصف شهر رمضان في سنة ٣ أو ٤ للهجرة في المدينة المنورة^(٢٣).

٢- النسب

الحسن بن الإمام علي بن ابي طالب امير المؤمنين عليه السلام وأمه السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ وهو الابن الاكبر لرسول الله ولأمير المؤمنين والسيدة الزهراء^(٢٤) وكانت هناك روايات عديدة في حوادث الحمل والولادة للسيدة الزهراء عليها السلام اوردها بعض المصادر التاريخية.

جده لأبيه عم النبي محمد ﷺ ابو طالب سيد مكة وشيخ قريش واعمامه جعفر بن ابي طالب سفير النبي الى النجاشي والشهيد في معركة موته وعمه الآخر عقيل بن ابي طالب^(٢٥). والإمام الحسن عليه السلام هو الإمام الثاني من سلسلة الائمة المعصومين عند الشيعة^(٢٦) ولقد سماه جده رسول الله (حسن) بينما أراد أبوه علي عليه السلام ان يسميه (حرباً) وعاش الحسن والحسين عليه السلام في كنف ورعاية جدهما رسول الله ﷺ حين وفاته^(٢٧).

٣- فضائل الإمام الحسن عليه السلام في رأي المستشرقين

تغلب على روايات المستشرقين الأخذ والاعتماد والاعتقاد بصورة غالبية على المصادر السنية ذات الهوى الاموي وخاصة في الروايات المتعلقة بأهل البيت عليه السلام ونلاحظ أنهم يتعدون عن تحليل الشخصيات العظيمة ذات النسب الشريف ومواقفها ويلجأون الى تحليل شخصيات عامة وبصورة غير حقيقية لتلك الشخصيات^(٢٨).

ولقد ذكرت اغلب مصادر المسلمين المنزلة الكبيرة للإمام الحسن عليه السلام في الاسلام وفي القرآن والسنة النبوية وكما يلي وحسب ما جاء به المستشرقون.

أ. ذكرت الروايات ان الإمام الحسن عليه السلام اخذ تمره من تمر الصدقات فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ كخ كخ ارم بها اما علمت اننا لا ناكل الصدقات.

ب. (كان رسول الله ﷺ يخطب فأقبل (الحسن والحسين) وعليهما (قميصان احمران) يعثران

ويقومان فنزل النبي ﷺ فأخذهما فوضعهما في حجره فقال صدق رسول الله انما اموالكم واولادكم فتنة رأيت هذين فلم استطع ان اصبر ثم اكمل خطبته (٢٩).

ج. لطالما شوهد الحسنان يتسلقان ظهر النبي ﷺ وهو ساجد في صلاته.

د. حديث رسول الله في مدحهما (الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة) على الرغم من بني أمية ينكرون هذا الحديث (٣٠).

هـ. كما يروي المستشرق من منزلة الإمام الحسن (عليه السلام) بعض الروايات ان الملائكة كانت تحمي الزهراء والوليد وتؤنسهما قبل الولادة وبعدها (٣١).

اقوال

على الرغم من ما يذكره المستشرقون عن هذه الصفات للإمام الحسن (عليه السلام) الا انهم يتعدون كثيراً عن الوصف الحقيقي لهذه الشخصية العظيمة ويسقطون عليها العوامل المادية وخصوصاً السياسية من فترات متأخرة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وهم بذلك يتعدون عن الروح الاكاديمية في البحث والاستدلال (٣٢).

٣- آراء المستشرقين في شخصية الإمام الحسن (عليه السلام)

يذهب المستشرقون الى عملية سرد الروايات الاموية والعباسية المختلف عليها في وصف شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) على الرغم مما سبق ذكره من بعض الفضائل التي اوردها في بحثهم عن تلك الشخصية التاريخية (٣٣) وقد يختلف المستشرقون حينما يتناولون وصف تلك الشخصية حسب ارائهم العلمية ومدارسهم الغربية وفيما يأتي بعض تلك الروايات:-
أ. ان من الصفات الجوهرية التي كان يتصف بها الإمام الحسن (عليه السلام) هو الميل للشهوات والافتقار الى النشاط والذكاء (٣٤).

ب. لقد انفق الإمام الحسن (عليه السلام) خبرة سنين شبابه وخيرها في اللهو والزواج والطلاق فأحصيت زوجاته من مائة الى مائة وعشرين حالة زواج وطلاق.

ت. لقد كانت تمثل هذه الحالة الاجتماعية نوع من (الخلاص السائبة) في المجتمع الاسلامي (٣٥).

ث. انه كان ليعثر اموال المسلمين وبيت المال في المساكن والخدم والملاذات للعدد الكبير من الزوجات (٣٦).

ج. انه دائماً ما يعاني من الفقر والعوز بسبب الزواج وقد يكون هذا سبب من اسباب الخنوع^(٣٧).

ح. ان الجهد البدني الذي تحتاجه عملية اللهو والزواج قد اقعدته عن الواجبات الشرعية وخصوصاً الجهاد في سبيل الله^(٣٨).

خ. لقد ادت الانشغال بالحياة الخاصة له ولزوجاته في الابتعاد عن المجتمع وهمومه الاجتماعية^(٣٩).

د. ان كثرة الزوجات ومشاكلها ادت الى اصابته بالخنوع والضعف أمام طموحات معاوية^(٤٠).

ذ. ان التفكير المالي والحاجة دفعته لقبول الصلح مع معاوية مقابل مليون درهم له وخمسة ملايين درهم للحسين^(٤١).

ر. ان الإمام الحسن^(عليه السلام) قد تعهد لمعاوية ببعض التعهدات الخاصة والعامة مقابل الوعد بالتعويض عن الخلافة^(٤٢).

٤- اقوال

يعتقد لمن يقرأ هذه الروايات وخاصة من الغربيين او من الجيل الحالي الذي يجهل المعرفة التاريخية بهذه الشخصية العظيمة يعتقد ان هذا الشخص لا يمكن الا ان يكون من العابثين والشخصيات الهوائية غير الفاعلة والجاهلة والسائبة اخلاقياً كما يدعي الكاتب^(٤٣).

وليس أمام شخصية تمثل الرمز الثالث في تسلسل الشخصيات الاسلامية كما يعتقد الشيعة بعد النبي^(صلى الله عليه وآله) جده وابيه امير المؤمنين^(عليه السلام).

وهذا الشخص في عالم اليوم يمثل اعظم شخصية تاريخية تمثل الاصلاح ونشر السلام وتوفير متطلبات الامن الاجتماعي إمام نزوات وشهوات مادية وشخصية تمثلها (نوازع السلطات)^(٤٣).

وقد لا يعلم الكاتب بعض النقاط التي يعتقد بها قسم كبير من المسلمين جهلاً بها او تجاهلاً متعمداً طبقاً لعملية مسح الهوية الاخلاقية والروحية لعظمة الدين الاسلامي لكون الابعاد الحقيقية لعملية الكتابة ذات ابعاد سياسية وامنية^(٤٤).

ونحن نورد بعض الردود من باب العرض التاريخي لشخصية الإمام الحسن (عليه السلام).

أ. أن كل المسلمين يذكرون الإمام الحسن (عليه السلام) وجدده وابيه وامه واخيه في صلواتهم اليومية ومن لم يذكرهم فصلاته وأعماله تقع باطله استناداً لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٤٥).

ب. أن الإمام الحسن (عليه السلام) كان من ضمن مجموعة أهل البيت الخمسة المكونة من (النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين) (عليه السلام) التي خصهم الله بآية التطهر لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٤٦).

ت. أن الإمام الحسن (عليه السلام) كان من ضمن مجموعة أهل البيت التي حضرت المباهلة مع نصارى نجران لقوله تعالى ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ (٤٧).

ث. أن الإمام الحسن (عليه السلام) هو من الشخصيات التي نصَّ عليها حديث الكساء المشهور عند عامة المسلمين (٤٨).

ج. أن الإمام الحسن (عليه السلام) كان ضمن المجموعة التي أوصى بها رسول الله ﷺ حين وفاته حينما قال (تركتم فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي) (٤٩).

ح. أن عملية التبذير المالي لا يمكن أن تكون من أخلاق الإمام الحسن (عليه السلام) لكون هذه العملية تخالف النصوص القرآنية لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (٥٠).

خ. لا يمكن معرفة المعايير التي انطلق منها المستشرقون في مقاس ذكاء الإمام الحسن (عليه السلام) هي في علوم الحاسبة أو الذكاء الصناعي أو علوم الفضاء أو علوم الذرة أو علوم المكائن (٥١).

د. من غير المنطقي ويُعدُّ خروجاً عن كل مقاييس البحث العلمي والأكاديمي حينما يلجأ الباحث إلى وصف بعض الشخصيات والتهجم عليها لغايات في نفسه وخصوصاً حينما

يصف إمام من أئمة المسلمين بأن (أخلاقه سائبة) ولا نعلم هل الزواج الشرعي يمثل أخلاق سائبة أم حاله المجون والفسق والمثلية التي يعيشها الغرب هي الأخلاق السائبة (٥٢).

ذ. نحن برأي الباحث قد جهل أو تناسى المصادر التاريخية التي تتكلم عن نشاط الإمام الحسن (عليه السلام) في الجهاد مبكراً في عهد الثاني والمشاركة في الفتوحات في بلاد فارس وفتوحات

افريقيا (٥٣).

ر. لقد كان من القاب الإمام الحسن (عليه السلام) هو (الزاهد، الراهب، السبط الاكبر، سيد الشهداء، كريم اهل البيت) وهذه الالقاب تشترك في ان صاحبها لا بد ان يكون متقشفاً وغير مبذر لاسيما ان الله سبحانه وتعالى قد مدح ال محمد في سورة ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٥٤).
ز. تذهب بعض المصادر التاريخية عند عموم المسلمين ان الإمام الحسن (عليه السلام) قد قسم امواله مرتين على المسلمين من الفقراء ولطالما شوهده حاجاً الى بيت الله الحرام ماشياً على قدميه اشفاقاً على الناقة ولقد ذكرت تلك المصادر ان موارد الإمام الحسن (عليه السلام) المالية تأتي عن طريق (٥٥):-

اولاً: الحوائط السبعة: بسايتين لرسول الله ﷺ وهبات لفاطمة الزهراء.

ثانياً: صدقات امير المؤمنين (عليه السلام).

ثالثاً: اموال بيت المال باعتباره الخليفة الشرعي.

رابعاً: خمس ذوي القربى.

خامساً: عوائد بلاد فارس.

وهذه الاموال والموارد لا يمكن لصاحبها الا ان يكون كريماً.

الدعاية الاموية

من الطبيعي جداً ان تعتمد الفئات المتصارعة اسلوب الدعاية والحرب النفسية للطرف المقابل، إذ وظف معاوية هذا الاسلوب بصورة كبيرة في هزيمة خصومه (٥٦).

وتكمن سياسته الدعائية على ثلاثة اركان:-

أ. الدعاية في علاقة الحسن بأبيه.

ب. دعاية الزواج والطلاق.

ت. دعاية الشرعية.

أ. الركن الاول/ الدعاية حول علاقة الحسن بأبيه

اولاً: ذكر الكاتب أن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن على علاقة جيدة بأبيه امير المؤمنين (عليه السلام) واخوته عند وفاة امه فاطمة الزهراء (عليها السلام) (٥٧).

ثانياً: ان كثرة الزواج والطلاق قد اضعفت عزمته ولم يشارك في معارك ابيه المهمة وخاصة معركة (صفين) ضد معاوية (٥٨).

ثالثاً: ان كثرة المشاكل الناجمة عن الزواج والطلاق المتكرر والكثيرة زادت من كثرة الخصومات والعداوات مع القبائل الاخرى التي تتسبب لها الزوجات^(٥٩).

قول في هذا الركن (دعاية العائلة)

اولاً: كيف يمكن لنا تصور هذه الاتهامات و الإمام الحسن (عليه السلام) كما وردنا بأنه من ضمن مجموعة اهل البيت (عليهم السلام) التي لطالما ذكرها القرآن الكريم او التي وصفها رسول الله بريحانه^(٦٠).
ثانياً: اما المشاركة في معارك الإمام علي (عليه السلام) في الجمل وصفين والنهروان، فأن المصادر التاريخية تؤكد الى مشاركة الإمام الحسن (عليه السلام) فيها، وانه كان ضمن فريق استطلاع الكوفة قبل نقل العاصمة الاسلامية لها^(٦١).

ب. الركن الثاني / دعاية الزواج والطلاق المتكرر

ذكر الكتاب المستشرقون ان من المميزات والصفات التي كان يتصف بها الإمام الحسن (عليه السلام) دون غيره هي صفة الزواج والطلاق المتكرر والذي يتجاوز اكثر من حالة^(٦٢).

الجابة عن هذه الدعاية:

اولاً: عند التأكد من مراجعة المصادر التاريخية، وجدنا ان هذه الدعاية انتشرت وشاعت في العهد العباسي لكثرة الزواج عند خلفاء بني العباس لاسيما هارون الرشيد^(٦٣).

ثانياً: ان عدد زواجات الإمام الحسن (عليه السلام) المذكورة في المصادر التاريخية تمثل سبعة زواجات خمس منها بأسماء نساء معروفات واثنان لم يذكر أي اسم لهن، وهذا العدد يبدو مألوفاً في المجتمعات الشرقية الان اما في السابق فان الشريعة الاسلامية تتيح الزواج باربع نساء وامتلاك ما يشاء من النساء ملك اليمين وان النساء التي كان الإمام الحسن (عليه السلام) يرتبط بهن هن ولم يعرف تاريخ الارتباط والطلاق لتحديد الزمن التاريخي^(٦٤).

١. خولة بنت منظور.

٢. ام اسحاق بنت طلحة.

٣. ام بشير بنت عقبة.

٤. حفصة بنت عبد الرحمن بن ابي بكر.

٥. صبرة بنت الاشعب.

٦. امرأة من بني زراره.

٧. امرأة من ثقيف.

ثالثاً: ان المصادر التاريخية لم ترصد وتذكر الا خمسة عشر ولداً من البنين والبنات ولو كان عدد الزوجات كثيراً كما يدعي الكاتب لكانت اعداد الاولاد متناسباً مع حالات الزواج المرتفع نتيجة منطقية لحالة الزواج^(٦٥).

ت. ركن شرعية الحكم

يذهب الكاتب المستشرق الى ان معاوية استند الى الطعن بشرعية الخلافة للإمام (عليه السلام) حينما قاد عملية الدعاية بدم الخليفة الثالث ودعم عملية الوقوف ضد امير المؤمنين ودعم معركة الجمل^(٦٦). ولهذا هو سعى الى المواجهة مع أمير المؤمنين في معركة (صفين) وانتهاء الازمة لصالح الطرفين واستشهاد الإمام علي في رمضان^(٦٧).

وعليه فأن شرعية استحلاف الإمام الحسن (عليه السلام) هي غير شرعية لكونها باطلة ببطلان الاعتراف بخلافة الإمام علي ولهذا هو كان يتصرف كخليفة او ملك الشام بعقد الاتفاقات مع الروم او يحارب الجيوش الاخرى^(٦٨).

قول

اولاً: ان عملية انتخاب الإمام علي (عليه السلام) تمت بشكل شرعي وقانوني حينما بايع الانصار والمهاجرين والصحابة الموجودين في المدينة آنذاك مع العلم ان الإمام علي قد بايعته الامة بأجمعها يوم الغدير بمن فيهم الخليفة الاول والثاني^(٦٩).

ثانياً: ان عملية استحلاف الإمام الحسن (عليه السلام) تمت من قبل الامة التي كانت تمثلها جماهير العاصمة الكوفة والتي كانت تضم بعض الصحابة وابناء المهاجرين والانصار وجيوش الإمام علي (عليه السلام)^(٧٠).

ثالثاً: لم تكن عملية الاستحلاف تتم عن امتلاك الإمام الحسن (عليه السلام) لصلة القرابة بالإمام علي (عليه السلام) فقط وانما لصفات اخرى تملكها الإمام الحسن من الشجاعة والعلم والمكانة وكل مقومات الخلافة الشرعية ولقد ذكرت المصادر التاريخية ان الرسول ﷺ قال صحيح البخاري (ان ابني هذا الحسن سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين)^(٧١).

المبحث الثالث

الصلح وظروفه

١. الوضع السياسي للدولة الإسلامية

شهدت الدولة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان اضطرابات عديدة بسبب قيام الخليفة بتقريب ومنح المناصب لأقربائه على الرغم من أن بعضهم قد لعن على زمن الرسول ﷺ^(٧٢). وعدم توزيع العطاءات بصورة عادلة وتخلف الولاة وجهلهم بأحكام الإسلام مما أثار المسلمين في بعض الأمصار ومنها (مصر) وكان وصف الطلقاء يطلق على فئة كبيرة من بني أمية وأولئك لا يجوز اعتلائهم المناصب القيادية^(٧٣) فأصبح معاوية حاكماً للشام وأخو الخليفة حاكماً للعراق.

وكانت حادثة مقتل عثمان بن عفان نقطة تحول في أشكال الأوضاع السياسية حينما أعلن معاوية المطالبة بشار عثمان من الإمام علي (عليه السلام) وخروج بعض الصحابة وزوج النبي إلى البصرة وحدث معركة الجمل الشهيرة^(٧٤).

وتذهب مصادر التاريخ إلى تواجد محمد بن أبي بكر في مكان الحادث^(٧٥) على الرغم من أن الروايات تذكر أن الإمام علي (عليه السلام) قد عين (الحسن والحسين) (عليهما السلام) بجلب الماء وحراسة دار الخليفة من المعترضين على الخليفة كما يرويها الكاتب المستشرق^(٧٦).

وبمعركة الجمل كانت الأمة منقسمة بين دولتين على الأرض الأولى مقرها الجديد الكوفة ومنها أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) والثانية دولة الشام ومقرها دمشق ورئيسها معاوية بن أبي سفيان والمتمردة على الخلافة وقيادة الخليفة الرابع^(٧٧).

٢. خلافة الإمام الحسن (عليه السلام)

بعد أن استقرت الأوضاع نسبياً بعد عملية التفاوض بين فشل الإمام علي (عليه السلام) أبو موسى الأشعري وممثل معاوية عمر بن العاص وتغلب ابن العاص برهائه وظهور فئة الخوارج^(٧٨)، اغتيل الإمام علي (عليه السلام) بحادث مدبر من قبل معاوية بن أبي سفيان من خلال أحد أعوانه المسمى (ابن ملجم) وهذه الحادثة قد جعلت أمر الانقسام حالة واقعية على الأرض^(٧٩).

وفي هذه الفترة الفاجعة في حياة الاسلام انتخب الإمام الحسن (عليه السلام) خليفة خامساً للاسلام عندما قام ابن عمه (عبد الله بن عباس) الى مبايعته دون ان يكون للإمام علي (عليه السلام) نصيب بذلك الاختيار^(٨٠).

وكان قيس بن سعد بن عباد الانصاري اول من بايعه على شرط (السير بكتاب الله وسنة نبيه وفعال المحليين)^(٨١) المحليين الذين تخلوا عن بيعه الخليفة الرابع، وكان الحاضرون يطالبون بمقاتلة اعداء الحسن (عليه السلام) او مسالمة المسلمين^(٨٢).

ويذهب المستشرق (ليفى دي لا فيدا) ان هذه المجموعة المبايعه اما ان تكون متمزته برأيها او ان تكون خائفة من بطش معاوية اذا اختار الإمام الحسن (عليه السلام) الجنوح للسلام^(٨٣). وهذه الآراء جميعاً مرافقه للخبر والصورة المطبوعة في عقول المسلمين عن تاريخ بني أمية خلال الدعوة السرية والعلنية للاسلام ومعاداة دين الله الجديد^(٨٤).

والظاهر ان جميع او اغلب المبايعين هم من اهل العراق ومن بقايا جيش الإمام علي (عليه السلام) وفيهم من صحابة الرسول وصحابة الإمام (عليه السلام) ممن شارك في حروبه وقراباته من اولاد عمه.

٣. وضع الشام

اولاً: بنو أمية

يعتقد المستشرق والمؤرخ (فال هاوزن) إن بني أمية هم من قبائل قريش وذاع صيتهم لمعارضتهم الدين الجديد الذي قام به النبي محمد ﷺ وإن بني هاشم الذين ينتسب لهم محمد ﷺ هم اشد المنافقين لهم في الكرامة والفضيلة فشتان ما بين بني هاشم وبين بني أمية من الفضائل والصفات الاجتماعية^(٨٥).

ويعتقد كذلك ان الفضيلة في نزعات التقى والفضيلة بعيدة جداً عن اشراف مكة ممن عارض الاسلام في بداياته^(٨٦) وكان لاهتمامهم بالتجارة سبب في ذلك^(٨٧).

وكذلك يعتقد (فال هاوزن) ان لدى بني أمية طموح سياسي في الرئاسة والنفوذ في مقابل خصومهم ولا يمكن انكار ان الدين الاسلامي انتشر وتوطدت ركائزه في زمن دولة بني اميه^(٨٨). والمؤرخ المستشرق (ليفى دي لا فيدا) تؤشر سخط العباسيين والمسلمين على دولة بني أمية إزاء تقصيرهم في اداء الفرائض الدينية وانهم انقلبوا على الدستور الاسلامي الذي

اوجده رسول الله ﷺ وانهم غيروا منهج الحكم في الخلافة الى (الملك او الملوكة) (٨٩).

ويعتقد (فال هوزن ولامنس وكايتاني) ان الخليفين الاول والثاني كانوا باعدين عن المثل الاعلى للاحكام الدينية الذي وضعته المذاهب الفقهية (٩٠).

ان المعارضة التي كانت تواجه بني أمية هي معارضة دينية تعتقد ان بني أمية يعتقدون الشرعية الدينية في الحكم بسبب كونهم غير مؤهلين في ذلك وانها تنحصر في اسرة النبي ﷺ (٩١). وكانت قمة هذه المقاومة تتمثل بالخليفة الرابع الإمام علي بن ابي طالب وخطه الصحيح الذي يعتمد الاحكام الدينية كأساس في الحكم (٩٢).

ثانياً: مشكلة الحكم عند بني أمية وترشيح معاوية

يعتقد المستشرق (ليني دي لافيدا) ان الغموض يكتنف آراء المؤرخين هو كعملية ترشيح معاوية للخلافة أهي قبل عام ٣٧هـ قبل النزاع مع علي (عليه السلام) ومنهم من يذهب ان التوقيت بعد استشهاد امير المؤمنين علي (عليه السلام) (٩٣).

ويعتقد الكاتب ان هذا الامر غاية في الدقة والجرح كونه الامر يخص خصمة (معاوية) لم تكن من اصحاب النبي ﷺ ولم يكن من السابقين في الاسلام وان هنا الموضوع هو سبب الاضطراب الحقيقي (٩٤).

ويعتقد ان الفقهاء لا يهتمهم الا الاحكام الشرعية التي خولف فيها اماراة وخلافة معاوية (٩٥). ولذلك فأن بموجب الانقلاب على الدستور اصبح من حيث النظرية الشرعية ان الخليفة (الملك الجديد) لم يعد هو المنقذ لسنة النبي ﷺ وتعاليم ومنهج الدين (٩٦).

بل اصبح شخصية سياسية تملك القوة الحربية والنفوذ السياسي عند الدول الكبرى مما اتاح للمعارضة الوقوف ضده واسقاطه بعد قرن من الزمان (٩٧).

على ان طموح بنو أمية في التملك قديماً حينما خرجوا على رسول الله ﷺ معارضين بشده له وعذبوا الضارة ومن ثم ارغموا بحد السيف في الدخول للاسلام (٩٨).

ثالثاً: عملية الصلح

بعد شهرين من البيعة للخليفة الخامس الإمام الحسن (عليه السلام) تقدم الإمام الحسن بجيشه الى منطقة (ساباط المدائن) غرب العراق وجمع جيشه والقى بهم خطبة ازعجت مقاتليه

وتأكد لديهم الشكوك التي كانت تساورهم من ان مفاوضات واتفاقات سرية فسروا ذلك من خلال تباطؤ تقدم جيش الإمام الحسن او المعاني التي كانت تحضيها كلمات خطبة الإمام الحسن^(٩٩) والرسائل السرية وبعض المفاوضين السريين^(١٠٠).

ولما ادرك الجنود رغبة الإمام الحسن^(عليه السلام) في الصلح هاجموا المعسكر وسلبوا مقتنياته والسباط تحت قدميه وقام بعض الخوارج بعملية اغتيال قام بها جراح بن سنان الاسدي^(١٠١).

هذا أدى الى ضعف الإمام الحسن^(عليه السلام) وهزيمته من قبل قبيلتي (ربيعة وهمدان)^(١٠٢). ولقد استغل معاوية هذه الحادثة في الضغط على الإمام الحسن^(عليه السلام) من خلال استمالة بعض القادة واغرائهم بالمال مثل ابن عمه (عبيد الله بن عباس)^(١٠٣). ولقد اشار المستشرق (فتشيا فاليري) ان الرعاية الاموية لعبت دوراً مهماً في قلب الامور وتغير موازين القوة.

٤. وثيقة الصلح

يحاول الكاتب ان يصحح الامور ويجعل موقف الإمام الحسن^(عليه السلام) موقفاً ضعيفاً في قتاله من تفوق معاوية وجيشه وموقفه السياسي وهو يخلط المواقف الشرعية ذات الابعاد الدينية بالمواقف السياسية التي استندت على التدليس والمراهنه والخديعة والغش والخداع^(١٠٤).

والمستشركة تحاول سبغ جانب العوز المادي للإمام الحسن^(عليه السلام) بسبب هو الزواج والطلاق مما جعل هذا العوز سبباً في التراجع والخنوع السياسي ولذلك حصل الحسن على تعويض مالي مقابل تنازله عن الخلافة^(١٠٥).

وتذهب المستشركة الى ان ما جاء في وثيقة الصلح باستناده على مؤرخي الدولة الاموية كانت كما يلي:-

أ. ان شروط الاتفاقية الاهلية ان يدفع معاوية تعويضاً للإمام الحسن^(عليه السلام) مبلغ من المال بمقدار مليون درهم تعويضاً عن التنازل للخلافة^(١٠٦).

ب. ان الإمام الحسن^(عليه السلام) اشترط دفع مبلغ قدره خمسة ملايين درهم لاختيه الحسين^(عليه السلام) كتعويض عن موارد بلاد فارس^(١٠٧).

ت. ان الإمام الحسن (عليه السلام) لم يحصل أي مبلغ بسبب المعارضة التي في جيشه من اهل البصرة بسبب اعتقادهم بأحقيتهم بالمال^(١٠٨).

وتذهب المستشرقة بمحض المؤرخين المواليين للإمام الحسن (عليه السلام) حاول سد الثغرات الموجودة في موقفه المتخاذل لتحقيق وطأة الفشل والهزيمة في عملية الصلح من خلال ايراد النقاط التالية^(١٠٩).

أ. ان الإمام الحسن اشترط على معاوية ان تعود الخلافة اليه اذا مات معاوية.

ب. ان يتبع معاوية السير في كتاب الله وسنه نبيه والخلفاء الراشدين.

ت. ان يدفع مبلغ مليوني درهم للإمام الحسين (عليه السلام).

ث. ان يكون عطاء بني هاشم أعلى من عطاء بني عبد شمس.

ج. ان لا يطارد اتباع الإمام علي (عليه السلام) او مقاتلي جيشه الذي حارب اهل الشام.

والكاتب يعتقد ان هذه الشروط التي اوردها كتاب الشيعة غير صحيحة والسبب ان ظاهرة الاستخلاف أي التوريث لم تكن موجودة انذاك بل اتباع مبدأ الشورى بين المسلمين وانها تعني ضمناً انها سياسة عثمان في تقريب وتقديم بني اميه^(١١٠).

وكان ما يميز هذه الفترة هو كثرة الانشقاقات في جبهة الإمام الحسن (عليه السلام) من قيادات عسكرية او جنود مقاتلين او التأثير بالدعاية والحرب النفسية التي شنها معاوية ضد الإمام الحسن (عليه السلام) وجبهته^(١١١). وكان ابرز المنشقين ابن عمه (عبد الله بن عباس) مقابل تلقيه رشوة مليون درهم^(١١٢).

هـ. رأي المستشرقة فتشياً فلييري في قبول الإمام الحسن (عليه السلام) الصلح والتنازل عن الخلافة^(١١٣)

ترى المستشرقة ان هناك اسباباً في شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) النبوية او من الوضع السياسي والديني الذي فرضها عليه حال الامة من جراء عملية الانشقاق اثر اغتيال الخليفة الثالث واوردها في بعض النقاط التالية:-

أ. حب الحسن (عليه السلام) للسلام بسبب ضعف شخصيته.

ب. الرغبة في عدم اراقة الدماء.

ت. ادراك الحسن (عليه السلام) ان قضيته خاسرة.

ث. فقر الإمام الحسن (عليه السلام) بسبب خلو الخزينة من مبالغ كان يوزعها الإمام (عليه السلام) كل اسبوع.



ج. المشاكل والخلافات التي كانت تعصف بالأمة في عهد الإمام علي عليه السلام.
ح. ادراك الإمام الحسن عليه السلام ضعف جيشه وقلة همة جنوده وقلة الاعتماد عليهم بسبب ضعف رغبتهم واردة القتال^(١١٤).

اقوال

أ. ان الكاتب لم يدرك ان الصراع السياسي للأمويين مع بني هاشم له جذور تاريخية بعد افلاس بنو أمية مع التأثير الديني كونهم اشد المعارضين للدين الجديد ولذلك سلكوا الطريق السياسي منذ وقت متقدم^(١١٥).

ب. ان الكاتب يحاول أن يُضفي جانب الضعف في موقف الإمام الحسن عليه السلام ويعظمه لصالح معاوية ولم يدرك ان الإمام الحسن عليه السلام يقف على قواعد شرعية ودستورية واجتماعية قوية بالمقارنة مع خصمه معاوية، فهو الوريث الشرعي للنبي ﷺ ولأمير المؤمنين علي عليه السلام من الناحية الدينية والشرعية وهو يمتلك المقومات الدستورية، لان تمّ انتخابه من مجموع المهاجرين والانصار المتواجدين في عاصمة الحكم بينما لم يكن خصمه يمتلك أي شرعية^(١١٦).

ت. وكذلك يمتلك الإمام الحسن البعد التاريخي في الجهاد والدفاع عن الاسلام منذ شبابه المبكر في صفوف المجاهدين في فتوحات بلاد فارس وافريقيا ولم يذكر التاريخ غير اللهو والفجور لشخصية الخصم^(١١٧).

ث. ان الدعاية الاموية قد اوقعت المسلمين وخصوصاً اهل الشام في مرامي الاهداف السياسية التي كان يبحث عنها بني أمية لسبب عدم امتلاكهم العمق الديني والتاريخي^(١١٨).

ج. قد لا يدرك الباحث او الكاتب ان اغلب الروايات التاريخية في العهد الاموي والعباسي قد صيغت من قبل شخصيات مشبوهة في التاريخ الاسلامي او في علم الرجال وعلم الحديث ومن الطبيعي جداً ان هذه البحوث دقيقة جداً لا يعرفها الا المتخصصون^(١١٩).

ح. دائماً ما يخلط المستشرقون بين المباني السياسية والمباني الشرعية في الحكم وان الدولة (الاسلامية) في عصر النبوة والخلافة اعتمدت على استعمال (الاحكام الشرعية) في بناء الدولة وترسيخ الاسلام الجديد ونشر تعاليمه في البلدان المفتوحة، لا يستخدم منها النظريات السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين^(١٢٠).



خ. ان الكتاب المستشرقين ومن خلال بحوثنا المتعددة نراهم يحاكون الشخصيات التاريخية وخصوصاً (اهل البيت (عليهم السلام)) بعيون مدارس العلوم السياسية والتاريخية للقرن العشرين ويتم التحليل وفق هذه القواعد المتأخرة^(١٢١).

د. ان الشخصية التي نبحث في موقفها الإمام الحسن (عليه السلام) هو إمام عظيم عند المسلمين كافة ولا تقوم صلاتهم واعمالهم الا بذكره مع جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وابيه وامه واخيه او لا يحتاج الشيعة الى تبرير موقفهم الدفاعي عنه لكون ﴿اللّٰهُ يَدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١٢٢).
ذ. ان الإمام الحسن (عليه السلام) يعد من الصحابة وان خصمه يعد من الخلفاء وهو على قاعدة (الصحابة) في المدارس الفقهية السنية يعد من السابقين الذين لا يجوز اتهمهم ومساواتهم بغيرهم، كما ان التاريخ يسجل لنا ان الإمام الحسن (عليه السلام) قد روى الكثير من الاحاديث النبوية كونه كان ملاحقاً للنبي (صلى الله عليه وآله) في حياته.

ر. على ضوء المحقق ان معاوية قد نقض وخرق الاتفاق المبرم مع الإمام الحسن (عليه السلام) وبذلك خرق دستور الله ورسوله وان عملية الانشقاق التي تعيشها الديانة الاسلامية اليوم من نتاج ذلك الانقلاب^(١٢٣).

ز. قيام معاوية بخرق الاتفاق سريعاً بعد اغتيال الإمام الحسن (عليه السلام) ويهجر الشيعة من العراق الى بلاد فارس وتصفية الخصوم ومنهم الصحابي (حجر بن عدي).
س. يذهب المستشرق (ليف دي لافيدا) الا ان الاعداد للحكم الامبراطوري الاموي قد اعد منذ وقت مبكر حينما انشأ الخليفة الثاني بعض الدواوين المالية والادارية للدولة السياسية، وان وضع معاوية في جزء مهم من الدولة والصلاحيات مكتته بأن يكون معارضاً لاي توجه ديني مستقبلي وان معاوية بالغ في القسوة على اهل العراق بيد واليه زياد من ابيه، جعلت الثورات مستمرة عليه.

ش. من العجيب حسب ما يورده الكاتب ان معاوية لم يزر العراق طيلة فترة حكمه البالغة عشرين سنة عن الرغم من سخونته واهميته كطريق للفتوحات الاسلامية^(١٢٤).

ص. ان بحوثنا التاريخية تسجل ان الفتوحات في عهد معاوية والتاريخ اللاحق اتجهت فقط نحو الشرق في بلاد فارس وبلاد السند وافريقيا ولم تتجه نحو الدولة البيزنطية غرباً وقد

سجلت الحوادث التاريخية تواجداً خطيراً للمستشارين والغلمان الرومان في بلاد الملك معاوية^(١٢٥).

ض. لم يتطرق المستشرقون بإسهاب حول قضية اغتيال الإمام الحسن عليه السلام من قبل زوجته (جعدة بنت الاشعث) بالسم ويشكل المستشرق (فتشا فاليري) في قضية وفاة الإمام الحسن عليه السلام انها بسبب امراضه التي حدثت بسبب الزواج ولا يهتم بما ورد في المصادر التاريخية من عملية الاغتيال (ووعده معاوية لجعدة) في ان يزوجها ابنه يزيد في حالة دس السم للإمام^(١٢٦). ط. لم يتطرق المستشرق ذاته الى المشكلة التي حدثت بين بني هاشم بقيادة الحسين عليه السلام وبني أمية بقيادة مروان ابن الحكم حينما رفضت السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله ان يدفعن الإمام في ميراث امه الزهراء الى جوار جده رسول الله صلى الله عليه وآله واعتداء بني أمية على نعش الحسن بضربه بالنبال حتى لامست الجسد الشريف^(١٢٧).

الخاتمة

- ١- ان الكُتَّاب المستشرقين قد كتبوا دراساتهم من خلال الاطلاع على مصادر تاريخيه تخص العهد الاموي والعباسي فقط دون مراعاة كُتَّاب مدرسه أهل البيت (عليهم السلام)
- ٢- من خلال البحث يظهر ان الباحثين المستشرقين يخلطون بين مفهوم الخلافة والملك والسياسة والإمامة ولذلك جاء تقييم الإمامة والخلافة بمفاهيم سياسية
- ٣- يظهر ان المستشرقين ولاسباب تخص الاهداف الاستعمارية يحاولون النيل من رموز الأمة وهويتها الإسلامية عبر تسقيطها وإيجاد الثغرات.
- ٤- لقد ظلم الإمام الحسن (عليه السلام) من قبل المستشرقين و ظلم من بعض المسلمين حيث يوصفوه بأوصاف خارجة عن البحث العلمي الاكاديمي.
- ٥- تتضارب روايات الكُتَّاب المستشرقين حينما يحللون الشخصية الإسلامية تبعاً لمدارسهم العلمية في الاستشراق.
- ٦- خروج المستشرقين عن مبدأ المنهج الأكاديمي العلمي في البحوث حينما يسطرون ارائهم عبر الفاظ غير صالحة للكتابة تشنف الاسماع وتبلي العيون حين قراءتها فهي خارجة عن الاخلاق العامة في وصف اخلاق الإمام المعصوم عند الشيعة.

الهوامش

- ١- الاستشراق: لغةً كلمة مشتقة من الشرق وتعني مشرق الشمس ولهذا فهو علم العالم الشرقي، هو استعمال اجنبي انكليزي وفرنسي من كلمة (Orient)، اما اصطلاحاً هو دراسة علوم الشرق واحواله ومعتقداته وتاريخه وبيئاته ودراسة لغاته ولهجاته وكل من عني بدراسة الشرق اقصاه ووسطه وادناه في كل ما يخص حضارته واديانه يطلق عليه مستشرق (Orientalist)، ينظر: الخربوطلي، علي حسني، المستشرقون والتاريخ الاسلامي، المطبعة المصرية للكتاب (د.م/ ١٩٨٨م) ص ١٥؛ ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، المركز الاكاديمي، (بيروت، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، ص ٤٤؛ سايلافتش، احمد، فلسفة الاستشراق واثرها في الادب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص ٢٣.
- ٢- النملة، علي بن ابراهيم الحمد، الاستشراق والدراسات الاسلامية- مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، مكتبة توبة، (الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص ٦٥.
- ٣- الشرق الاوسط، هو كيان جغرافي (الجغرافية والسياسة معا) يشكل في نظر الجمهور الغربي ضبابية يصعب ادراكها، فالموقع الاستراتيجي لهذه المنطقة من العالم عند تقاطع القارات الثلاثة، ومناطق الشرق الاوسط تشمل الاناضول والهضبات الايرانية وبلاد ما بين النهرين ومصر وبلاد الشام والبلدان التي تطل على البحر الاحمر والخليج العربي والبحر الابيض المتوسط، ينظر: قزم، جورج، تاريخ الشرق الاوسط من الازمنة القديمة الى اليوم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص ١٣، ١٨.
- ٤- ادوارد سعيد Edward Said: هو مستشرق ومفكر امريكي وناقد ادبي ولد في فلسطين عام (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)، وتوفي في امريكا (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، التحق بالمدارس الابتدائية والثانوية بالقدس والقاهرة تخصص بالأدب الانكليزي عام (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)، حصل على الماجستير (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، والدكتوراه (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، من اثاره كتاب جوزيف كونراد، اختلف ادوارد مع برنارد لويس بآرائه بالمستشرقين ونظريته التي اثبتها في اطروحته، ينظر: سعيد، ادوارد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، دار بنجوين العالمية، (القاهرة، ١٤٣٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص ٢٠.
- ٥- النملة، الاستشراق والدراسات الاسلامية- مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، ص ٦٥.
- ٦- الرومي، عبد الله بن عبد الرحمن، وسائل الاستشراق، تح: سعد ال حميد، ط ١، د.ط، (د.م)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٣.
- ٧- مقدمة دائرة المعارف الاسلامية، تر: ابراهيم زكي خورشيد وآخرون، ط ١، مركز الشارقة للابداع الفكري، (الامارات، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج ٣٣، ص ١٠٢٤٧؛ الجبوري، فيفيان احمد عوفي، الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في ضوء مقالات المستشرقين في دائرة المعارف الاسلامية، جامعة بابل، كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة، (بابل، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م)، ص ١٤.
- ٨- وهي مدارس استشراقية كانت اكثر صلة بالشرق حيث اسست اقساماً وكراسي للغة العربية اخذت جامعاتهم تهتم بالإسلام وحضارته كالمدرسة الانكليزية والفرنسية والالمانية والهولندية والامريكية...

الخ، ينظر: العقيلي، المستشرقون، ج ١، ص ١٥٣؛ ج ٢، ص ٤٣٩، ٦١٧، ٦٤٩، ج ٣، ص ٩٨٩.
٩-العقيلي، المستشرقون، ج ٣، ص ١١٠٧.

١٠-سميلوفتش، فلسفة الاستشراق واثرها في الادب العربي المعاصر، ص ٢٣.

١١-نجا، فاطمة هدى، نور الاسلام واباطيل الاستشراق، دار الايمان، (بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، ص ١٦٨؛ الكناي، دور البيت في الحياة العامة في صدر الاسلام (١-٦٤هـ) في مقالات المستشرقين في دائرة المعارف الاسلامية، ص ٢٥.

١٢-العقيلي، المستشرقون، ج ٣، ص ٣٧٣؛ زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، (بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٣م)، ص ٦٨-٦٩؛ نجا، نور الاسلام واباطيل الاستشراق، ص ١٦٩.

١٣-زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٨٢؛ نجا، نور الاسلام واباطيل الاستشراق، ص ١٦٩.

١٤-العقيلي، المستشرقون، ج ٣، ص ١١٠٨؛ سميلوفتش، فلسفة الاستشراق واثرها في الادب العربي المعاصر، ص ١٦٩؛ نجا، نور الاسلام واباطيل الاستشراق، ص ١٦٩.

١٥-القاسم، مفتريات واخطاء دائرة المعارف الاسلامية (الاستشراقية)، ص ٥٦؛ الكناي، دور البيت في الحياة العامة في صدر الاسلام (١-٦٤هـ) في مقالات المستشرقين في دائرة المعارف الاسلامية، ص ٢٧.

١٦-المصدر نفسه، ص ٢٧.

١٧-القاسم، انحرافات الفلاسفة والباطنية والزنادقة في دائرة المعارف الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، مجلد ١٦، العدد ١، (إسلام آباد، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ص ٥.

١٨-المصدر نفسه، ص ٥٦٩-٥٧٠.

١٩-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ج ٢، ص ٦٩١.

٢٠-كحالة، عمر بن رضا بن حمد راغب بن عبد الغني (ت: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، دار احياء التراث العربي (بيروت، د.ت)، ج ١٣، ص ١٥٥؛

Biography of Henri Lammens at the Belgian Royal Academy for Overseas Science..

٢١-الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ١٤٦.

٢٢-للمزيد ينظر. العقيلي، المستشرقون، ج ٢، ص ٤٠٤؛ مراد، يحيى، معجم اسماء المستشرقين، ط ١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م)، ص ٨١٨.

٢٣-لامنس، الحسن بن علي، دائرة المعارف الاسلامية ص ٤٠.

٢٤-لامنس، مصدر سابق، ص ٤٠.

٢٥-فتشيفاليري، الحسن بن علي، دائرة المعارف الاسلامية، ص ٣٨٠٤.

٢٦-فتشيفاليري، مصدر سابق، ص ٣٨٠٣.

٢٧-فتشيفاليري، مصدر سابق، ص ٣٨٠٣.

- ٢٨- فتشيفاليري، مصدر سابق، ص ٣٨٠٣.
- ٢٩- فتشيفاليري، مصدر سابق، ص ٣٨٠٤.
- ٣٠- فتشيفاليري، مصدر سابق، ص ٣٨٠٣.
- ٣١- فتشيفاليري، مصدر سابق، ص ٣٨٠٤.
- ٣٢- علي زهير هاشم الصراف، دراسات المستشرقين عن الإمام الحسن السبط عليه السلام بحث منشور في مجلة دراسات اشتراقة العدد ٧ سنة ٢٠١٦.
- ٣٣- لامنس، مصدر سابق، ص ٤٠٠.
- ٣٤- لامنس، مصدر سابق، ص ٤٠٠.
- ٣٥- لامنس، مصدر سابق، ص ٤٠١.
- ٣٦- لامنس، مصدر سابق، ص ٤٠١.
- ٣٧- لامنس، مصدر سابق، ص ٤٠٠.
- ٣٨- لامنس، مصدر سابق، ص ٤٠٠.
- ٣٩- لامنس، مصدر سابق، ص ٤٠١.
- ٤٠- لامنس، مصدر سابق، ص ٤٠١.
- ٤١- لامنس، مصدر سابق، ص ٤٠١.
- ٤٢- زاهدة محمد، النظرية السياسية الاسلامية في دراسات المستشرقين البريطانيين، ط ١، المركز العلمي العراقي، بغداد، ٢٠١١ ص ٨٦.
- ٤٣- سليمان كنائي، الإمام الحسن عليه السلام ط ١، دار الكتاب الاسلامي، قم ١٩٨٩ ص ٥٧ وما بعدها.
- ٤٤- زيد الحلو، موسوعة الإمام الحسن، مركز الإمام الحسن عليه السلام، في كتب الحديد ع الدراسات التحقيقية ١٤٤٠، ج ١ ص ٦٧.
- ٤٥- القرآن الكريم، سورة الاحزاب، الآية ٥٦.
- ٤٦- القرآن الكريم، سورة الاحزاب، الآية ٣٣.
- ٤٧- القرآن الكريم، سورة يل عمران، الآية ٦١.
- ٤٨- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري صحيح مسلم الجزء الرابع الدين رقم ١٨٣٨ ط ١، المطبعة العامرة، دار الخلافة العلمية، ١٣٣٠ بيروت ١٣٣٠.
- ٤٩- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري نفس المصدر ج ٦ الحديد، ٢٤٠٨.
- ٥٠- القرآن الكريم، سورة الاسراء، الآية ٢٧.
- ٥١- حسن حسين عياش، البعد الانساني للإمام الحسن بن علي في منحه السلمي واثره على واقع الامة، مجلة الجامعة الاسلامية ٢٠١٦ ص ٣٩ وما بعدها.
- ٥٢- حسن التريكي، المنهج التربوي عند الإمام الحسن عليه السلام بحث منشور على موقع مؤسسة الابرار الاسلامية بتاريخ ٢٠٢١، ١٨، ٩.
- ٥٣- زيد الحلو، مصدر سابق ص ١٧٥.

- ٥٤- محمد باقر محمد تقي المجلس، بحار الانوار الجزء ٤٣ ص ٢٥٥ وزارة الارشاد الاسلامي.
- ٥٥- الشيخ عبد الغني العرفان، المصادر المالية عند الإمام الحسن (عليه السلام) والامن والامن الاجتماعي، بحث منشور على موقع الجهاد بتاريخ ٢٠٢٢، ٥، ٩.
- ٥٦- عباس محمود العقاد، معاوية بن ابي سفيان ط ٣، دار الهنداوي، القاهرة، ٢٠١٤ ص ١٥.
- ٥٧- حميد احمد عبد القادر عمر، الاعلام الاموي وطمس فضائل اهل البيت (عليه السلام) بحث منشور على موقع الولاية الاخباري بتاريخ ٢٠١٩، ٦، ١٠.
- ٥٨- كريم جهاد الحساني، اثر الاعلام في انهيار جيش الإمام الحسن (عليه السلام) بحث منشور على موقع (ينابيع) بتاريخ ٢٠١٩، ٨، ٢٩.
- ٥٩- علي المؤمن، السنة والشيعية بين سلاح الدعاية وحقائق التاريخ، بحث منشور على موقع الواح طينية بتاريخ ٢٠٢٢، ٩، ١٠.
- ٦٠- راغب السرجاني، معاملات الرسول مع اولاده واحفاده، بحث منشور على موقع (قصة الاسلام) بتاريخ ٢٠١٢، ٤، ١٢.
- ٦١- الشيخ حسن الشيخ عبد الامير الظالمى الإمام الحسن (عليه السلام) والفتوحات الاسلامية، ط ١، مركز الإمام الحسن (عليه السلام) للدراسات التحقيقية، النجف الاشرف، ٢٠١٧ ص ٤٥.
- ٦٢- باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، ط دار البلاغة، بيروت، ١٤١٣ ج ٢ ص ٤٥٥.
- ٦٣- احمد منار بك، العباسيون والعلويون السياسة تفرق حتى ال البيت بحث منشورة على موقع اضاءات بتاريخ ٢٠١٩، ١٢، ١٧.
- ٦٤- باقر شريف القرشي، المصدر السابق ص ٤٥٥.
- ٦٥- ولفراد مادلونج، اخلاقه محمد عرض، هاشم الميلاني، ط المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، كربلاء ٢٠١٥ ص ١٩ ومابعدھا.
- ٦٦- ليفي دي لا فيدا، مصدر سابق، ص ١٢١٠.
- ٦٧- ليفي دي لا فيدا، مصدر سابق، ص ١٢١٠.
- ٦٨- ليفي دي لا فيدا، مصدر سابق، ص ١٢١٠.
- ٦٩- بشار قدوري، السياسة الشرعية للإمام الحسن بن علي بحث منشور على موقع (ارياذ) بتاريخ ٢٠٢٠، ١١، ١١.
- ٧٠- احمد محمد اسماعيل، صلح الحسن، ط دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠١٤ ص ١٢٥-١٣٣.
- ٧١- ج ٣ ص ١٦٩.
- ٧٢- ليفي دي لا فيدا، الحسن بن علي، دائرة المعارف الاسلامية ص ١٢٠٨.
- ٧٣- ليفي دي لا فيدا، مصدر سابق ص ١٢٠٨.
- ٧٤- ليفي دي لا فيدا، مصدر سابق ص ١٢٠٨.
- ٧٥- ليفي دي لا فيدا، مصدر سابق ص ١٢٠٨.

- ٧٦- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق ص ١٢١٠ .
- ٧٧- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق ص ١٢١١ .
- ٧٨- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق ص ١٢١١ .
- ٧٩- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق ص ١٢١٢ .
- ٨٠- فتشيفاليري، الإمام الحسن ، دائرة المعارف الاسلامية، ص ٣٨٠٥ .
- ٨١- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٥ .
- ٨٢- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٥ .
- ٨٣- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٥ .
- ٨٤- ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم القرضي، الجزء ٢ الصفحة ٣٧٣ الاستيعاب في معرفة الاصحاب .
- ٨٥- ليفي دي لافيدا، بنو امية ، دائرة المعارف الاسلامية ص ١٢٠٨ .
- ٨٦- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢٠٨ .
- ٨٧- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢٠٨ .
- ٨٨- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢٠٨ .
- ٨٩- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢١٠ .
- ٩٠- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢١٠ .
- ٩١- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢١٠ .
- ٩٢- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢١٠ .
- ٩٣- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢١٠ .
- ٩٤- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢١٠ .
- ٩٥- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢١٠ .
- ٩٦- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢١٠ .
- ٩٧- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢١١ .
- ٩٨- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٥ .
- ٩٩- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٦ .
- ١٠٠- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٦ .
- ١٠١- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٦ .
- ١٠٢- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٦ .
- ١٠٣- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٨ .
- ١٠٤- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٨ .
- ١٠٥- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٧ .
- ١٠٦- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٦ .

- ١٠٧- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٧.
- ١٠٨- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٧.
- ١٠٩- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٧.
- ١١٠- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٨.
- ١١١- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٨.
- ١١٢- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٨.
- ١١٣- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٩.
- ١١٤- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨٠٩.
- ١١٥- مهدي الجابري الموسوي، صلح الإمام الحسن (عليه السلام) الاسباب والنتائج، بحث منشور على موقع مركز الرصيد العقائدي بتاريخ ٨، ٨، ٢٠١٨.
- ١١٦- مصدر سابق
- ١١٧- باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن (عليه السلام)، بم علي (عليه السلام) ط ١، دار البلاغة، ج ١، ١٩٩٣، بيروت ص ١١٨-عزيز الله العطاردي مسند الإمام المحسن (عليه السلام)، ط ١، دار عطار، بغداد، ٢٠٢١، ص ٦٧.
- ١١٩- عزيز الله العطاردي، مصدر سابق ص ١٢٥.
- ١٢٠- ادوارد سعيد، الاستشراق ترجمة كمال ابودس ط، مؤسسة الابحاث العربية بيروت، ص ٥٥ وما بعدها.
- ١٢١- عصام فخري برتو، الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، قسم كتاب المستشرقين، الاستشراق البريطاني، نموذجاً، بحث منشور في مجلة دراسات استشرقية العدد ٥، ٢٠١٦.
- ١٢٢- عزيز الله العطاردي، مصدر سابق، ص ١٢.
- ١٢٣- عزيز الله العطاردي، مصدر سابق، ص ١٢.
- ١٢٤- ليفي دي لافيدا، مصدر سابق، ١٢١٢.
- ١٢٥- ابو علي الحسن بن محمد الملقب بابن الغراء (ت ٤٥٨ هـ) ارسل الملوك ومن الصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين منج ط ١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٢ ص ٦٥.
- ١٢٦- فتشيفاليري، مصدر سابق ص ٣٨١٠.
- ١٢٧- ابو جعفر محمد بن علي بن نصر ابن شهرشوب مناقب الى ابي طالب ج ٣، ٢٠٤.



المصادر والمراجع

على موقع الولاية الاخباري بتاريخ ٦، ١٠، ٢٠١٩.

* راغب السرجاني، معاملات الرسول مع اولاده واحفاده، بحث منشور على موقع (قصة الاسلام) بتاريخ ١٢، ٤، ٢٠١٢.

* زاهدة محمد، النظرية السياسية الاسلامية في دراسات المستشرقين البريطانيين، ط١، المركز العلمي العراقي، بغداد، ٢٠١١.

* زيد الخلو، موسوعة الإمام الحسن، مركز الإمام الحسن (عليه السلام)، في كتب الحديد ع الدراسات التحقيقية، ١٤٤٠، ج١.

* سليمان كتاني، الإمام الحسن (عليه السلام) ط١، دار الكتاب الاسلامي، قم، ١٩٨٩.

* الشيخ حسن الشيخ عبد الامير الظالمي الإمام الحسن (عليه السلام) والفتوحات الاسلامية، ط١، مركز الإمام الحسن (عليه السلام) للدراسات التحقيقية، النجف الاشرف، ٢٠١٧.

* الشيخ عبد الغني العرفان، المصادر المالية عند الإمام الحسن (عليه السلام) والامن والامن الامن الاجتماعي، بحث منشور على موقع الجهاد بتاريخ ٢٠٢٢، ٩، ٥.

* عباس محمود العقاد، معاوية بن ابي سفيان ط٣، دار الهنداوي، القاهرة، ٢٠١٤.

* عزيز الله العطاردي مسند الإمام الحسيني (عليه السلام)، ط١، دار عطارد، بغداد، ٢٠٢١.

* عصام فخري برتو، الرسول الكريم، ص، قسم كتاب المستشرقين، الاستشراق البريطاني، نموذجاً، بحث منشور في مجلة دراسات استشرافية العدد ٥، ٢٠١٦.

* علي المؤمن، السنة والشيعه بين سلاح الدعاية وحقائق التاريخ، بحث منشور على موقع الواح طينية بتاريخ ٢٠٢٢، ١٠، ٩.

* ابو جعفر محمد بن علي بن نصر ابن شهرشوب مناقب الى ابي طالب ج ٣، ٢٠٠٤.

* ابو علي الحسن بن محمد الملقب بابن الغراء (ت ٤٥٨ هـ) ارسل الملوك ومن الصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين منج ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٢.

* ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم القرظي، الجزء ٢ الاستيعاب في معرفة الاصحاب.

* احمد محمد اسماعيل، صلح الحسن، ط دار الولا للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ٢٠١٤.

* احمد منار بك، العباسيون والعلويون السياسة تفرق حتى ال البيت بحث منشورة على موقع اضاءات بتاريخ ٢٠١٩، ١٢، ١٧.

* ادوارد سعيد، الاستشراق ترجمة كمال ابودس ط، مؤسسة الابحاث العربية بيروت، وما بعدها.

* باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، ط دار البلاغة، بيروت، ١٤١٣ ج ٢.

* باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن، بم علي (عليه السلام) ط١، دار البلاغة، ج١، ١٩٩٣، بيروت.

* بشار قدوري، السياسة الشرعية للإمام الحسن بن علي بحث منشور على موقع (ارباد) بتاريخ ٢٠٢٠، ١١، ١١.

* حسن التريكي، المنهج التربوي عند الإمام الحسن (عليه السلام) بحث منشور على موقع مؤسسة الابرار الاسلامية بتاريخ ٢٠٢١، ٩، ١٨.

* حسن حسين عياش، البعد الانساني للإمام الحسن بن علي في منحه السلمي واثره على واقع الامة، مجلة الجامعة الاسلامية ٢٠١٦.

* حميد احمد عبد القادر عمر، الاعلام الاموي وطمس فضائل اهل البيت (عليه السلام) بحث منشور



- * علي زهير هاشم الصراف، دراسات المستشرقين عن الإمام الحسن السبط (عليه السلام) بحث منشور في مجلة دراسات اشتراكية العدد ٧ سنة ٢٠١٦.
- * فتشيفاليري، الحسن بن علي، دائرة المعارف الإسلامية.
- * كريم جهاد الحساني، اثر الاعلام في انهيار جيش الإمام الحسن (عليه السلام) بحث منشور على موقع (ينابيع) بتاريخ ٢٠١٩، ٨، ٢٩.
- * لامنس، الحسن بن علي، دائرة المعارف الإسلامية.
- * محمد باقر محمد تقى المجلس، بحار الانوار الجزء ٤٣ وزارة الارشاد الاسلامي.
- * مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري صحيح مسلم الجزء الرابع الدين رقم ١٨٣٨ ط ١، المطبعة العامرة، دار الخلافة العلمية، بيروت ١٣٣٠.
- * مهدي الجابري الموسوي، صلح الإمام الحسن (عليه السلام) الاسباب والنتائج، بحث منشور على موقع مركز الرصيد العقائدي بتاريخ ٢٠١٨، ٨، ٨.
- * ولفرد مادلونج، اخلاقه محمد عرض، هاشم الميلاني، ط المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، كربلاء ٢٠١٥.

شذرات دمرية من الخطاب الحسيني الشريف
- دراسة في تحليل الخطاب -



د. ريم حسين أمهز

الجامعة اللبنانية / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / لبنان

ملخص البحث

تُعدّ خطب الإمام الحسن (عليه السلام) جواهر فردة من عليّة الخطب النّواصع، تحتوي على مضامين درّية لا تجارى ولا تبارى، تمثّل الواقع الإسلاميّ بكلّ متغيّراته وإرهاصاته وتقلّباته، تبدو عليها بجلاء تأثيرات الأجواء التي انبثقت عنها بما يشير إلى أنّ النّص الأدبي الخطابي ولد من رحم واقع له سماته الفارقة، فكانت نصّوصاً متميّزة، كاشفة، نيّرة، مرتكزة إلى إيمان عميق بالرسالة الإلهيّة، متّصفة بقيم أخلاقيّة سامية، مستندة إلى علاقة إنسانيّة مع المتكلّم قادرة على استمالتة، والتّأثير فيه، فاتّجهت دلالتها لتكون فعل بناء وثقافة لمخاطب شريك في المشروع.

من هنا كان هذا البحث المتواضع لدراسة نماذج من خطب الإمام المجتبي (عليه السلام) وتحليلها، وإذا كان الهدف من تحليل خطاب ما معرفة مقاصد هذا الخطاب، فإنّ هذه المقاصد لا يمكن أن تقدّمها اللّغة وحدها؛ ذلك أنّ الدّلالة التي يقدّمها النّظام اللّغوي من معجم، ومستوى صرفي، وآخر نحوي بمعزل عمّا يحيط بالكلام من متكلّم، ومخاطب، وموقف، وموضوع كلام، وزمان، ومكان ستكون دلالة غير معبرة عمّا يحمله الخطاب من طاقة دلاليّة؛ ولذلك فإنّ الدّراسة ستركز على نقطتين محوريّتين:

- الأولى: حضور الإمام الحسن (عليه السلام) في خطابه، هذا الحضور الذي استحضّر المخاطب بما يشير، بشكل غير مباشر، بالهمّ الذي يشغل بال هذا المتكلّم.
- الثّانية: اللّغة التي استخدمها المتكلّم المرتبطة بهمّة الرّساليّ.

Abstract

Imam Hassan's (peace be upon him) sermons are considered unique gems among the eloquent sermons, containing profound and incomparable meanings. They represent the Islamic reality with all its variables, implications, and fluctuations. The influence of the circumstances from which they emerged is clearly evident, indicating that the text of these sermons was born out of a distinct reality, with its unique characteristics. These sermons were distinguished, illuminating, and rooted in deep belief in the divine message, characterized by noble ethical values. They were based on a human relationship with the speaker, capable of captivating and influencing them. Their significance lies in their ability to construct actions and foster culture for the addressee, who is a partner in the project.

Hence, this research aims to study and analyze samples of the sermons of Imam Al-Hassan (peace be upon him). If the goal of analyzing any speech is to understand its purposes, then these purposes cannot be conveyed by language alone. This is because the meaning presented by the linguistic system of vocabulary, morphological level, and syntactic level in isolation from the context of the speech, including the speaker, the addressee, the situation, the topic of speech, time, and place. The study will focus on two pivotal points:

The first: Presence of Imam Hassan (peace be upon him) in his speech which brought the addressee to mind, indicating, in an indirect way, the concern that occupies the mind of this speaker.

The second: language used by the speaker, which is related to his missionary concern.

المقدمة

لقد منّ الله تعالى علينا بولاية قوم أثنى عليهم القرآن، ومدّهم الرّحمن: خيرته من العباد، وصفوته من الحاضر والباد، جبال العلوم الرّاسخة، وقلل الفخار الشّاخنة، وغرر الشّرف الشّادخة، سفن النّجاة، وغمائم الرّحمة، ومعادن البركة، الحجاج على الوري، إذا انتسبوا عدّوا المصطفى والمرضى، وإذا فخرُوا على الأملاك انقادت وأعطت الرّضا، وإن قالوا نطقوا بالصّواب، وأتوا بالحكمة وفصل الخطاب، بهم تُقبل الأعمال، وتصلح الأحوال، محبّتهم عصمة في الأولى والعقبى، ومودّتهم واجبة، من أطاعهم فقد أطاع الله وراقبه، ومن عصاهم فقد جاهره بالعناد وحاربه، إنهم عدّتنا وعتادنا وذخيرتنا الباقية في معادنا، أولياء الله المصطفين الأخيار، أئمتنا الأطهار عليهم أفضل الصّلاة والسّلام.

والحمد لله الذي جعلنا ممّن اتّخذنا هداهم شريعة ومنهاجاً، ومذهبهم سلماً إلى نيل المطالب ومعرّجاً، نستضيء بنور علومهم ومعارفهم، ونستهدي بلوائح حكمهم النّافعة، وكلمهم الجامعة، وعظاتهم البالغة، وبراهينهم السّاطعة...

والإمام الحسن (عليه السلام)، واحد من هؤلاء الأئمّة الأطهار، وسرّ قدسيّ من الأسرار الإلهيّة، لا تدركه الأبصار، ولا تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظّن في الأسرار، «رزقه الله تعالى الفطرة الثّابتة في إيضاح مرشد ما يعاينه، ومنحه الفطنة الصّائبة لإصلاح قواعد الدّين ومبانيه، وخصّه بالجبلّة التي درّت لها أخلاف مادّتها بصور العلم ومعانيه، ومَرّت له أطباء الاهتداء من نجدي جدّه وأبيه، فحُبّي بفكرة منجبةٍ نجاح مقاصد ما يقتفيه، وقريحةٍ مصحبة في كلّ مقام يقف فيه»^(١).

من هنا اتّجهت النّفس متسامية نحو السّبط الأكبر، والنّور الأزهر، منبع الحكمة، ومعدن العصمة، جوهر الهداية، وطيب البداية والنّهاية، صاحب اللّواء والرّاية، أصل العلم والدّراية والفضل والكفاية، وأهل الإمامة والولاية والخلافة والرّواية، أجل الخلائق في زمانه، وأفضلهم وأعلاهم حسباً ونسباً وعلماً، قطب العلوم والأحكام، وفلك شرائع الحلال والحرام، رضيع لبان الرّسالة، ووارث علم الأنبياء، المرتشف من منهل الوحي الإلهيّ المقدّس، مولانا وإمامنا، الحسن المجتبي عليه أفضل الصّلاة والسّلام، وذلك

للإضاءة على نتف من عقود ذهبيّة، وطرف من جواهر الكلم الطيّب، وحقائق ناصعة مأثورة عنه: خطب تطفح عليها البراعة، ويقصر عنها الإدراك البشريّ، ويدقّ خفاها عن فهم الذكيّ، فمن أين يقدر المتصدّي لها على الإحاطة بأقطارها، والخوض كما يجب في غمارها، وهل ذلك إلّا طلب متعذّر، ومحاولة مستحيل؟!

قد نحاول ولا نستطيع أن نعبر عن الأفكار الرّازحة تحت ضغوط الآفاق التي لا تتناهى، أو نلتقط تلك الشّذرات النّادرة في خضمّ هذا الكائن العملاق بأدقّ معاني الكلمات، ولكنّا حاولنا عسى أن نحيط بقليل من كثير، ويسير من غزير، وقطرة من سحاب، ونقطة من عباب، فكان هذا البحث المتواضع لدراسة وتحليل بعض النّماذج من الخطاب الحسنيّ الشّريف.

ولذلك، فإنّ المنهج الذي سيّتبّع في دراسة الخطاب الحسنّي هو منهج تحليل الخطاب الذي يقع داخل تجاذب دائرتين أو تقاطعهما: دائرة اللّسانيات ودائرة العلوم الإنسانيّة، وهو منهج حديث يناسب، بشكل دقيق، الخطاب الواقع خارج الأدبيّة، والذي تمثّله خطب الإمام الحسن (عليه السلام)، خير تمثيل، ويفترض هذا المنهج، بناء على ما أشرنا إليه، أن يقوم بحثي بالإضافة إلى المهاد النظري الذي سأتناول فيه المنظومة المفاهيميّة للخطاب على مبحثين محوريّين هما:

- الأوّل: حضور الإمام الحسن (عليه السلام) في خطابه، هذا الحضور الذي استحضّر المخاطب بما يشير، بشكل غير مباشر، بالهمّ الذي يشغل بال هذا المتكلّم.
- الثّاني: اللّغة التي استخدمها المتكلّم المرتبطة بهمّة الرّساليّ.

مهاده نظريّ: المنظومة المفاهيميّة للخطاب

قبل الخوض في امتلاك معرفة بمفهوم الخطاب، لا بدّ لنا من العودة إلى المرحلة التّأسيسيّة التي انطلقت منها الحركة النّقديّة الحداثيّة التي اتّخذت من العلميّة منطلقاً ودليلاً، وقد قامت هذه المرحلة على نشاطين أساسيين:

تمثّل النشاط الأوّل، بما قام به العالم السّويسري «فرديناند دي سوسير» الذي حاول الانتقال بالدراسات اللّغويّة السّائدة حتّى زمانه من دراسات مخترقة بالحقول المعرفيّة الأخرى إلى دراسات علميّة^(٢)، «فتناول ثنائيّة (اللّغة / الكلام)، والكلام الذي يشكّل أحد جزئي اللّسان عند سوسير هو ثانوي عرضي بالنّسبة إلى الطّرف الأوّل من الثّنائيّة (اللّغة) التي عدّت أساسيّة جوهرية^(٣)».

ويتربّ على هذا الموقف السوسيري إقصاء لدراسة الكلام في مجال اللسانيّات^(٤)، يؤدّي إلى حسابان الجملة الوحدة الكبرى في الدّراسات اللّسانية^(٥)، فلا يتجاوزها إلى الكلام. أمّا النشاط الثّاني، فقد قامت به حركة الشّكليّين الرّوس (الأبويّاز)، التي سعت هي أيضًا إلى الانتقال بالدّراسات الأدبيّة إلى مستوى العلم، لتصبح علم أدب، وذلك من خلال مقولة جاكبسون الشهيرة: «إنّ موضوع العلم الأدبي ليس الأدب بعمومه، وإنّما أدبيّته، أي ما يجعل من عمل أدبيّاً»^(٦).

وحيث تصير أدبيّة الأدب موضوع علم جديد للأدب، يعني أنّ الدّراسة الأدبيّة قد شقّت مساراً جديداً عند حركة الأبويّاز^(٧)، خصوصاً أنّ تلك الأدبيّة ليست سوى الخطاب الأدبي، وقد لاحظ سعيد يقطين أنّ «مختلف الأدبيّات الحديثة تسلك الطّريق نفسها، وإنّ بأدوات وأسئلة متعدّدة ومختلفة، منتقلة من الحديث عن الأدب، أو العمل الأدبي إلى الأدبيّة، فالخطاب»^(٨).

وهذا يعني أنّ حركة الأبويّاز نحت بالدّراسات النّقديّة منحى مابيناً للمنحى الذي أنتجته ألسنيّة سوسير، إذ ركّزت النّظر على الكلام الأدبي، فأدّى ذلك إلى تطوّر المواقف وصولاً إلى مصطلح الخطاب، وهذا ما أدّى إلى إعادة النّظر في احتساب الجملة أكبر وحدة يطالها الدّرس الالسنّي بناء على مفاعيل ثانويّة الكلام وعرضيّة في ثنائيّة سوسير (اللّغة / الكلام).

وقد مهّدت هذه الوضعيّة الثقافيّة في الغرب الطّريق أمام بنفست الألسنيّ الفرنسيّ ليقلب المنطلق الألسني قائلاً: «إنّ الجملة لا تشكّل في صلب ملفوظ أكبر سوى وحدة صغرى للخطاب»^(٩)، وتعدّ هذه النّقلة ثورة في الدّراسات الأدبيّة، أسّس جاكبسون بناء عليها، نظريّته القائلة إنّ الشّعريّة جزء من علم اللّغة^(١٠).

وهذا يعني أنّ بنفست قد وضعنا أمام لسانيتين مختلفتين: لسانيّات الجملة ولسانيّات الخطاب، لسانيّات الجملة لا تتعلّق دلالتها بظرف وإطار وموقف، بل تستدعي تفسيراً دلاليّاً سيميائيّاً تتكفّل أنظمة اللّغة: من نظام معجميّ، ونظام صرفيّ، ونظام نحويّ بإنتاج دلّالته بمعزل عن أيّ وضعيّة غير لغويّة.

أمّا لسانيّات الخطاب فمتعلّقة بموقف يوجّه دلالة الخطاب بما يجعل الأنظمة الثلاثة المكوّنة للنّظام اللّغوي العام حياديّة إلى حدّ بعيد فيما يتعلّق بالحاصل الدّلالي، ويعني ذلك أنّ المقصود



من الخطاب لا يستخلص، بناءً عليها، ولكن بناءً على موقف وظرف وسياق^(١١).

نستنتج من ذلك أنّ هناك عدّة عوامل تتعاون في تحديد دلالة الكلام التّواصلي: مقام المتكلّم وصفاته وإمكاناته، مقام المخاطب وصفاته وإمكاناته، زمان القول، مكانه، الظروف الاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة والدينيّة والنّفسية.

ويعني ذلك أنّنا أمام مصطلحين: الجملة، والملفوظ، دلالة الجملة لغويّة سيميائيّة، ودلالة الملفوظ تداوليّة براغماتيّة تتحدّد خارج اللّغة إلى حدّ بعيد.

والمتكلّم حين يوظّف ما يحيط بخطابه، ممّا يقع خارج اللّغة، إنّما يريد لخطابه أن يكون أكثر فاعليّة في تحقيق مقاصده، وهو الذي يؤدّي واحدًا من دورين: دور المثقّف الباني، المهيّئ لمشروع إنسانيّ، عبر التّعامل مع العقل، أو دور المؤثّر الضّارب على وتر العواطف المعدّ لمشروع، ذي مآرب خاصّة بالمتكلّم^(١٢).

ولذلك فالخطاب، وبتعبير آخر عند بنغنست، في مستوى من المستويات هو «كلّ تلفّظ يفترض متكلّمًا ومستمعًا، وعند الأوّل هدف التأثير على الثّاني بطريقة ما»^(١٣)، ويعني ذلك أنّ الخطاب عمليّة تواصل بين طرفين متراتبين عنده، وأن يهدف الأوّل إلى التأثير على الثّاني، يعني أنّ الأوّل يمتلك وعيًا ومعرفة لا يمتلكها الثّاني، ولا ينفصل هدف التأثير عن الشّعور بالمسؤوليّة الذي يتملّك المتكلّم حيال المتلقّي، والشّعور بالمسؤوليّة لا يتأتّى إلّا عن ثقافة لها موقعها داخل تاريخ الحدث، وخطاب المسؤول، ككلّ خطاب له بعدان:

البعد الأوّل هو الرّؤية إلى العالم، وحين تكون هذه الرّؤية رؤية الإمام لا بدّ أن تأتي مميّزة بكلّ مكوّناتها: ثقافة وقناعات، وهمومًا واهتمامات.

والبعد الثّاني هو لغة ذلك الخطاب التي تكون بمعجمها، وتراكيبها، ومجازها، ورموزها، وشيفراتها الثقافيّة محدّدة ومحكومة بتلك الرّؤية.

يمكننا القول أنّه بعد جهود متوالية، استطاع البحث النّقدي أن يكشف أشياء أخرى تحيط بالأدب ولا تنفكّ عنه، فبعد أن كانت أدبيّة الأدب التي نادى بها الشّكليّون الرّوس (الأبويّاز) من خلال جاكبسون، تنظر إلى النّصّ على أنّه وجود موضوعي مستقلّ عن قائله وظروف قائله، تدرّجت النّقلات النّوعيّة في مجال النّظر النّقدي تبعًا لتحوّل المنظومات



المفاهيميّة الثقافيّة من مرحلة إلى أخرى، من أطروحة ريتشاردز في التّعامل مع القول الأدبي بوصفه عملاً، إلى رولان بارت الذي حوّل التّصوّر من العمل الأدبي إلى النّصّ، وصولاً إلى فوكو الذي نقل النّظر من النّصّ إلى الخطاب مؤسساً بذلك وعياً نظريّاً في نقد الخطابات الثقافيّة والأنساق الذهنيّة^(١٤).

وبهذا التّحوّل من النّصّ إلى الخطاب نكون قد نزعنا القداسة عن النّصّ الأدبي بوصفه عملاً إبداعياً ليغرق في الوظيفة التّداوليّة بوصفه خطاباً.

المبحث الأوّل: حضور الإمام الحسن (عليه السلام) في خطابه:

إذا كان الخطاب فعل رؤية المتكلّم إلى العالم: بأشياءه وأحداثه، بحصائله التاريخيّة والثقافيّة، بوجود الإنسان فيه، فإنّ المتكلّم لا يمكنه أن يغيب عن خطابه، وكيف إذا كان المتكلّم هو الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، سرّ الروح في أفقها الواسعة الصّافية النّقيّة، وعمق الإنسانيّة المتحرّكة بالخير كلّ والحق كلّ والعدل كلّ، ومعنى الحكمة في مواجهة حركة الواقع في سلبيّاته وإيجابيّاته، وشموليّة العطاء في رعاية المحرومين من حوله، وسموّ الأخلاق التي تحتضن كلّ مشاعر النّاس بكلّ اللّهفة الحانية في مشاعرها، وتتحرك في مواقع العصمة في سلوكه في نفسه ومع ربّه ومع النّاس ومع الحياة؟ فهو الخليفة، والإمام، والقائد، والحكيم، والنّاصح، والموجّه الذي حمل همّ الإصلاح، والدّعوة إلى الوحدة والتّآلف، والحوار، والحفاظ على دماء المسلمين، ممّا أهله لإنتاج خطاب عالٍ جمع فيه بين الإفهام والإمتاع.

فالكلام، بناءً على ذلك، بحاجة إلى إرادة المتكلّم المدموغة بثقافته، وقناعاته، وهوموه، واهتماماته، ومشاعره في بعض الأحيان، والبحث عن حضور المتكلّم في خطابه، لا يمكن فصله عن البحث عن حضور المخاطب والمتلقّي، عامّة، فيه.

فعندما قال الإمام في خطبته لأهل الكوفة في حثّهم على الجهاد والقتال ضدّ معاوية: «...، فإنّه لم يجتمع قومٌ قط على أمرٍ واحدٍ إلّا اشتدّ أمرهم، واستحكمت عقديّتهم، فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية، فإنّه قد حضر، ولا تحاذلوا فإنّ الخذلان يقطع نياط القلوب، وإنّ الإقدام على الأسنة نجدة، لأنّه لم يمتنع قومٌ قطّ إلّا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم جوائح الذّلة، وهداهم إلى معالم الملة»^(١٥).



أن يطلب الإمام (عليه السلام) من أهل الكوفة مساندة أمير المؤمنين (عليه السلام) في معركته ضدّ معاوية، فهذا أمر طبيعي؛ لأنّ الإمام (عليه السلام) يدرك جيّدا مدى حبّ أهل الكوفة للإمام علي (عليه السلام)، وتعظيمهم منزلته، فالكوفة مريض جنود الإسلام، وفيها محطّ أنظار الرّكب الإلهيّ الصّامد، وملتقى أجناد الرّحف الإسلاميّ الفاتح، وقد عدّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أهل الكوفة إخوانه في الدّين، وأنصاره من النّاس، وأعوانه على الحقّ، المجيئين إلى الجهاد، واتّخذ من الكوفة عاصمة للخلافة الإسلاميّة، وحبّها كرامته وثناءه، وخصّها بحبّه واعتداده، فهي عنده «جمجمة الإسلام، وكنز الإيمان، وسيف الله، وقبّة الإسلام»^(١٦).

ولكن أن يطلب منهم أن لا يتخاذلوا، فهذا يعني أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) يعي جيّداً أحوال الكوفة، ويصير البيئة التي تحيط به بتمثّلاتها كلّها وفقاً لنظرة موضوعيّة تعتمد على الاستدلال والبرهان لا على الحدس والوجدان، كيف لا وهو الذي دخل الكوفة مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في الثالثة والثلاثين من عمره الشّريف، وواكب أحداثها في جدّها وتردّدها، وتمرّس في استكنائه مناخها الاجتماعيّ المتعدّد، وأجال النّظر في حياتها العقليّة المتباينة، وأبصر عن قرب تكوينها النّفسيّ المضطرب، وتنبّه إلى الأهواء المختلفة في التّركيبة الدّاخليّة للبناء البشريّ المتناقض، واستطال إلى العمق الإنسانيّ في أبنائها، فازداد بها خبرة ومعرفة، وعركها إدراكاً وتجربة، واخترق الحجب والأستار؛ ليقف عند الحقيقة كما هي، فكان من أولئك القلائل الأفذاذ الذين استوعبوا مجمل آثارها ونوازعها وأخبارها، فلم تعد تخفى عليه شاردة من شواردها، ولا تعدوه جزئيّة من جزئياتها المتأصّلة في شتّى الميادين.

لقد قدّم لنا هذا الخطاب رؤية الإمام الحسن (عليه السلام) إلى الكوفة في ضوء التجربة الجهاديّة السّابقة لقياداتها مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، ليقيس عليها تجربة جديدة، ونصراً جديداً يمكن أن يحدثه شعبها إذا احتشد ولم يتخاذل.

إنّ حضور الطّرفين إذاً في هذا الخطاب: المتكلّم والمخاطب حضور (وظيفيّ) معرفيّ، فإذا وعى الإمام الحسن (عليه السلام) أنّ أهل الكوفة هم طليعة جند أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعيبة أسرارهِ، وشيعته الأقربون، يكرعون حوض ولائه، ويسارعون لتنفيذ إرادته، وعى أهل الكوفة أنّ الإمام علي (عليه السلام) «هو بطلهم الذي افتقدوه، وإمامهم الذي أرسلته العناية الإلهيّة إليهم ليحقّق



أملهم الذي طالما دأب نفوسهم في دولة تعيد مجد الحيرة القديم، ويسجّلون بها في الإسلام نصرًا إلهيًا على أهل الشّام، أعدائهم القدامى في تلك المنافسة القديمة بين المناذرة والغساسنة، فتركزت آمالهم في شخصه أوّل الأمر، ثمّ في أولاده من بعده، ونظروا على أنّه بطل الاستقلال السياسي لبلاد العراق^(١٧)، لقد عرك أهل الكوفة قبل الإمام علي عليه السلام جمهرة من الطّغاة وولاة السّوء، وأدركوا الأثرة بأبشع صورها، والإذلال بكلّ مظاهره، والاستغلال بعواصفه الهوجاء، والعصبية بإطارها الضيّق المتعنّت، فعرفوا أنّ عليهم أن يحتضنوا عليًا عليه السلام من الأعماق، وأنّ تلتفّ حولهم أصولهم وفروعهم، فيمنح حبًّا صادقًا، وولاءً متطاولًا، وطاعة غير محدودة، وهم يعلمون أنّ الخلافة إن فاتت عليًا عليه السلام، فمآلها إلى معاوية قطعًا.

وإذا استخدم الإمام عليه السلام فعل الأمر احتشدوا، وما يستتبع الاحتشاد من اشتداد الأمر واستحكام العقيدة، وفعل الأمر لا تتخاذلوا، وما يستتبع الخذلان من تقطّع نياط القلب، إنّما عنى بهما تأكيد المسؤولية التي يتحمّلها المخاطب، وتثبيتاً له في إدراك الحقائق، ومما يجب ذكره في هذا المقام أنّ هذه الشرارة المتقدّة في خطاب الإمام عليه السلام كانت بداية للتآلف في الآراء، والتّعاقد في المشاعر، وهم يدّ واحدة على عدوّهم.

وفي خطبته بعد مقتل أبيه أمير المؤمنين: «من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي عليه السلام، أنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النّذير، وأنا ابن الدّاعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السّراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرّجس وطهرهم تطهيرًا، أنا من أهل بيت افترض الله مودّتهم وولايتهم الذين كان جبرئيل ينزل عليهم، ومنهم كان يعرج، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله حبّهم في كتابه، فقال ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقَرَّرْ حَسَنَةً نَّزَدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(١٨) ﴿فالحسنة مودّتنا أهل البيت﴾^(١٩).

أنّ يُعرّف الإمام بنفسه بأنّه من شجرة النّبوّة ومعدن الرّسالة، هذا يعني أنّه يعي جيّدًا حقيقة البيئة الاجتماعيّة التي تحيط به، فهي بيئة متلجلجة لا تستقرّ على أرضيّة إيمانيّة صلبة، ولا تستند على جدار حصين من الفهم الإسلاميّ الصّحيح، ويعرف جيّدًا هذا الكيان المتداعي في تأكله، وأنّ المجتمع مجتمع فاسد مريض لا يميّز بين الخير والشرّ، وبين المفسد والمصلح، وبين الإمام الحقيقي والإمام المزيف، ومن هنا جاء هذا الخطاب لبيّن المسار الصّحيح، المبنيّ

على مرجعية أصيلة هي مرجعية جدّه رسول الله ﷺ، ومرجعية أبيه أمير المؤمنين عليه السلام. ونحن في هذه الخطبة لا ندرس حضور المتكلم / الحسن عليه السلام من أجل معرفة حيادية بذلك الحضور، ندرسه لنكتشف إسهامه في تحديد قصديّة الخطاب، وإذا كانت قصديّة الإمام عليه السلام في خطبه متعدّدة بما يتناسب مع الموضوعات التي يعالجها، فإنّ قصديّة ثابتة هنا لا يحول عنها خطابه، وهي إثبات أحقيّته بالخلافة والولاية، فالمرقب لكلام الإمام عليه السلام يكتشف تموضعاً له داخل خطابه على شكل فعل كلاميّ مرتبط بنسبه وانتسابه إلى رسول الله ﷺ، وإلى عليّ عليه السلام، فهو سليل الأجداد الخالدات، ابن خير الرّجال، وخير النّساء، أشبه الرّجال بالمصطفى ﷺ، وهو ﷺ صورة مصغّرة عن رسول الله ﷺ، وأشعّة من روحه العظيمة، يضارعه في أخلاقه، ويحاكيه في سموّ نفسه، فهو قبس من سناه يرشد أمّته من بعده إلى طريق الحقّ، ويهديها إلى سواء السبيل، كيف لا؟ وقد نشأ الحسن عليه السلام في بيت الوحي، وتربّى في مدرسة التّوحيد، تأثر بجده وورث ما استقرّ في نفسه من القوى الروحيّة والثروة الإصلاحيّة الهائلة، ويضاف إلى ذلك تأثره بالبيئة الصّالحة التي تكوّنت من أسرته، ومن خيار المسلمين وصلحائهم.

إنّ الابتداء بضمير المتكلم المفرد «أنا» لم يكن سوى إشارة إلى يقينيّة ما سيتضمّنه الفعل الكلامي؛ لأنّ الحسن عليه السلام في موقع يؤهّله لمعرفة ما سيخبرهم به، إنّ هذا الفعل الكلامي الذي يترأى لنا فيه الإمام الحسن عليه السلام قائم على مستوى ثقافي غير معهود في الحياة العاديّة، إنه خطاب الواثق من نفسه ومن أحقيّته بالخلافة، فهو ابن البشير النذير الدّاعي إلى الله ﷻ، وابن السّراج المنير، وابن النّبّي، وابن الوصي، الوارث لشأئلهما، والنّاهض بخصائصهما، المتبّع لنهجهما، وهو من أهل بيت طهّهم الله من الرّجس والخطأ والزّلل، وفرض محبتهم ومودّتهم، وجعلها من أعظم الحسنات، وما تكرر الضّмир «أنا» إلّا لتوكيد أنّه الوريث الشرعي لكلّ المميّزات الخاصّة بأهل البيت عليه السلام، وهو الجدير بالإمامة دون البدائل الأخرى، لا تصلح الخلافة إلّا به، ولا تستقيم إلّا له.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ذكر الضّмир من دون ذكر الإمام صريحاً يدلّ على هذا التّعظيم والتّفخيم لمقام الحسن عليه السلام، ولذلك لم يجد نفسه مضطراً لاستخدام أي صيغة من صيغ المصانعة، إنّما استحضر الحجّة المقنعة، القرآن الكريم لما للاستدلال بالقرآن من إظهار

المرجعية الدنيّة العميقة، ولما «يمتاز به الخطاب القرآني المعجز من مفاهيم عقلية، وأساليب بيانية تستولي على نفوس المخاطبين، وتمتلك مشاعرهم بما لها من احتجاجات جمعت بين الدلائل النّفسية والشّعورية والآيات الآفاقية في توكيد العقائد والشّرائع السّماوية ونقض ما عداها في ضوء منظومة استدلالية برهانية متكاملة الأبعاد، فالتأمّل في كتاب الله المجيد تأسره مظاهر الاستدلال الذي يسخر هذا الوجود بأكمله، ويوظفه ويقدمه للإنسان المخصوص بخطاب القرآن متناسبا مع جبلّته، سعيّا في البناء النّفسي والسلوكي، وصناعة الأنموذج المثالي في وعيه لنفسه، وإدراكه لما حوله في هذا الوجود سواء أكان منه، أم ما هو كائن، وما سيكون ولو بعد حين»^(٢٠).

والعبرة الطاهرة إنّما تستقي علومها، وينبجس خطابها من القرآن الكريم، فهم عدله والدّعاة إلى العمل بأحكامه وشرائعه، والهداة إلى سبيله، والإمام الحسن (عليه السلام) كانت تتجاذبه كلمات الله (عز وجل) من كلّ الجوانب، وليس هذا الأمر بغريب عليه؛ لأنّه اتّصل بالقرآن الكريم منذ صغره، وانكبّ على حفظه وتدبّره، وفهم معانيه ودلالاته، فانعكس هذا الفهم على سلوكه وتصرفاته من جهة، وعلى أسلوبه وبلاغته من جهة أخرى.

من يتتبّع خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) يدرك جيّدًا أنّ الإمام (عليه السلام) أراد تهيئة المناخ الصّالح لإنقاذ أكبر عدد ممكن من حيرة الضّلال، ويعيد المجتمع إلى وعيه، ويسهم في إنتاج مجتمع صالح يكون بحجم التّحديات الصّعبة التي تواجهه، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّنا أمام قيادة منتجة لثقافة دينية وتاريخية تحتاجها الأمّة، ثقافة جديدة تؤسّس لحياة جديدة وواقع جديد.

وفي خطابه الذي ألقاه بعد أن تمت البيعة له، حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: نحن حزب الله الغالبون، وعرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأقربون، وأهل بيته الطيّبون، وأحد الثّققلين الذين خلفهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمّته، والتّالي كتاب الله الذي فيه تفصيل كلّ شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره، لا ننظني تأويله بل نتيقّن حقائقه فأطيعونا، فإنّ طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله (عز وجل) ورسوله (صلى الله عليه وآله) مقرونة، قال الله (عز وجل) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢١).

وأحذركم الإصغاء إلى هتاف الشيطان، إنه لكم عدو مبين، فتكونوا أوليائه الذين قال لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾^(٢٢) فتلقون إلى الرماح أزرًا وإلى السيوف جزرًا، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً، ثم ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾^(٢٣) ﴿٢٤﴾

لم يكن تحذير الإمام عليه السلام لأهل الكوفة قائم على المصادفة، ولم ترد المقدمة -التي ابتدأ بها الإمام عليه السلام خطابه- لذاتها، مع أهميتها وظيفتها الثقافية التي يمكن أن تكون مستقلة، أرادها مهاداً لما يريد أن يجلوه من حقائق ملتبسة في ذهن الناس، يعني أن المتكلم مؤرق حيال ذلك اللبس الذي أنتج شططاً في التفكير، ويعبر ذلك عن هم مزدوج، يتعلق الأول بتخطيطه الايديولوجي في التأكيد على الكتاب والعترة باعتبارهما الثقلين الذين خلفهما رسول الله ﷺ في الناس، والثاني يهتم بالتخطيط الثقيفي الذي يتوجه به إلى أهل الكوفة لتحذيرهم من مكر عدوهم (معاوية) ودهائه.

فحينما أصيب الضمير الإنساني في الكوفة بهزة عنيفة، وتفرقت السبل بأبنائها، وتحكّرت الشبه متدافعة من هنا وهناك، وحامت حول القلوب الواهنة، وتعدّدت المقالات في الحقّ والباطل، وقف الإمام عليه السلام على هذا المجتمع المتداعي في تأكله وقفة القارئ الواعي للمشهد السياسي والاجتماعي، والمفكر البارِع في الإحاطة بنزعات النفوس وتحالجاتها، فصوّب سهام خطابه بصورة دقيقة دون أن يخطئها في فهم المجتمع ومناوئيه، ووضع بصماته البارزة في سنن الطريق الأمثل لهم. لم يكن كلامه عن أحقيته بالخلافة كلاماً حيادياً مستقلاً، وإنما كان كلاماً وظيفياً ذا بعدين مهمّين: ثمثّل الأوّل في خدمة أهداف مشروع واضح المعالم، ألا وهو الدّعوة إلى التّوحيد، والالتزام بمبادئ الإسلام الصحيح، وعدم الانحراف والعودة إلى الفهم الصحيح للإسلام، والتمسك بالقيم والتعاليم الإسلامية النبيلة الصحيحة، وتمثّل الثاني بكشف انحراف المناوئين وشططهم وابتعادهم عن خطّ الإسلام الصحيح، وإضلالهم الناس. وبقطع النظر عما يقتضيه فعل التحذير الخاص بالمتلقّي، وعمّا يجب أن يُعرف، وضع الإمام نفسه موضع المعلم المرشد، ووضع المتلقّي موضع المحتاج إلى المعرفة والإرشاد.

ومن خطبه عندما أراد أن يمتحن أصحابه، ويستبرئ أحوالهم في الطاعة في أول مواجهة مع معاوية عندما سار الأخير نحو العراق لغلب الحسن عليه السلام، فقال عليه السلام بعد أن حمد الله : «،،، أما بعدُ فوالله إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه، وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة، ولا مرد له بسوء ولا غائلة، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خيرٌ لكم ممّا تحبّون في الفرقة، ألا وإنّي ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليّ رأي غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا» (٢٥).

صحيح أنّ الخطاب الشّفوي، بشكل عام، والذي تحتشد فيه مواضيع شتى وهموم متزاخمة دائماً سيكون خطاباً بعيداً عن التكلّف، خصوصاً إذا كان خطاب قائد تتمثّل فيه استثنائية القضية المركزية في حياة الأمة وتاريخها ووجدانها وثقافتها، وكلام الحسن عليه السلام في خطابه لا يكشف عن خلقية رسالية فحسب، وإنّما يقدمه لنا إنسانٌ قد تخطّى فرديته تخطياً غير قابل للمناقشة، ليتشذّى في ذات جمعية متعدّدة الأبعاد، واستخدام الضمير المنفصل «وإياكم» إشارة إلى هذه الذات من خلال مشاركتها الجماعة، والمخاطب الذي أشير إليه بدلالة العموم والشمول في لفظة «الخلق»، إنّما يدلّ على الناس جميعاً على اختلاف قومياتهم، وولاءاتهم، وانتفاءاتهم، ودياناتهم، وقد قدّم النصيحة لهم جميعاً ودعاهم إلى التّحابّ والودّ، ورفع الصّغائن، ونبذ البغض والفرقة لأنّه لا يريد السّوء والغائلة لأيّ فرد منهم.

إنّ حضور الحسن عليه السلام في هذا الخطاب هو حضور النّاصح الذي يريد بقاء نعمة الله للخلق، وكرامة وصول الشّرّ إليهم، والمرشد الذي يرشدهم لما فيهم مصلحتهم وغبطتهم. وإذا كانت قصديّة خطابه التّأكيد على قضية مهمّة، ألا وهي التّمسك بالجماعة والعصبة، وترك الفرقة والتّشتّت، واتباع وليّ الامر المبايع المفترض الطّاعة، فلاّنه ينظر إلى مصالح المسلمين كافّة، وإنسانية القيادة التي أخذت تجلّيها الأوضح من خلال النهوض بحقه فيما فرض الله عزّ وجلّ عليه من تأدية حقوق النّاس والعناية بمصالحهم، ورعاية حقوقهم، ومن دعوة إلى إصلاحهم، ونصحهم، ودعوتهم إلى التّعايش، والتّسامح، والتّحابّ، والتّوادّد، وغيرها، إنّما هي الطّريق القويم، والصّراط المستقيم إلى الرّشاد والسّعادة.



وفي خطابه الذي صرّح به بعد الاحتجاج على توقيع معاهدة الصّـلح مع معاوية يقول: «والله ما سلّمت الأمر إلّا لأنّي لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتّى يحكم الله بيني وبينه، ولكن عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، وإنّهم لا وفاء لهم، ولا ذمّة في قول ولا فعل، إنّهم لمختلفون ويقولون لنا: إنّ قلوبهم معنا، وإنّ سيوفهم لمشهورة علينا»^(٢٦).

مما لا شكّ فيه أنّ الرّؤية التي واجهتنا في خطاب الإمام (عليه السلام) قد خطت خطوة واسعة في اتجاه إنتاج ثقافة جديدة في ضوء المعطيات السّياسيّة والاجتماعيّة والعسكريّة والنّفسيّة التي كانت سائدة في تلك المرحلة، ثقافة التّخطيط السّياسي الرّائد، والانتصار العقائدي؛ ذلك أنّ تصدّع الجبهة الدّاخلية للدولة الإسلاميّة، وتخيم الأجواء الملبّدة بغيوم الشّكّ والارتباب، وتحاذل ونفاق عدد غير قليل ممّن بايع الحسن (عليه السلام)، وتخلّف خلق كثير عنه عندما صمّم على القتال وعدم خروجهم معه بعد أن وعدوه بالقتال ضدّ معاوية، ووقوع قائد جيشه عبيد الله بن العبّاس وكبار الصحابة، ومن كان يعوّل عليهم الإمام الحسن (عليه السلام) من القادة والوجهاء والشّيوخ في فنّ المال والمغريات التي سلبت منهم الاتّزان والبصيرة، زيادة على ضعف الوازع الدّيني، وسيطرة سلطان الهوى، وفقدان الوعي السّياسي، وانعدام الالتزام الأخلاقي، فلم يبقَ معه من يأمن غوائله إلّا خاصّة من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشّام، جعل الإمام المجتبي (عليه السلام) يُعيد نظره الثّاقب في الموقف الحربي الهشّ، ويتدارك الأمر، ويسلك في الأحداث بما لله فيه رضا، وللمسلمين فيه صلاح، فيعمل من أجل نصر مستقبله بكلّ أصالة ومنهجية بعيداً عن الخور والطّيش، وقریباً من الحقّ والصّواب، فلا يفكّر في حرب فاشلة تنتظره على الأعتاب للتّطويع به وبالصفوة المختارة من أهل بيته وأشياعه ومحبيه،

فالمجتمع الكوفي ترك الجهاد وهو عزّ له وجنح إلى السّلم الرّخيص وهو ذلّ له، وكان في ذلك بين عاملين: الرّغبة والطّمع ما أدّى به إلى هذه الهوة السّحيقة من الخور والجبن والاستسلام، فلا الأحلام صادقة، ولا العزائم جادة، ولا الأهواء موحّدة، والإمام في هذا المناخ الغريب التّناقضي يريد أن يدبّر أمر الدّين والدّنيا، ويحمل النّاس على المحجّة البيضاء،



وليس معه دنيا مغرية، ولا حياة رخيصة، ولا مطامع سائلة، إنّما هو الكفاح الميرير والنّضال المستميت، والاستنان بما قرّره أمير المؤمنين (عليه السلام) من ذي قبل.

إنّ هذه الرّؤية الاستثنائية للإمام (عليه السلام) تقدّم تجربة استثنائية من تجارب آل البيت (عليهم السلام)، وتظهر أنّ هذا الحدث التاريخيّ المصيريّ ليس حدثاً عبثياً، إنه حدث يقدر لنا الإمام (عليه السلام) مدرّكاً لوظيفته، مؤمناً واثقاً باندراجة داخل تخطيط إلهيّ دقيق ومحكم، غائي يهدف إلى حفظ الإسلام والمسلمين. وهذا الرّبط بين الحدث وغايته في ذهن الإمام (عليه السلام) يوجب أن تتقدّم الغاية على الحدث، تحدّد وظيفته وحجمه، وغاية بأهميّة حفظ الرّسالات السّماوية التي تضع في رأس أولوياتها الإنسان على الأرض يجب أن تحدّد الحدث، وترسم أبعاده،

يعني ذلك أنّنا أمام استيعاب أنموذجي لحدث الصّلاح مع معاوية، وامتلاك الحسن (عليه السلام) هذه الثّقافة قائم قبل خطابه، ولكنّه في خطابه يقدم لنا نفسه حريصاً على إشاعة تلك الثّقافة بين النّاس، وهل الثّقافة سوى تحديد للمشكلة ووضع حلّ لها؟

ومساهمة الحسن (عليه السلام) في إنتاج ما أنتجه من ثقافة إسلاميّة محنّكة، تحفظ الإسلام وأهله، لم يكن ترفاً فكريّاً قائماً على الحدس فقط، ولكنّه نتاج الخائض في غمار المشكلات الصّعبة المستعصية على مختلف أنظمة الأمّة، وما كان للإمام (عليه السلام) أن ينجح في ما نجح به لولا إمساكه المشكلة من مقبضيها الحقيقيّين؛ غُيّت بهما الدّفاع عن العقيدة، والدّود عن حياض الشّيعة، والحفاظ على جوهر الإسلام من جهة، وتعرية معاوية وإظهاره للملأ من جهة ثانية ممّا أدّى به إلى تقليل مؤامراته الدّنيئة ضدّ الإسلام وقيمه.

والجدير بالذّكر هنا هو أنّ التّوجّه إلى خيار الصّلاح مع معاوية، وما جرى من ألفه إلى يائه انعكس حركة إيجابية في تاريخ الإسلام، أظهرت لنا المتكلّم عبقرياً فذاً، وقائداً رسالياً يتصرّف في ضوء الأسس الثّابتة فيما يؤسّس ويقرّر، فالصلح كان ضرورة ملحّة لوحدة المسلمين، وإنقاذ ما تبقى من شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، ثمّ تجميد ما تبقى من خطط معاوية لإجهاض التجربة الإسلامية الفتيّة، والإمام (عليه السلام) ما صالح معاوية ليستريح من متاعبه، وإنّما ليكافح من جديد، ولكن على صعيد جديد، وأظهر المخاطبين متخاذلين، أترعوا بحبّ الدنيا، وعميت أبصار قلوبهم عن تحمّل مناصرة الحقّ ومقارعة الباطل، فاختاروا لأنفسهم حياة الدّلّ وتحوّلوا إلى حجر عثرة أمام أيّ خطوة إصلاحية.

المبحث الثاني: لغة الخطاب الحسيني

إذا قدّمت خطب الإمام الحسن عليه السلام المتكلّم إماماً، وداعية، ومصلحاً، وناصحاً وقائداً وخليفة مهتماً في قيادة العباد وتوعية الأمة، وتنوير الناس وإصلاحهم، وجعلهم على بينة من أمرهم، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على أساس الرسالة الربّانية، وقدّمت منهجه السوي في غرس وتثبيت قيم أهل البيت عليه السلام في نفوس المخاطبين، ووقايتهم من الانحراف، وحثّهم على الجهاد للحفاظ على الشريعة من الضياع، وكشفت عمق رؤيته إلى بواطن الأمور في مناحي الحياة المتعدّدة، وأظهرت انحراف المناوئين وشططهم، ومكر الحزب المعارض وخداعه ودهائه، وبطلان سبله، وفساد منهجه بمقابل حُسن منهجه، متوخياً بذلك إنتاج مجتمع مكتمل الصفات الإيجابية عبر إنتاج إنسان رسالي مجاهد، واعٍ للشريعة، يصون المقدّسات الإلهية، فكيف جاءت لغة الخطاب متناسبة مع هذا الهمّ الذي حمله الإمام عليه السلام، وقدّمت خطبه ؟

نجد أنفسنا، ونحن نواجه خطب الحسن عليه السلام أمام لغة تعتصم بالدقّة، والصّدق الفنّي، والحكمة، والمنطق، والإقناع، قصد إيصال المتلقّي إلى المقصود من قبل المتكلّم، وإقناعه بالدلالة التي تقتضيها رؤيته؛ والرؤية بصمة، فهي بما تقوم عليه من ثقافة وقناعات وهموم واهتمامات العين النّاطرة الكاشفة، والإمام عليه السلام الذي يحمل على عاتقه مهمّات صعبة ومعقّدة، وبعيدة المدى، وملأى بالمخاطر والعقبات سيكون حريصاً في خطابه على الإتيان بمفردات عنيدة الدلالة غير متّصلة بالشّعريّة المفتوحة الدلالة على احتمالات غير محدّدة، تساهم في إزالة العقبات، وتوجّه مسيرة الأمة إلى الطّريق الآمن، والعدل المخطّط له، من هنا توجّب علينا أن ندرس المستوى المعجمي في خطب الإمام عليه السلام، وهذا ما جعلنا مطالبين بمتابعة الألفاظ المتواترة في هذه الخطب، وكيف تجلّى عنادها الدلالي؟

١- الكلمات المتواترة

لعلّ أكثر الألفاظ حضوراً في خطب الإمام هي : كلمة (الحسن) من ناحية، وكلمة (قوم) من ناحية أخرى، فقد وردت كلمة (الحسن) عشرين مرّة تقريباً، وهذا العدد قادر على لفت انتباه القارئ إليه بما يحوّلّه إلى علامة سياقيّة دالّة مرتبطة بهمّ المتكلّم واهتمامه، فالإمام يتوخّى من خلال تزويد المخاطب بمقامه، ومكانته وحسبه، وانتسابه إلى أهل

البيت ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس، وافترض مودّتهم إنتاج مجتمع واعٍ، يعرف مكانة إمامه، ويدافع عن الإسلام والقيم الإسلامية بشكل واضح وأكيد، ولا يقوم تواتر كلمة (الحسن) بوظيفته مستقلاً عن تواتر كلمة (قوم) التي تواترت في الخطب نفسها ما يقارب العشر مرّات، وهذا رقم شديد الدلالة على الدور الأساس والفاعل الذي يجب أن تتشكّل منه شخصيّة المجتمع الإسلامي، فمواجهة الظّالم من خلال بؤرة تجلّياته يحتاج إلى قلوب صافية، ونيّات مخلصّة، ولا يقوم بهذه المواجهة رجال نفخت عزيمتهم من خلال إلهاب مشاعرهم؛ لأنّ معركة هذه الجذريّة في المواجهة لا يجترحها سوى رجال من الطّراز الحسنّي العلويّ.

ويأتي على هامش تواتر كلمة (الحسن) أيضاً تواتر كلمة (العدوّ) بما يقارب الست مرّات: وهذا التّواتر واقف في المواجهة مع تواتر كلمة (الحسن)، وإذا كان تواتر كلمة (الحسن) متفوّقاً، بشكل واضح، على تواتر كلمة (معاوية)، بما يفترض تخفيف فعاليّته، إلّا أنّه يظلّ يعبرّ بشكل من الأشكال عن خوف الإمام ﷺ من المخاطر والأزمات التي ستهدّد مستقبل الأُمّة في ظلّ مكر معاوية وخداعه ومحاولاته تشويه معالم قوة شخصيّة الإمام ﷺ، وتقويض مسارات تأثيرها، والتّعمية على عمق أصالتها، والسيطرة على دفّة الحكم، ولكن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهذا إن دلّ على شيء، إنّما يدلّ على شخصيّة الإمام المتّصفّة بالنّضج، والتّفكير الثّاقب القادر على اختراق الظّاهر إلى الجوهر، ما مكّنه من إجماع معاوية، وكشف زيف أباطيله وإسقاط أفنّعه.

٢- حضور الحقول الدلالية ووظيفتها:

تستدعي متابعة تواتر بعض المفردات في خطاب الإمام الحسن ﷺ متابعة الحقول الدلالية في ذلك الخطاب، فالحقل الدلالي الذي يحفل بمثله خطاب ما، ليس مجرد كلمات متعدّدة تنضوي تحت عنوان مشترك، يصير هذا الحقل علامة سيميائية توحى بمناخات وأجواء محدّدة تشيع في الخطاب حالاً أرادها المتكلّم تأكيداً لما يذهب إليه، ومما يجدر ذكره في هذا المقام أنّ كلمات الخطب التي درسناها مستقطبة حول خمسة حقول دلالية أساسية: المرجعية الدّينية، الطّاعة، الجهاد، النّصح، الأُمّة.

تجد في الحقل المعجمي الأول (المرجعية الدينية) كلمات مثل (الإمام الحسن، كتاب الله ، رسول الله ، البشير، النذير، الداعي إلى الله، السراج المنير، أهل البيت، حزب الله الغالبون، عتره رسول الله الأقربون، أحد الثقلين، مودتهم، ولايتهم، أذهب عنهم الرجس، طهرهم تطهيراً) وهي مجموعة من الكلمات التي تشيع في هذا الخطاب مناخاً من القداسة التي يجب أن نركن إليها وننطلق منها في قناعاتنا واعتقادنا، تصير الفاصل بين ما يجب أن نأخذ به وبين ما يجب أن نرفضه، هي المدرسة التي نتعلم فيها ومنها كل ما يتعلق بحياتنا الدينية والاجتماعية والخلقية والنفسية.

وفي هذا الحقل إشارة إلى قضية مركزية وحساسة وهي موقع المرجعية والقيادة في المجتمع، وأسلوب تعامل الجماهير مع قرارات هذه القيادة، وأن المطلوب من أبناء هذه الأمة إسناد ودعم قيادتها الشرعية ما دامت تعمل على تطبيق الإسلام في واقع المجتمع، وعدم التشكيك بقراراتها، وإضعاف موقعها، وبالتالي تفتت الوحدة الاجتماعية المنبثقة من قوة مركز القيادة في الأمة، فالأمة التي تثق بقيادتها، ولا تبحث في تفصيلات كل قرار يصدره القائد وتتردد في اتباعه هي التي تصل إلى أهدافها بسرعة ونجاح.

ونجد إلى جانب هذا الحقل القائم على القداسة حقلاً آخر مرتبطاً به أعني به حقل (الطاعة) طاعتنا مفروضة - طاعة الله عز وجل - طاعة رسول الله - لا تخالفوا أمري - لا تردوا علي رأيي، هذا الحقل الذي يرأسه (العقل) ويسترشد به (الله وكتابه ورسوله وأهل بيته) دليلاً إلى (الحقيقة) التي يجب أن يقتنع بها، مؤيدة بالمعجزات المثبتة لوجودها، فتكون الطاعة حصيلة حاصل، وطاعة مؤسسة على الحقائق الملموسة التي لا تقبل جدلاً حول صديقتها، فالحسن عليه السلام هنا هو الإمام الذي أمر بقتال معاوية، هذا الأمر الذي لم يطعه كل الناس، فحمل الإمام عليه السلام على اختيار طريق الصلح والهدنة؛ ليصون مقامه ومقام أخيه الحسين عليه السلام، وليصون مبادئه من الانقراض، وليحفظ شيعته من الإبادة، وليتأكد السبيل إلى استرجاع الحق المغصوب يوم يموت معاوية، وعندما نكث معاوية بالعهد، أدرك المجتمع الإسلامي نواياه ونوايا بني أمية من الإسلام، فعرفوا معنى إطاعة الإمام والجهاد معه في سبيل حفظ الإسلام والمسلمين، والإطاعة موقف ثقافي أكدت الوقائع الإسلامية صوابيته وسلامته، و(إطاعة) بهذا المفهوم هي إطاعة منتمية إلى رؤية الحسن



ﷺ، إلى متطلبات المشروع الجهادي الإسلامي، وهذا ما يجعل من هذه الكلمة تقف إلى جانب أخواتها في الانتهاء إلى خطابه.

ويستدرج حقل (الطّاعة) حقل (الجهاد) الذي يعدّ ضرورة من ضرورات الإسلام : (قتال عدوكم معاوية، احتشدوا- لا تتخاذلوا- الإقدام)، إنّ هذه المفردات تمثّل بعداً من أبعاد الثقافة الشيعية الإسلامية من خلال التركيز على مواجهة الظّالم المتجاوز لتعاليم الإسلام وشرائعه، والوصول بتلك المواجهة إلى حدّ بذل النفس والاهل والمال، إنّ تواتر المفردات المنضوية تحت عنوان الجهاد أعطى هذه المفردات مركزية ومحورية لأنّها اقترنت بإطار ثقافيّ، عنيت به ثقافة الجهاد التي رسمتها مدرسة أهل البيت ﷺ، وقد نظر الإسلام إلى الجهاد نظرة خاصّة، حين ربط حصوله بدخول الجنّة كما في قول الإمام علي ﷺ أنّه: « باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه »، أن تكون مجاهداً حقيقياً يعني أنت من خاصّة أولياء الله، ولا يدخل هذا المبدأ في إطار العاطفيّ الذي يحرك سلوكاً يحقق رغبة المتكلّم، ولكنه يعبر عن امتثال لأمر الله، والامتثال لأمر الله قناعة عقلية أولاً وقبل كلّ شيء، لا تُفرض على أحد، ولا يُجبر عليها أحد، إنّ نظرة إلى الجهاد في هذا المقام الرفيع هي نظرة أخلاقيّة أيضاً، فلا يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون.

ويأتى حقل (النّصح) ليشكل استكمالاً للحقول السابقة، فكلّيات مثل (أنصح، المحبّة، الرضا، أرشدني، أحذركم)، جاءت لتلفت انتباه السّامع إلى أهميّة النّصح، ودوره في حياة الأفراد والجماعة، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدين الإسلامي، إذ أنّ الدين الإسلامي دين نصيحة وعقّة وطاعة، وسلوك حسن، ومعروف.

والإمام الحسن ﷺ لم يعتبر النّصيحة تطوّعاً، بل اعتبرها واجباً وفرضاً، ولبّ الدين، وجوهر الإيمان، لقول الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢٧)، ولوصيّة الرسول ﷺ بها، حيث قال: «الدين نصيحة»، وقد حاول الحسن ﷺ نصيحة قومه وهدى الذين في قلوبهم مرض، لما لذلك من آثار اجتماعيّة ونفسية وتربويّة وتعليميّة تنعكس إيجاباً عليهم، فتصلح أحوالهم، وتبدّل حالهم إلى أفضل حال.



أما حقل (الأمة) فقد ضمّ الكلمات الآتية: (قوم، أهل الكوفة، بلوتهم، فاسد، لا وفاء لهم، لا ذمة في قول، مختلفون، أنصارًا، قلوبهم، سيفهم، خلق الله، مسلم) وهي كلمات حقل مرتبط بقوم بعضهم أتباع له ولأبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبعضهم محكّمة يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب عصبية لا يرجعون إلى دين، وبعضهم أصحاب فتن، وبعضهم أصحاب طمع بالغنائم.

والمتمعّن في هذا الحقل يجد أنّ الصفات السلبية التي أسندت لهذه الأمة قد طغت على الصفات الإيجابية، وهذا يشير إلى تحاذلها عن النهوض، ومقاومة القوى المناوئة لأهل البيت (عليه السلام)، وجردها عن قطع دابر المخططات الأموية التي كانت تربيص الدوائر للإطاحة بالنظام الإسلامي، وإقامة نظام قبلي جاهلي تنبعث فيه قيم الشرّ، ونزعات الفتنة. ومما يجدر ذكره هنا هو أنّ هذه الحقول بصفتها علامات سيمائية دالة لم تخرج بالثقافة الإسلامية التي قدّمها الإمام الحسن (عليه السلام) إلى الشرعية التي تضع المتلقّي داخل تصوّرات لا تقوم على الثبات، ولكن على العكس من ذلك، كانت محمّلة بدلالات دقيقة نستطيع وصفها بأنّها يقينية.

٣- الثنائيات الضديّة

من الظواهر اللغوية التي حضرت في خطاب الحسن (عليه السلام) هي (الثنائيات الضديّة)، ولعلّ أبرزها ثنائية (الخير / الشرّ) وثنائية (الجهاد / التفاعس) وثنائية (الجماعة / الفرقة)،، فالتأمّل في خطاب الحسن (عليه السلام) يلحظ أهميّة إظهار جانب الخير المتمثّل بالإمام (عليه السلام)، وأهل بيت الطاهرين بمقابل جانب الشرّ المتمثّل في أعدائه، وقد استطاع الإمام (عليه السلام) أن يبرز خصائصه الكريمة وعلوّ مقامه من خلال إظهار سلبيات عدوّه وانتزائه على الأمة، واغتصابه الخلافة، ومخالفته الكتاب، وتعطيله السنّة.

لقد وقف الإمام (عليه السلام) (المتمثّل بالخير) وجهاً لوجه أمام معاوية (المتمثّل بالشرّ) وقدم في سبيل تحقيق أهدافه كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجع لحظة، ولم يتلصّب طرفه عين، فتمكّن من فضح سياسة معاوية بنقض العهد وحنث اليمين، وأنكر عليه سوء التدبير، والخروج عن الدين، والاستثثار بفيء المسلمين.

وهذا النزاع مع معاوية لم يكن في حقيقته نزاعاً بين شخصين يتسابقان إلى عرش، وإنّما كان صراعاً بين مبدأين يتنازعان البقاء والخلود، وكان معنى الانتصار في هذا النزاع خلود المبدأ الذي ينتصر له أحد الخصمين المتنازعين، وكذلك هي حرب المبادئ التي لا تسجّل انتصاراتها من طريق السّلاح، ولكن من طريق الظّفر بثبات العقيدة وخلود المبدأ، وربّما ظفر المبدأ بالخلود، ولكن تحت ظلّ اللّواء المغلوب ظاهراً.

وإذا كان الهمّ الأساس والشاغل الأقوى لتفكير الإمام (عليه السلام) هو حفظ الرّسالة الإلهيّة، وقيام على تعهدها لتستمرّ صاعدة نحو مؤدّاها ومرماها، حضرت ثنائيتنا (الجهاد / التّقاعس) و(الجماعة / الفرقة)؛ لتعضدا هذا العمق الإيماني، وتظهر أنّ خلاص الأُمّة من شرّ الأعداء يكون بالجهاد، والجماعة، لا بالفرقة والتّقاعس، وقد نجح من خلال هذا الأسلوب في توعية النّاس وإيقافهم على واقع النّظام الأمويّ الحاقد وهو يبتعد عن الإسلام، ويجانب الحق، ويجنح إلى الباطل.

ويبقى أنّ حضور الثنائيات الضّديّة إنّما يمثّل إشارة إلى النّظرة الثّابتة التي يتمتّع بها هذا الإمام (عليه السلام)، فهو لا يمعن النّظر في جانب من جوانب الوجود من دون أن يستحضر الجانب المضادّ له؛ لأنّ الضّديّة هي الكفيلة في تقديم الحقيقة اليقينيّة واضحة مقنعة.

الخاتمة

ختامًا، أشير إلى أنّ خطابًا مثل خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) لا يمكن أن تنهض به عجالة كهذه العجالة التي بين أيدينا، فالإمام الحسن (عليه السلام)، وكما يترأى للقارئ من خلال الخطاب وحده على الأقل شخصية استثنائية، وقائد أنموذجي برساليته وثقافته، وحنكته، وإمكاناته العقلية والنفسية والأخلاقية.

ويبقى أن النتائج التي توصل إليها البحث:

- يضعنا خطابه أمام فعل بناء بكل ما في الكلمة من معنى، هو إعداد لإنسان المشروع الإسلامي، إنسان الحق والعدالة المطلقة على الأرض الذي يصير الجهاد بالنسبة إليه فعلاً محبباً يتمناه لنفسه؛ لأنه يؤمن له حياة حرّة كريمة.

- لقد مثل الإقناع الخطابي عنده حلقة اشتراك بين المتكلم والمخاطب، وعقد عملية تواصل بينهما، فجعل من الناس المخاطبين طرفاً فعّالاً في خطابه وأصحاب رأي وليسوا جهة مستمعة وحسب.

- يعدّ خطابه خطاباً منتجاً للثقافة، فهو فهم لمشكلات أمته والتحديات التي تواجهها، وهو حلّ لها، فإنه يمثل تبشير ولادة جديدة لثقافة الأمة التي تستطيع الوقوف بوجه الطغاة... لا يحمل هذا الخطاب جرثومة السلطة التي يحملها الخطاب الآخر الذي يمارس فعل التخدير والإغواء وجرّ المخاطب من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب ليصبح أداة عادية في مشروعها الذي يكون غالباً غير إنساني، خطابه (عليه السلام) فعل تفتيح الوعي، وتحميل العقل الفردي واجباته ومسؤولياته.

- خطابه (عليه السلام) لا يتعامل مع المخاطب بوصفه أداة، أو تابعاً يعبأ لإنجاح مشروع ما بأيّ ثمن، يتعامل مع المخاطب بوصفه شريكاً في المشروع وعقلاً، وكائناً بشرياً بكل ما تعنيه العقلانية والشراسة والإنسانية من معنى.

- إنّ لغة الخطاب لغة غير مسروقة كتلك التي يستخدمها الخطاب المراوغ الذي يسعى إلى تمرير الصفقات التعبوية التي ترى في المتلقي مجرد أداة، ولذلك فإننا في خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) مع لغة صادقة مهذّبة مستندة إلى تقوى الله تنظر إلى الإنسان الذي تخاطبه بوصفه الكائن الذي

استخلفه الله على الأرض، والإنسان الذي كرّمه الله، كلّ ذلك بعيداً عن اللّغة المراوغة المستندة إلى مشاريع أنانيّة تنظر إلى المتلقّي بوصفه فريسة وضحية بين يديها. ختاماً، يمكننا القول أنّ خطب الإمام عليه السلام كانت جواهر فردة من عليّة الخطب النّواصع، احتوت مضامين درّية لا تجارى ولا تبارى، تمثّل الواقع الإسلاميّ بكلّ متغيّراته وإرهاصاته وتقلّباته، نطقت بصدق، وأوحت بدلالات تساعد الباحث في إضاءة تلك الحقبة التي عاشها الإمام، تبدو عليها بجلاء تأثيرات الأجواء التي انبثقت عنها بما يشير إلى أنّ النّص الأدبي الخطابي ولد من رحم واقع له سماته الفارقة، فكان نصّاً متميّزاً كاشفاً نيّراً صلّى الله على من تضرّع به، ووصل بين حلقاته الذهبيّة ما دامت للفصاحة جولة وللبلغة دولة.

الهوامش

- ١- علي بن عيسى، أبو الفتح الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ص ٣٤٥.
- ٢- سعيد الغانمي، البنيوية في كتاب معرفة الآخر، ص ١٩.
- ٣- فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص ٣١-٣٢.
- ٤- محمد يحياتن، الأصلة في نظر رضا مالك، تحليل الخطاب من خلال نظرية الحديث والتلفظ، ص ٣٣٦.
- ٥- م. ن. ص. ن.
- ٦- الشكلايون الروس، نظرية المنهج الشكلي، ص ٣٥.
- ٧- الشكلايون الروس، م. س. ص. ن.
- ٨- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص ١٤.
- 9-Benvenistee, problem de linguistique, generale p242.
- ١٠- رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ص ٣٥٢٣.
- ١١- نبيل أيوب، التعبير منهجيته وتقنياته، ص ١٠.
- ١٢- علي زيتون، عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلامية، ص ١٤.
- 13-Benveniste, Ibid, p241.
- ١٤- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص ١٣.
- ١٥- باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن، ١/ ٤٨٠.
- ١٦- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣/ ٢١٢.
- ١٧- يوسف خليل، حياة الشعر في الكوفة، ص ٥٨.
- ١٨- الشورى، ٢٣.
- ١٩- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٦١.
- ٢٠- محمد محمود عبد زوين، مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم، مجلّة المصباح، ص ١٦.
- ٢١- النساء، ٥٩.
- ٢٢- الأنفال، ٤٨.
- ٢٣- الأنعام، ١٥٨.
- ٢٤- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ١٠/ ١٩٠.
- ٢٥- الأربلي، كشف الغمة، ١/ ٥٠٦.
- ٢٦- باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن، ٢/ ٢٨٢.
- ٢٧- آل عمران، ١٠٤.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* أبو الفتح الأربلي، أبو الحسن، بن عيسى، علي، ٢٠١٢، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، ج ٢، بيروت، دار المعارف، ص ٣٤٥.

* أيوب، نبيل، ٢٠٠١، التعبير منهجيّه وتقنياته، بيروت، دار المكتبة الأهلية.

* ثانكارد، ١٩٩٤، (نسلون فيليبس، وستيا هاردي، ٢٠٠٢).

* جاكسون، رومان، ١٩٨٨، قضايا الشعريّة، ترجمة محمّد الولي، ومبارك حنون، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر.

* خليل، يوسف، ١٩٦٨، حياة الشعر في الكوفة، القاهرة، دار الكتاب العربي.

* دي سوسير، فرديناند، ١٩٨٤، محاضرات في الألسنيّة العامّة، ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر، جونيّه، لبنان، دار نعمان للثقافة.

* زوين، محمّد محمود، ٢٠١٤، مظاهر الاستدلال في القرآن الكريم، مجلّة المصباح، العتبة الحسينيّة المقدّسة، العدد ١٩، السّنة الخامسة، ص ١٦.

* زيتون، علي، ٢٠٠٧، عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلاميّة، بيروت، معهد المعارف الحكميّة.

* الشّكلانيّون الرّوس، ١٩٨٢، نظريّة المنهج الشّكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب، بيروت،

* مؤسّسة الأبحاث العربيّة.

* الشّيخ المفيد، البغدادي، محمّد بن محمّد بن النّعمان، ٢٠٠٨، الإرشاد في حجج الله على العباد، بيروت، مؤسّسة التّاريخ العربي.

* الطّبري، بن جرير، محمّد، ٢٠٠٥، تاريخ الأمم والملوك، ط ١، بيروت، لبنان.

* الغانمي، سعيد، ١٩٩٦، البنيويّة في كتاب معرفة الآخر، ط ٢، بيروت، المركز الثقافي العربي.

* الغدّامي، عبدالله، ٢٠٠٥، النّقد الثّاني، ط ٣، بيروت، المركز الثقافي العربي.

* القرشي، باقر شريف، ١٩٩٣، حياة الإمام الحسن، بيروت، دار البلاغة.

* المجلسي، باقر، محمّد، ١٣٨٨ هـ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، ج ٤٣، قم، مؤسّسة إحياء الكتب الإسلاميّة.

* يجياتن، محمّد، ١٩٩٩، الأصالة في نظر رضا مالك، تحليل الخطاب من خلال نظريّة الحديث والتّلفّظ، مجلّة اللّغة والأدب، جامعة الجزائر.

* يقطين، سعيد، ١٩٩٧، تحليل الخطاب الرّوائي، ط ٣، بيروت، المركز الثقافي العربي.

المصادر الأجنبيّة

* Benvenistee, 1966, problem de linguistique, generale, Paris, Gallimard, p242.

مناهج تفسير القرآن الكريم في مدرسة أهل البيت عليهم السلام
الإمام الحسن ودوره في تفسير القرآن (أ نموذجاً)



د. زهراء علي دخيل

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها / الجامعة اللبنانية / لبنان

ملخص البحث

عُدَّت النُّصُوصُ القرآنيّة التي أوردها الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبه، ورسائله، ومواعظه، وكلماته القصار، علامات ذات إيماءاتٍ دلاليّة شكّلت رسائل يمكن بواسطتها الاتّساع في تحليل النصّ المقدّس على وفق المنظومتين: المعرفيّة، والدينيّة التي تنطلق من القرآن الكريم.

عنيت هذه الدّراسة بتسليط الضوء على الجانب القرآنيّ في كلام الإمام الحسن، وكيفيّة توظيفه في خطبه، ومواعظه، ورسائله، وكلماته القصار،...

تناولت الباحثة موضوع الدراسة من خلال الآتي:

التركيز على رؤية الإمام الحسن (عليه السلام) إلى مفاهيم القرآن الكريم وعلومه، من خلال بيان عظمة القرآن الكريم، وقاعدة تفسير القرآن بالقرآن، وأسباب النزول، والحثّ على تلاوة القرآن الكريم. كما تمّ تسليط الضوء على مكانة أهل البيت وفضلهم وفقاً للآيات التي فسّرها الإمام الحسن. كما درست منهج الإمام في تفسيره للقرآن، فضلاً عن دوره السياسي في الحث على الجهاد، وتطرقت إلى صلح الإمام الحسن مع معاوية

واختتمت الورقة البحثيّة بمجموعة من النتائج :

- إنّ الإمام الحسن (عليه السلام) كان ممّن تصدّى لتفسير القرآن الكريم، وتفسيره يُعدّ تأصيلاً للمفسرين؛ لأنّه فسّر القرآن بالقرآن، ويُعدّ هذا من أجود أنواع التفسير، وحل الإشكالات التي تحدث، ورفع الالتباس من المراد المعنيّ في التفسير.

- يُعدّ الإمام الحسن مؤصّلاً لمدارس التفسير الأساسيّة؛ وهي تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالرواية.

وعليه، يتأسّس لنا القول بأنّ مرويات الإمام المجتبي خاصة والأئمة عامة - بما فيها من روعة تشخيصيّة مثلى، ونتاج دلاليّ سديد، تمثّل دعوة عقلية مُلحّة - إذا لم تكن دعوة عقديّة واجبة - لعلّماء التفسير بأن يتأمّلوا فيها، ويستنطقوا دليلها من أجل فهم النصوص القرآنيّة؛ لأنّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هم عدل القرآن، وعليه، فإنّ مروياتهم مُثَلَّة لمراد النص القرآني مضموناً وكياناً،... ومن هنا، فلا مناصّ من الرجوع إلى مرويات أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنّ مروياتهم تلك مركّزة على القرآن الكريم نفسه، وما كان مركّزاً على القرآن استدلالاً وأحقّيّة لا يقدر به البتّة، أو يطعن فيه مطلقاً، أو يُجرى عليه الشكّ أبداً.

Abstract

The Qur'anic citations utilized by Imam Hassan (peace be upon him) in his sermons, letters, and concise utterances are deemed to possess inherent semantic implications that serve as a foundation for an extensive analysis of the sacred text within two distinct frameworks: the epistemological system and the religious system. Both systems are derived from the Holy Qur'an.

In an academic framework, the researcher delves into the subject of investigation by focusing on Imam Hassan's (peace be upon him) perspective regarding the fundamental aspects of the Holy Qur'an and its associated disciplines. This includes an exploration of its magnificence, the principle of interpreting the Qur'an by the Qur'an itself, the purposes of revelation, and the encouragement of reciting it. Additionally, the study sheds light on the positions and virtues of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) as elucidated in the verses interpreted by Imam Hassan. Furthermore, it examines the methodology employed by Imam Hassan in Qur'anic interpretation and his role in promoting jihad in the political sphere. Last, the peace treaty between Imam Hassan and Mu'awiyah is comprehensively examined. The findings are summarized as follows:

Imam Hassan (p.b.u.h.), one of the notable interpreters of the Holy Quran, is recognized for his exegesis that is grounded in the Qur'an itself. This approach is highly esteemed as it resolves any ambiguities and clarifies the intended meaning of the text. He is a pioneer of the fundamental schools of exegesis, specifically the methods of interpreting the Qur'an by the Qur'an and narratives. Consequently, one can infer that the narratives of Imam Hassan and the other Imams, possess exceptional diagnostic brilliance and sound semantic output, which serve as an essential intellectual call for interpreters to contemplate these narratives and extract evidence from them to comprehend the Qur'anic texts. This is because the Ahl al-Bayt (peace be upon them) are the quintessence of the Qur'an, and thus their narratives represent the intended meaning of the Qur'anic text in substance and en-



tity. Therefore, referring to the narratives of the Ahl albayt is indispensable, as their narratives are rooted in the Qur'an itself, and what is based on the Qur'an in terms of evidence and validity cannot be doubted or challenged.



الهدف:

التأمل في خطب الإمام الحسن ووصاياه، ومواعظه، وكلماته القصار، فضلاً عن الوقوف على مواطن استشهاد الإمام بالقرآن الكريم فيها، أو تمثيل القرآن الكريم عبر إعادة صياغة العبارة، أو ذكر عبارة لها صلة بالقرآن؛ وذلك للكشف عن أنه كان مصداقاً لكتاب الله العزيز في كل ما صدر منه، أو أنه مثل القرآن خير تمثيل.

أهمية البحث :

بيان بعض من هذه العلوم المهمة والمختلفة من علوم القرآن، بما أثر عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بوصفه أحد الثقلين اللذين أوصانا رسول الله ﷺ في التمسك بهما: ((إني خلف فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)) فهو من أولئك الذين أجلوا غوامض القرآن وعلومه، وتعمقوا في الكشف عن أهميته، وتأكيد حقيقته.

المقدمة

أسهم الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في رسم خارطة الدولة الإسلامية بعد أن أدرك ببصيرته النافذة المخططات التي يسعى إليها بنو أمية لهدم الصرح الإسلامي والدين المحمدي، فقد شكّلت حياته إضاءة للأجيال عبر مواقفه التي اتّسمت بالصّبر، والثبات، وبثّ روح اليقظة والمسؤولية في جسد الأمة التي بدت عليها آثار الوهن، والضعف؛ نتيجة للحروب المتعاقبة إبان خلافة والده أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك في الصراع الذي احتدم مع جبهة الشام، واستمرّ شرره حتى بعد شهادة والده أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن من الإمام الحسن المجتبي عليه السلام إلا مواصلة أهداف رسالة الإسلام الحنيف عبر التمسك بالثوابت الإسلامية، وتأکید النهج القرآنيّ الأصيل.^(١)

لما كان أئمة أهل البيت عليهم السلام هم المكلفون ببيان النصّ المعجز امتداداً لتكليف جدّهم الأعظم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله^(٢)، وذلك تحديداً في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وقوله أيضاً ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٤)؛ من هنا، تحتم على الأئمة عليهم السلام بيان الدلالة الأصحّ للنصّ القرآنيّ، وتعديل الفهم غير السديد له؛ ذلك بأنّ المفسّر قد يشطّ بعيداً فينأى في بيانه لمضمون نصّ قرآنيّ ما؛ ما يُفضي إلى أن ينتهي إلى معنى لا يبتغيه النصّ قد تقاطع مع مضامين نصوص قرآنية أخرى؛ ومن أجل الحدّ من تنامي تلك التصوّرات كلّها سعى الأئمة سعيّاً جاداً وواقعياً وفعّالاً لإنهاء تلك المسارات غير السديدة؛ فكان لهم بذلك الأثر الأكبر في تصحيح تلك الاتجاهات التفسيرية المغلوطة، وإعطاء البديل المضموني عنها؛ ولما كان للإمام الحسن المجتبي عليه السلام له جملة من هذه الإسهامات الفاعلة؛ تأسّس هذا الجهد البحثي على قراءة تلك الإسهامات قراءة علمية واعية.

إذا كان القرآن الكريم هو المستقى الزلزال الذي يُركن إليه في بيان حقيقة ما يختلف فيه، وكثرت الآراء حوله في كثير من العلوم، والمعارف، والجوانب الفكرية، والعقائدية، والأخلاقية، وغيرها، فإنّ من الأولى أن يؤخذ تفسير القرآن الكريم ممّن هم أولى بحمله، وترجمانه، وهم: أهل البيت عليهم السلام؛ الثقل الأصغر المعبر عنه في حديث النبي صلى الله عليه وآله: ((إني تاركٌ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر؛ كتاب الله؛ جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي

أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))^(٥). وهم مصداق عظيم من مصاديق العصمة والتطهير؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (الأحزاب: ٣٣)

لما كان الإمام الحسن (عليه السلام) من أهل بيت النبوة الذين طهرهم الله تطهيراً، وأذهب عنهم الرجس، وهو أعلم الناس بالقرآن، وأحواله بعد جدّه رسول الله ﷺ، وأبيه الإمام علي (عليه السلام). لذلك، يكون تفسير القرآن عند آل البيت هو المراد من قِبَلِ الله -تعالى- وإن كان القرآن حمّالاً أوجه، وكل سائل يأخذ الجواب الذي يريده من قِبَلِ أئمة آل البيت (عليهم السلام).

المبحث الأول: رؤية الإمام الحسن (عليه السلام) إلى مفاهيم القرآن الكريم وعلومه
أولاً-بيان عظمة القرآن الكريم:

أشار القرآن الكريم في مناسبات كثيرة إلى بيان عظّمته، وأهمّيّة العمل به، والآثار المترتبة على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَن قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى...﴾، وقد وردت روايات كثيرة عن المعصومين في هذا الجانب، ومما ورد عن الإمام الحسن بن علي المجتبى في بيان عظمة القرآن وأهمّيّة العمل به ما رواه الديلمي عن الحسن: ((ما بقي في الدنيا بقية غير هذا القرآن فاتخذوه إماماً يدلّكم على هداكم، وإن أحق الناس بالقرآن من عمل به، وإن لم يحفظه، وأبعدهم منه من لم يعمل به وإن كان يقرأه))^(٦)، فالإمام يشير إلى سبيل الهداية من خلال العمل بالقرآن الكريم، لا من خلال حفظه وقراءته، وإن كان له ثواب كبير، ولكن الهداية تكمن في اتّخاذه إماماً، وقيماً على أعمالنا، وسلوكياتنا؛ فنصح المسار من خلال العرض على القرآن الكريم، وما رواه المجلسي عن الدعوات للراوندي، قال: قال الحسن بن علي: ((من قرأ القرآن كانت له دعوة مجابة؛ إما مُعجّلة، وإما مؤجّلة))^(٧) في هذه الرواية، يُبين الإمام أثراً من آثار قراءة القرآن هو استجابة الدعاء، فالإمام يعدّ قارئ القرآن باستجابة دعائه؛ إمّا معجّلاً، أو مؤجّلاً، فمن يستطيع أن يكشف هذه الآثار لولا المعصوم، فهو يخبر عن حقيقة واقعيّة مُرتّبة على قراءة القرآن، ويكشف عن أثر من آثارها.

ثانيًا-قاعدة تفسير القرآن بالقرآن

تعدُّ هذه القاعدة منهجًا من مناهج التفسير وهي أحد أقسام المنهج النقلي (تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالرواية)، وهذا المنهج من أقدم المناهج المتبعة في تفسير القرآن الكريم، وقد استحسّن جميع المفسرين والمتخصّصين هذه الطريقة في التفسير إلا بعض الإخباريين على ما يفهم من أدلّتهم^(٨).

سار على هذا المنهج الكثير من المفسرين المعاصرين، ومن أبرزهم عملاً بهذا المنهج العلامة الطباطبائي، فرى تطبيقات هذه القاعدة هو ما يميّز به تفسير الميزان. هذا المنهج صحيح لا غبار عليه وقد نصّت نصوص الأئمة عليهم السلام، وعلماء السلف على صحّته، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام في خطبة يصف بها القرآن: ((كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض))^(٩).

إذا رجعنا إلى روايات المعصومين عليهم السلام، نجد تطبيق هذه القاعدة كثيرًا في رواياتهم من خلال إرجاع المشابهات إلى المحكمات، ومن خلال الجمع بين الآيات المطلقة والمقيّدة، وبين العام والخاص، وبين الناسخ والمنسوخ، وتوضيح الآيات المجملّة بوساطة الآيات المبينة، وتعيين مصداق الآية بوساطة الآيات الأخرى، فكل ذلك يمكن أن يعدّ طرقاً فرعيةً لمنهج تفسير القرآن بالقرآن.^(١٠)

ثالثًا-أسباب النزول

يعرف العلماء أسباب النزول: هي الآيات النازلة في حوادث خارجيّة حدثت في زمن الرسول صلى الله عليه وآله تطلب نزول القرآن بشأنها، إمّا إجابة عن سؤال يُوجّه للنبي، أو دفع لإشكال على الإسلام والرسالة، أو بيان فضيلة لشخص، أو مثلبة لآخر... الخ^(١١).

لأسباب النزول أهميّة كبيرة عند المفسرين؛ فلا يمكن لمفسّر أن يفسّر القرآن من دون الرجوع إلى أسباب النزول المروية بطرق صحيحة، ويجب الحذر من الموضوعات، والأحاديث الضعيفة، والإسرائيليات؛ فإنّها كثيرة في كتب الأحاديث، والتفاسير. ومما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام من روايات في أسباب النزول:

١ - آية التطهير نزلت في أصحاب الكساء:

روى الحسكاني في شواهد التنزيل، بسنده عن الإمام الحسن عليه السلام، أنه قال: ((لما نزلت



آية التطهير، جمعنا رسول الله وإياه في كساء لأَم سلمه خيربي، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، وعترتي؛ فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا^(١٢).

يبين الإمام الحسن عليه السلام مصداق أهل البيت عليه السلام من خلال سبب النزول، وتطبيق الرسول للآية عملياً من خلال حديث الكساء، وقد دلت الأحاديث والقرائن الخارجية، والسياق على أن المقصود بأهل البيت عليه السلام هم: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين.

فمن الأحاديث ما رواه مسلم في صحيحه^(١٣)، وأحمد في مسنده^(١٤)، والعسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري^(١٥)، والحاكم في المستدرک^(١٦)، وغيرهم.

من القرائن الخارجية وقوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بيت فاطمة لمدة ستة أشهر بعد صلاة الفجر ليقراء هذه الآية^(١٧)، ومن القرائن أيضاً منع أم سلمة من الدخول تحت الكساء^(١٨)، وعدم احتجاج إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الآية.

السياق يحكم بأن الخطاب مختلف من خلال أمرين: اختلاف الضمير، وطبيعة الخطاب؛ فالآيات التي سبقت هذه الآية كان الخطاب بصيغة جمع المؤنث، وكان فيه تحذير من ارتكاب الفاحشة، والدعوة إلى طاعة الله وعدم معصيته؛ وهذا لا يتناسب مع آية التطهير التي لازمها العصمة من الذنب، وإلا يكون الكلام لغواً وحاشا لله ذلك.

٢- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يَحْتَمِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (الشورى: ٢٤)

عن الإمام الحسن عليه السلام لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، فقال بعض القوم، ما أنزل الله هذا إنما يريد أن يرفع بضبع ابن عمه قالوها حسداً وبغضاً لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى... إلخ الآية^(١٩)، وذكر هذا السبب في نزول الآية أيضاً الحسكاني في شواهد التنزيل^(٢٠)، والسيوطي في لباب النقول^(٢١).

رابعاً- في الحث على تلاوة القرآن:

القرآن هو الناموس الإلهي الذي تكفل للناس بإصلاح الدين والدنيا، وضمن لهم سعادة الآخرة والأولى، فكل آية من آياته منبع فياض بالهداية، ومعدن من معادن الإرشاد والرحمة، فالذي تروقه السعادة الخالدة، والنجاح في مسالك الدين والدنيا، عليه أن يتعاهد كتاب الله العزيز آناء الليل، وأطراف النهار، ويجعل آياته الكريمة قيد ذاكرته، ومزاج تفكيره، ليسير على



ضوء الذكر الحكيم إلى نجاح غير منصرم، وتجارة لن تبور^(٢٢). وما أكثر الأحاديث الواردة عن أئمة الهدى (عليه السلام) وعن جدّهم الأعظم (عليه السلام)، في فضل تلاوة القرآن؛ منها: عن الإمام الحسن (عليه السلام): ((من قرأ القرآن كانت له دعوة مجابة؛ إمّا مُعجّلة، وإمّا مؤجّلة))^(٢٣).

ذكر الحافظ أبو موسى المديني عن الحسن بن علي (عليه السلام) قال: ((أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية^(٢٤) أن يعصمه الله تعالى من كل ظالم، ومن كل شيطان مريد، ومن كل سبع ضار، ومن كل لصّ عاد، ولا سبع ضار، ولا سلطان، ولا ظالم، ولا ماء غالب))^(٢٥).

المبحث الثاني: أهل البيت (عليه السلام): فضلهم ومكانتهم وفقاً للإمام الحسن (عليه السلام) أولاً- منزلة أهل البيت (عليه السلام) وفضلهم:

شواهد القرآن الكريم التي تُبيّن مكانة أهل البيت كثيرة، وقد رواها الفريقان، فهي أكثر ممّا يُحصى؛ لأنهم قُربى رسول الله^(٢٦)، وهم أهل بيته^(٢٧)، محبّتهم وولايتهم حسنة^(٢٨)، وهم النعيم الذي يسألنا الله عنه^(٢٩)... إلخ، ونقصد بأهل البيت هم أصحاب الكساء؛ علي، وفاطمة، وولدهما: الحسن، والحسين.

وقف الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) إلى جانب أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) موقف المؤازر، والناصر في مختلف ميادين الحياة التي عصفت به إبان خلافته. لذلك، نجد أمير المؤمنين (عليه السلام) يعتمد عليه في تحشيد الناس، وبعث الهمّة في نفوس المقاتلين، ورفع عزيمتهم، فضلاً عن تعريف الناس بفضلهم، واصطفائهم، ومنزلتهم...

مما جاء عن الإمام الحسن (عليه السلام) في بيان مكانة أهل البيت (عليه السلام)، من خلال آيات القرآن الكريم، مجموعة من الروايات:

- قال الإمام الحسن (عليه السلام) في بعض خطبه يصف منزلة أهل البيت (عليه السلام): «نحن فيكم كالسماء المرفوعة، والأرض المدحوة، والشمس الضاحية، وكالشجرة الزيتون؛ لا شرقية، ولا غربية، التي بورك زيتها، النبي أصلها، وعليّ فرعها، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن تخلّف عنها فإلى النار هوى ...»^(٣٠). واقتطع قوله (عليه السلام) من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا

يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (النور (٣٥) . ويلاحظ أن الإمام الحسن (عليه السلام) قد فسر قوله سبحانه في هذه الآية في ما يخص بيان هذه الشجرة المباركة : أصلها، وفرعها، وثمرها، وأغصانها. روي أن علياً قال لابنه الحسن: اجمع الناس، فاجتمعوا، فأقبل، وخطب الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، وتشهد، ثم قال: أيها الناس، إن الله اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه، وأيم الله، لا ينقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا انتقصه الله من حقه، في عاجل دنياه وآخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨]، ثم نزل فجمع بالناس وبلغ أباه فقبل بين عينيه، ثم قال: بأبي وأمي ﴿ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤] (٣١).

ثم وصف تلك الحال، بقوله: «فنحن الذرية من آدم، والأسرة من نوح، والصفوة من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والآل من محمد (صلى الله عليه وآله)» (٣٢).

أشار الإمام الحسن (عليه السلام) إلى جانب مهم؛ وهو اختيارهم الإلهي ليس هذا فحسب؛ وإنما عاقبة الأمر في كل الأحوال ستكون فيهم وإليهم، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾، وهذه الآية المباركة فيها ملمحٌ غيبي يعضد ما ذهب إليه الإمام الحسن (عليه السلام) من أن مآل الرئاسة ستكون لهم.

قال الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) في بعض خطبه: ((نحن حزب الله المفلحون، وعترته رسول الله (صلى الله عليه وآله)، الأقربون، وأهل بيته الطاهرون الطيبون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه... وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان؛ إنه لكم عدوٌ مبين... ثم لا ينفع نفساً إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً)) (٣٣). واقتطع قوله (نحن حزب الله المفلحون) من قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وقوله: (تفصيل كل شيء) من قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ

تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (يوسف: ١١١)،
وقوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَنَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ من قوله عز وجل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢). وقوله: ((لا ينفع نفسا
إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)) من قوله العزيز الحكيم: ﴿هَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ
رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انتظِرُوا إِنَّا
مُتَنظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

ثانياً- في بيان حقوق أهل البيت (عليه السلام):

استشهد (عليه السلام) في بعض خطبه بقوله تعالى ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (ص ٨٨) في ما يخص
حقوق أهل البيت، قال الإمام الحسن (عليه السلام): ((فوالذي بعث محمداً بالحق لا ينتقص من
حقنا أهل البيت أحد إلا نقصه الله من عمله مثله، ولا يكون علينا دولة إلا وتكون لنا
العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين)) (٣٤).

- حق أهل البيت (عليه السلام) على كل مسلم الصلاة عليهم، وخمس الغنيمة: روى فرات الكوفي
في تفسيره عن الإمام الحسن (عليه السلام)، أنه قال: ((... وعلم رسول الله ﷺ الناس الصلوات،
فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك
حميد مجيد، فحقنا على كل مسلم أن يصلي علينا مع الصلاة فريضة واجبة من الله. وأحل
الله لرسوله الغنيمة وأحلها لنا، وحرّم الصدقات عليه، وحرّمها علينا، كرامة أكرّمنا الله
وفضيلة فضّلنا بها)) (٣٥).

فالإمام الحسن في هذه الرواية يشير إلى آيتين من آيات القرآن نزلتا في بيان فضائل أهل
البيت ومكانتهم، وهما: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، وقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ
خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ (الأنفال: ٤١) وفي الوقت نفسه، يُبين كيفية الصلاة على النبي وأهميتها،
ويُبين حقهم في خمس الغنيمة.

ثالثاً- في بيان طاعة أهل البيت (عليه السلام):

- استشهد (عليه السلام) في بعض خطبه (٣٦) في ما يخص طاعة أهل البيت صلوات الله عليهم، بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩)، وأتبعه بقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣). ثم حذرهم من الإصغاء للشيطان الرجيم، الذي يغوي أوليائه، ثم ينكص، وتلا قوله تعالى: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَ اتِّفَاقَ الْفِئَتَيْنِ نَكَصَ عَلَى عَقِيئِهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ (الأنفال: ٤٨).

رابعاً- في بيان الفرائض وولاية أهل البيت (عليه السلام):

استشهد الإمام الحسن (عليه السلام) في بعض خطبه (٣٧) في بيان الفرائض وولاية أهل البيت (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣).

المبحث الثالث: منهج الإمام الحسن (عليه السلام) في تفسير القرآن الكريم

أولاً- مفهوم الاستغفار:

نجد الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، وبوساطة الاستغفار يرشد الناس إلى طرق النجاة، واستجابة الدعاء عبر الاستغفار؛ فقد روي أن رجلاً أتى الحسن فشكا إليه الجدوبة، فقال له الحسن: استغفر الله، وأتاه آخر فشكا إليه الفقر، فقال له: استغفر الله، وأتاه آخر، فقال له: ادع الله أن يرزقني ابناً، فقال له: استغفر الله، فقلنا له: أتاك رجال يشكون أبواباً، ويسألون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟! فقال: ما قلت ذلك من ذات نفسي؛ إنما اعتبرت فيه قول الله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (٣٨).

فالتعبير أشار إلى أنه كان غفاراً لكل من طلب منه المغفرة ليس هذا فحسب؛ وإنما سيرتب آثاراً على هذا الرجوع، وهذه التوبة بنزول الخير والنماء بعد الجذب الانقطاع؛ إذ قال: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ليس هذا فحسب؛ وإنما: ﴿وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾، فهذا العطف هو جزاء ونتيجة للاستغفار إن فعلتموه؛ لأنهم قحطوا، وأجدبوا، وهلك أولادهم ومواشيهم؛ فكان الترغيب عبر الاستغفار للرجوع إلى الله (٣٩).

التعبير القرآني الدال على الماضي المؤكد في ﴿إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا﴾ هو خير دليل على اللطف في بيان تحقق الوقوع وإنزاله بمنزلة الواقع، لا محالة على نحو المكاثرة.

إن طريقة توظيف النص القرآني جاءت في مختتم كلام الإمام الحسن المجتبي لفتح أفقاً حجاجياً يتناسب مع المقام التفسيري في استعلام حالة بدت خافية على المتلقي عند الإجابة عن حالات مختلفة، جُمعت تحت مصداق قرآني واحد. وهنا تكمن دقة الاختيار في جواب الإمام الحسن المجتبي، في حين النصوص القرآنية الواردة في الاستغفار كثيرة؛ فجاء الاختيار لهذه الآية المباركة بما يناسب المقام. (٤٠)

ثانياً- اكتمال الدين:

عرج (عليه السلام) بما هو فرض من الله ليعلم المطيع من العاصي، وينال به المطيع البركة والنماء، وهو قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ١٣) ثم ذكر لهم أن الله مطلع على أعمالكم، ورسوله والمؤمنون، وتلا قوله تعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

ثالثاً- «البيت العتيق»:

روى المفسرون أقوالاً كثيرة في سبب تسمية (البيت العتيق)، فرووا عن ابن عباس أنه قال: «البيت العتيق؛ لأنه أعتق من الجبارة». وعن مجاهد أنه قال: «إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه أعتق من الجبارة لم يدعه جبار قط». وفي لفظ: فليس في الأرض جبار يدعي أنه له، وعنه أيضاً أنه قال: «إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه لم يردده أحد بسوء إلا هلك»، وعن سعيد بن جبيرة (عليه السلام)، قال: «إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه أعتق من الغرق في زمان نوح»، ورووا عن الإمام الحسن (عليه السلام) أنه قال: «إنما سمي البيت العتيق؛ لأنه أول بيت وضع». (٤١)

رابعاً- أم القرى مكة:

روى علي بن إبراهيم القمي عن الإمام الحسن (عليه السلام)، في تفسير قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها﴾، قال: أم القرى مكة سميت أم القرى؛ لأنها أول بقعة خلقها الله من الأرض، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ

الذي بركة مباركاً^(٤٢)، فالإمام الحسن عليه السلام فسر معنى أم القرى بمكة، واستدل على ذلك بآية قرآنية، وهذا ما يسمى منهج تفسير القرآن بالقرآن. واتفق المفسرون على هذا المعنى، ولكن اختلفوا في سبب التسمية على أقوال:

أ - لأن دحو الأرض من مكة وهناك رواية عن النبي في ذلك.^(٤٣)

ب - لأن أول بيت وضع فيها.^(٤٤)

ت - لأنها تقصد من كل قرية.^(٤٥)

ث - لأنها مثلت قبلة للناس جميعاً.^(٤٦)

ج - لأنها أعظم القرى شأناً ومنزلة.^(٤٧)

فمع أنهم اختلفوا في سبب التسمية إلا أنهم اتفقوا على أن المقصود بها مكة المكرمة، ويرى الإمام الحسن عليه السلام بحسب الرواية المتقدمة أن سبب التسمية هو لأنها أول بقعة خلقت.

خامساً-الحفظ ودفع الضرر:

نما جاء عن الإمام الحسن عليه السلام في دفع الضرر ما رواه أبو نعيم بسنده عن الحجاج بن فراه عن الحسن بن علي عليه السلام قال: ((أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية إذا أصبح وإذا أمسى أن لا يمسه لصّ عاد، ولا سبع ضار، ولا سلطان ظالم، ولا ماء غالب، وهي آية الكرسي، وثلاث آيات من الأعراف: إن ربكم الله الذي خلق...، وثلاث آيات من آخر الحشر: هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة إلى آخرها، وثلاث آيات: يا معشر الجن إلى قوله إنس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان))^(٤٨).

في رواية البغدادي: ((أنا ضامن لمن قرأ بهذه العشرين آية في كل ليلة أن يعافيه الله من كل شيطان مارد، ومن كل شيطان حاسد، ومن كل لص عاد، ومن كل سبع ضار، وهي آية الكرسي وثلاث آيات من آخر الحشر... الخ))^(٤٩). فالإمام الحسن في هذه الرواية يتعهد بأنه ضامن، وهذا يدل على إخبار بحقيقة واقعية، ويدل على دور أهل البيت عليه السلام في الكشف عن الجانب الغيبي للقرآن؛ لأنهم سايروا القرآن في كل مراتبه، فمن خلال قراءة مجموعة آيات يدفع الله بها الحسد، واللص، والشيطان، والسبع الضار، والسلطان الظالم، والماء الغالب.^(٥٠)

فلو كان الإمام عليه السلام لم يصل إلى مرحلة الكشف عن الجوانب الغيبية لآثار قراءة هذه الآيات فلا يقول أنا ضامن، ومن يستطيع أن يكشف عن ذلك ولماذا هذه الآيات دون غيرها؟! فهذا دليل على علمهم (سلام الله عليهم).

وفي رواية أخرى، ينقلها الهيثم عن الحسن، قال: ((قال رسول الله: من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة، كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى))^(٥١) فقراءة آية الكرسي بعد الصلاة الواجبة لحفظ صاحبها، وهذا يدل على استحباب قراءة آية الكرسي بعد الصلاة بوصفها معقباً من معقبات الصلاة؛ بل من أفضلها بعد تسبيح الزهراء على ما يذكره فقهاؤنا الأعلام^(٥٢).

سادساً- مبغض أهل البيت عليه السلام والساقى:

((حجّ معاوية بن أبي سفيان، وحجّ معه معاوية بن خديج، فمرّ في مسجد الرسول عليه السلام، والحسن بن علي عليه السلام جالس فدعاه، فقال له الحسن عليه السلام: أنت السابّ لعلي؟

أما والله لتردنّ عليه الحوض، وما أراك أن تردّه، فتجده مُشَمَّر الإزار، عن ساق يذود عنه، لا يأتي المنافقون ذود غريبة الإبل. قول الصادق المصدّق، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾^(٥٣) الإمام الحسن عليه السلام، وهو يختم كلامه بهذه الآية المباركة ﴿وقد خاب من افترى﴾؛ إذ يبدو أنّ هذا الشاهد القرآني لم يوظفه الإمام الحسن المجتبي في طيات كلامه؛ وإنما قول رسول الله عليه السلام ذكره أمير المؤمنين من على المنبر في إحدى خطبه، إذ روى الحارث الهمداني أنّه قال: رأيت عليّاً جاء حتى صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: قضاء قضاءه الله عز وجل على لسان النبي الأمي عليه السلام أنه لا يحبني إلّا مؤمن، ولا يبغضني إلّا منافق، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾^(٥٤)، أو أشبه ما تكون هذه الآية المباركة مصداقاً للوعيد في مُحْتَم كل كلام.

سابعاً- في تفسير الإمام الحسن عليه السلام لبعض الآيات:

١- ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾

روي عن الإمام الحسن عليه السلام، في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ (الأحزاب: ٤٣) قوله: إنّ بني إسرائيل سألوا موسى، هل يصلي ربك؟ فكان ذلك كبر في صدر موسى، فأوحى الله إليه أخبرهم أنّي أصلي، وأنّ صلاتي رحمتي سبقت غضبي.^(٥٥)

٢- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ :

مما رواه المفسرون أيضا تفسيره عليه السلام لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد ٤]، قَالَ: «يُكَابِدُ مَضَائِقَ الدُّنْيَا وَشَدَائِدَ الْآخِرَةِ، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ: يُكَابِدُ أُمُورَ الدُّنْيَا وَأُمُورَ الْآخِرَةِ» ^(٥٦).

ثامناً- في تفسير الإمام الحسن عليه السلام القرآن بالقرآن :

١- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص / ١ ، ذكر الشيخ الطبرسي: عن رجل، قال: قلت لأبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام ما معنى الأحد؟ قال: المجمع عليه بالوحدانية، والذي اجتمع الألسن عليه بالتوحيد. أما سمعته يقول: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾. العنكبوت / ٦١ ^(٥٧).

٢- ﴿شَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ﴾

- روي عن أحمد الواحدي في تفسير «الوسيط» ما يرفعه بسنده أن رجلاً قال: دخلت مسجد المدينة، فإذا أنا برجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والناس حوله، فقلت له: أخبرني عن ﴿شَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ﴾ (البروج: ٣)، فقال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود فيوم عرفة. فجزته إلى آخر يحدث، فقلت له: أخبرني عن ﴿شَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ﴾، فقال: نعم. أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود فيوم النحر. فجزتها إلى غلام كان وجهه الدينار، وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت أخبرني عن ﴿شَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ﴾ فقال: نعم، أمّا الشاهد فمحمّد صلى الله عليه وآله، وأمّا المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ (الأحزاب: ٤٥)، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾ (هود: ١٠٣).

فسألت عن الأول؟ فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني؟ فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث؟ فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكان قول الحسن أحسن ^(٥٨).

تاسعاً- في شرح الألفاظ وبيانها من قبل الإمام الحسن عليه السلام:

١- ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩]:

في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، روي عن الحسن (عليه السلام) أن معنى (وجيهاً) هو «مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ»^(٥٩).

٢- ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصفات: ١٤٣]:

روي عنه (عليه السلام) في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصفات: ١٤٣]، أَنَّهُ قَالَ: «مَا كَانَ إِلَّا صَلَاةً أَحَدَتْهَا فِي بَطْنِ الْحَوِثِ»، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِقِتَادَةَ فَقَالَ: لَا، إِنَّمَا كَانَ يَعْمَلُ فِي الرَّخَاءِ، وَكَانَ يُكْثِرُ الصَّلَاةَ فِي الرَّخَاءِ، فَلَمَّا حَصَلَ فِي بَطْنِ الْحَوِثِ، ظَنَّ أَنَّهُ الْمَوْتُ، فَحَرَّكَ رِجْلَيْهِ، فَإِذَا هِيَ تَتَحَرَّكُ، فَسَجَدَ، وَقَالَ: «يَا رَبَّ اتَّخَذْتُ لَكَ مَسْجِدًا فِي مَوْضِعٍ لَمْ يَسْجُدْ فِيهِ أَحَدٌ»^(٦٠).

٣- ﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]:

روى ابن أبي حاتم عن الإمام الحسن (عليه السلام) في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]، قَالَ: «فَرِيقٌ مَقْسُومٌ»، وَرَوَى عَنِ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾، قَالَ: بَابٌ لِلْيَهُودِ، وَبَابٌ لِلنَّصَارَى، وَبَابٌ لِلصَّابِئِينَ، وَبَابٌ لِلْمَجُوسِ، وَبَابٌ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا - وَهُمْ كُفَّارُ الْعَرَبِ - وَبَابٌ لِلْمُنَافِقِينَ، وَبَابٌ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، فَأَهْلُ التَّوْحِيدِ يَرْجَى لَهُمْ، وَلَا يَرْجَى لِلْآخِرِينَ أَبَدًا^(٦١).

٤- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: ٢٤]

الآية في بيان معنى المستقدمين والمستأخرين وإيضاحهما، وقد تباينت الآراء على أكثر من رأي فمنهم من قال بالصلاة، ومنهم من قال بوجود امرأة جميلة تصلي خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبعضهم يتقدم حتى لا يراها، وبعضهم الآخري تأخر حتى ينظر إليها، ومنهم من قال في الخير والشر. وروى ابن عباس أنه قال: «يعني بالمستقدمين، من مات، وبالمستأخرين، من هو حي لم يمُتْ»، وروى عنه أيضًا أن المستقدمين آدم (عليه السلام) ومن مضى من ذريته، والمستأخرين من في أصلاب الرجال، وروى عن مجاهد أنه قال: «المستقدمون، ما مضى من الأمم، والمستأخرون أمة محمد (صلى الله عليه وآله)»^(٦٢)، إِلَّا أَنَّ الْإِمَامَ الْحَسَنَ (عليه السلام)، قد بيّن المراد من المستقدمين والمستأخرين، فقال: المستقدمون في طاعة الله، والمستأخرون في معصية الله، وفي رواية أخرى، قال: المتقدمون في الخير من الأمم والمستأخرون: المبطلون فيه. وهنا الإمام الحسن (عليه السلام)، قد جمع جميع الآراء بقوله وبيانه هذا؛ لأنّه شمل جميع المعاني التي لا يمكن أن يخرج منها شيء مطلقاً.

٥- ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]:

مما اختلف فيه المفسرون قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] اختلفوا في المفعول به الثاني المحذوف للفعل يعطي، فرووا عن ابن عباس أنه قال «فَاعْطَاهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ قَصْرِ مِنْ لَوْلُؤِ تُرَابِهِ الْمُسْكُ، فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْخُدَمِ»، وعن قتادة قوله: «ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هِيَ الْجَنَّةُ». ثم روي عن الإمام الحسن أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ قال: «هِيَ الشَّفَاعَةُ»^(٦٣).

٦- ﴿حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ﴾: النحل ٩٧

اختلف الناس في «الحياة الطيبة»، فقال ابن عباس والضحاك: «هو الرزق الحلال»، وقال الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: «هي القناعة وهذا طيب عيش الدنيا»، وقال ابن عباس أيضاً: «هي السعادة»، وقال الحسن البصري: «الحياة الطيبة هي حياة الآخرة ونعيم الجنة»^(٦٤). وروي عن الإمام الحسن أنه قال: «مَا تَطِيبُ الْحَيَاةَ لِأَحَدٍ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ»^(٦٥).

٧- ﴿فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥]:

في دلالة لفظة (نسي) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥]، روي عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال: «ترك ما قدم إليه ولو كان منه نسيان ما كان عليه شيء؛ لأن الله قد وضع عن المؤمنين النسيان والأخطاء، ولكن آدم ترك ما قدم إليه من أكل الشجرة»^(٦٦).

٨- ﴿هُوَ الْحَدِيثُ﴾ [لقمان: ٦]:

اختلف المفسرون في دلالة (هو الحديث) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]، فروي عن ابن عباس أنه الغناء وأشباهه، وعن عطاء الخراساني أنه الغناء والباطل، وعن الإمام الحسن أنه الغناء والمزامير^(٦٧).

٩- ﴿النَّاسِ﴾ [النصر: ٢]:

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢] عند بيان كلمة الناس في هذه الآية، والآيات الأخرى التي ترتبط بالمعنى حول كلمة الناس، نرى أن الكثير من المفسرين اتجه إلى معاني أخرى، ووجوه أخرى منها: الدين والطاعة إلا أن الإمام الحسن عليه السلام يبين من هم الناس

﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ (البقرة: ١٣)، وسئل الحسن بن علي عليه السلام من الناس؟ فقال: نحن الناس، وأشياعنا أشباه الناس، وأعداؤنا النسناس، فقبّله علي عليه السلام بين عينيه، وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته...^(٦٨). وما يؤيد تفسير كلمة الناس أيضًا عندما يبيّن الإمام الباقر عليه السلام أيضًا معنى الناس بأنهم هم أهل البيت، وهذا واضح في تفسير الآية: ٥٤ من سورة النساء: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]. عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: نحن الناس^(٦٩).

عاشراً- تفسير الإمام الحسن بعلمه الباطن:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الحج: ١٨)، قال الإمام الحسن عليه السلام يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها المصلي، ويشمل أماكن السجود، وبيوت الله عز وجل^(٧٠).

أحد عشر- تفسير الإمام الحسن عليه السلام وأسباب قلة الروايات عنه

تلك مجموعة من الروايات التي وردت عن الإمام الحسن عليه السلام فسّر فيها مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة، ومن الواضح أنه لم يصل إلينا قدر كبير من الروايات التي تتعلق بتفسير الإمام الحسن المجتبي، وهذا يعود إلى أسباب عدّة؛ منها: وجود والده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وإن كانت هناك روايات تدل على أن الإمام علي عليه السلام -في بعض الأحيان- عندما توجّه إليه أسئلة يقول للإمام الحسن أجب عنها.

هناك أسباب تعود إلى المجتمع، من أهمّها: تنكّر المجتمع إلى السلالة النبويّة الطاهرة، والذهاب إلى غير آل البيت عليه السلام؛ فعندما تولّوا الخلافة بعد رسول الله غير آل البيت، جاؤوا ببعض الناس الذين هم ليسوا أهلاً لذلك؛ فتركت أغلب الناس آل البيت، وذهبوا لاتباع الآخرين حتى تصدّى كثير ممّن هم من غير المسلمين، فكثرت الروايات التي تسمى (بالإسرائيليات)، وكانت الأسئلة تُوجّه إلى آل البيت عندما تختلف الأمة في قضية مُعيّنة في التفسير أو الأحكام، وخير دليل هو تفسير قوله تعالى: ﴿وشاهد مشهود﴾ فاختلفوا في تفسيره ابن عباس، وعبد الله بن عمر، وعاد السائل عن التفسير إلى الإمام الحسن المجتبي فأجابه عن ذلك^(٧١)؛ فأخذ الإجابة عن الإمام الحسن، وانكشفت له حقيقة التفسير عن غيرها من التفسيرات الأخرى.

لذلك؛ بسبب تلك الأوضاع، وغيرها، ودخول الإمام الحسن في الصلح بعد الخيانات التي حدثت

فجعلت اتباعه يشككون في الإمام؛ لأنه عقد صلحاً مع الدولة الأموية حتى ارتد الكثير من أصحابه الآخرين الذين لم يخونوا في بادئ الأمر، ولكن بعدما رأوا الصلح ارتدوا، وقالوا: إنك مدلل المؤمنين، روى الطبري بسنده عن الإمام الحسن ذلك؛ رأيت الحسن بن علي عليه السلام عند منصرفه من معاوية، وقد دخل عليه حجر بن عدي، فقال: السلام عليك يا مدلل المؤمنين. فقال: مه، ما كنت مذمهم؛ بل أنا مُعزّ المؤمنين؛ وإنّما أردت البقاء عليهم، ثم ضرب برجله في فسطاطه، فإذا أنا في ظهر الكوفة، وقد خرج إلى دمشق، ومصر حتى رأينا عمرو بن العاص بمصر، ومعاوية بدمشق، وقال: لو شئت لنزعتهما، ولكن هاهنا، مضى محمد على منهاج، وعلي على منهاج، وأنا أخالفهما؟ ! لا يكون ذلك مني))^(٧٢).

المبحث الرابع: دور الإمام الحسن السياسي

أولاً- الحث على الجهاد والصبر عليه:

حين بلغ الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، تحشيد معاوية بن أبي سفيان العساكر عليه، والسّير إلى العراق، وأنّه بلغ جسر منبج، بعث حجر بن عدي ليستنهض الناس والتهيو لملاقاة جيش الشام، فنادى المنادي: ((الصلاة جامعة، فأقبل الناس يثوبون ويجمعون، فقال الحسن: إذا رضيت جماعة الناس فعلمي. وجاء سعيد بن قيس الهمداني، فقال: اخرج فخرج الحسن، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه))، ثمّ قال:

أما بعد، فإنّ الله كتب الجهاد على خلقه، وسماه كرهاً. ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلّا بالصبر على ما تكرهون، إنّه بلغني أنّ معاوية بلغه أنا كنّا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك فاخرجوا - رحمكم الله - إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وننظروا ونرى وتروا. الشاهد القرآني الذي ورد في كلام الإمام الحسن المجتبي عليه السلام هو جزء من الآية المباركة التي تُشكّل مع سابقتها جانباً مهماً من جوانب الحث على الجهاد، والصبر عليه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

هذا المقطع القرآني في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ قدّمه الإمام الحسن المجتبي بوصفه نتيجة لما ضمنه في كلامه بعد هذه الآية المباركة؛ إذ قال: ((فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون

إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ))، فقد استوحاه من قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، والصبر: حبس النفس في ضيق وحبسها لا بد أن يكون على ما يقتضيه العقل والشرع^(٧٣)، من هنا، كان حث الإمام الحسن المجتبي للناس على الصبر؛ لأنَّ الظرف الذي كان يحيط به يعدُّ باعثاً على الجزع والتقاعس، فقد كره الناس القتال. وهناك مَنْ يشبُّط عزائمهم من المرجفة؛ لذلك، حين سمعوا كلام الإمام سكتوا، ولم يتكلم منهم أحد، ولا أجاب بحرف؛ لذلك، كان الخوف من عدم النصرة مشروعا؛ لذلك، انبرى لهم عدي بن حاتم، والصفوة من أصحاب الإمام يستنهضونهم، ويعيرون عليهم السكوت.

ثانياً- صلح الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) مع معاوية :

لَمَّا كَانَ الصَّلْحُ بَيْنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ، أَرَادَ الْحَسَنُ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ. فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: مَا أَنْتَ بِالَّذِي تَذْهَبُ حَتَّى تَخْطُبَ النَّاسَ، وَتُخْبِرَهُمْ بِأَنَّ الْأَمْرَ قَدْ صَارَ لِي. قَالَ الشَّعْبِيُّ: فَسَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ - عَلَى الْمَنْبَرِ - بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التَّقْيُّ، وَإِنَّ أَعْجَزَ الْعِجْزِ الْفُجُورُ. وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي اخْتَلَفْتُ فِيهِ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ حَقٌّ كَانَ لِي فَتَرَكْتُهُ لَهُ؛ وَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِحَقْنِ دِمَائِكُمْ، وَتَحْصِينِ أَمْوَالِكُمْ ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾^(٧٤).

الشاهد القرآني الذي ختم به الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) خطبته هو أشبه ما يكون استشراف للمستقبل، وما ستؤول إليه الأمة بعد هذا الصلح الذي أجبر عليه، وهي في مقام حجاجي جاءت كلمات الإمام (عليه السلام) ردًا على حجة سابقة، ونقض ما كان عليه، وإبطال أحدوثته، فالآية المباركة من سورة الأنبياء ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١] تحمل مضامين الخلاص من الفتنة عبر الشدائد، والصبر عليها، أو مناصرة الحق، وتحملُ البلاء، والمراد بالفتنة هنا الاختبار ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ أي: تتمتعون إلى الوقت الذي قدره الله، ثم بعد ذلك يكون الهلاك^(٧٥)، ولست أدري لعل تأخير الجزاء سيكون فيه استدراج لكم، وزيادة في افتتانكم أيضًا؛ لينظر كيف تعملون فقد أُلقيت عليكم الحجة، ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾، وتمتيع إلى أجل مقدّر تقتضيه مشيئته؛ ليكون ذلك حُجَّةً عليكم، وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة^(٧٦).

الخاتمة

على الرغم من أن ما وصل إلينا عن الأئمة الميامين عليهم السلام بشأن القرآن الكريم، وتفسيره لا يشكّل إلّا نزرًا يسيرًا لما يمتلكون من حصيلة علميّة، وثراء فكريّ ليس لهما حدود، إلّا أنّ المتصدّي لتفسير القرآن الكريم لا يمكنه الاستغناء عن تفسيرهم عليهم السلام لما فيه من سمات أصيلة لفهم كتاب الله، أبرزها تفسير القرآن تفسيرًا باطنيًا، والقول بسلامة القرآن من التحريف، وغيرها من المبادئ الأساسية لإدراك معاني الكتاب الكريم.

- يعدّ الإمام الحسن مؤصّلًا لمدارس التفسير الأساسيّة؛ وهي تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالرواية.

- أورد البحث بعضًا من علوم القرآن التي أوردتها العلماء عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، جاءت على النحو الآتي: الحثّ على تلاوة القرآن، بيان عظمة القرآن الكريم، ... عمل البحث على إيراد بعض الشواهد التي تدلّ على هذه العلوم.

- اتّخذ الإمام الحسن المجتبى من القرآن الكريم منطلقًا للوصول إلى الله، وكيفيّة التأدّب بمأدبة القرآن الكريم للخلاص من المكاره التي تحيط بالإنسان على أنها شكل من أشكال البلاء، فالقرآن الكريم فيه آيات تمثّل الحلول إذا ما انتهج الفرد المسلم منهج القرآن الكريم، واتّخذ طريقًا أمثل. ومن هذا المنطلق، جاءت بعض آيات القرآن الكريم مصاديق يمكن أن يحذو المؤمن حذوها في منزلة أهل البيت عليهم السلام وفضلهم واصطفائهم على الناس، وبيان طاعتهم عليهم، وبيان حقوقهم، ...

- إنّ الإمام الحسن عليه السلام كان ممّن تصدّى لتفسير القرآن الكريم، وتفسيره يُعدّ تأصيلًا للمفسرين؛ لأنّه فسّر القرآن بالقرآن، ويُعدّ هذا من أجود أنواع التفسير، وحل الإشكالات التي تحدث، ورفع الالتباس من المراد المعنوي في التفسير.

- لا بُدّ أن تكون هناك دراسة خاصّة في مرويات الإمام الحسن عليه السلام؛ لأنّ هناك الكثير من الروايات التي يصعب تمييزها ونسبها إلى الإمام؛ لأنّ الكثير منها نسب إلى الحسن البصري، كما أنّ هناك الكثير من الروايات ضعيفة السند، وقد نسبت إلى الإمام الحسن فلا بُدّ من التحقّق منها.

- كان حضور القرآن الكريم في كلام الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) متمثلاً بأربعة صور؛ أولها: إحصار النص القرآني على ما هو عليه من القرآن الكريم ، وثانيها: التأدب بدعوة القرآن والأمثلة على هذه الصورة لا يمكن الوقوف عليها كلها؛ لأن الإمام المعصوم يمثل القرآن الكريم في كل صغيرة وكبيرة، وأدبه أدب القرآن الكريم ، وثالثها: اقتطاع جزء من النص القرآني، ربما للإيجاز ووقوف الإمام على ما يريده، وبيانه للمتلقي من دون صرف ذهنه إلى أمور غيرها تتعلق بوجوه تفسير النص القرآني....

- قلة المرويات في التفسير عن الإمام الحسن (عليه السلام)، وتعود ذلك إلى جملة من الأسباب التي ذكرت تارة إلى وجود البديل، وهو والده، وأخرى تعود إلى الوضع السياسي الذي كان يعيش فيه، وأخرى تعود إلى المجتمع الذي ابتعد عن آل البيت (عليهم السلام).

- كان ترتيب صور حضور القرآن الكريم في كلام الإمام الحسن (عليه السلام) على النحو، فكان تمثله للقرآن الكريم، والتخلق بأخلاقه، ويقتطع جزء من النص القرآني، والاستشهاد بالنصوص القرآنية...

وعليه، يتأسس لنا القول بأن مرويات الإمام المجتبي خاصة والأئمة عامة - بما فيها من روعة تشخيصية مثلى، ونتاج دلاليّ سديد، تمثل دعوة عقلية مُلحّة، إذا لم تكن دعوة عقديّة واجبة - لعلماء التفسير بأن يتأملوا فيها، ويستنتقوا دليلها من أجل فهم النصوص القرآنية؛ لأنّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هم عدل القرآن. وعليه، فإنّ مروياتهم مُثَلَّة لمراد النص القرآنيّ مضموناً وكياناً، وإذا كانت الحال هذه، فإنّه يلزم من هذا أن لا يصدر من الإمام من كلام (رواية)، أو فعل (أداء تطبيقي)، أو تقرير (إمارة على صحة فعل إنسان ما)، إلّا أن يكون ذلك الصادر مؤسساً على منطق النصّ القرآنيّ مطلقاً؛ ومن هنا، فلا مناصّ من الرجوع إلى مرويات أهل البيت (عليهم السلام)؛ فهم مصداق عظيم من مصاديق العصمة والتطهير؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. (الأحزاب: ٣٣)، فضلاً عن أنّ مروياتهم تلك مرتكزة على القرآن الكريم نفسه، وما كان مرتكزاً على القرآن استدلالاً وأحقّية لا يقدح به البتّة، أو يطعن فيه مطلقاً، أو يُجرى عليه الشكّ أبداً.

الهوامش

- ١- م. م عبد الحي عبد النبي العبادي، دقة الاختيار القرآني في خطاب الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد ٣ (أ)، المجلد ٤٣، السنة ٢٠١٨م، ص ٢٣٢.
- ٢- إذ جرى تكليف الرسول الأعظم بتفسير النص القرآني وحتمية بيان دلالاته في قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة النحل: ٤٤، وفي قوله كذلك: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رُسُلًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، سورة البقرة: ١٥١.
- ٣- سورة النحل: ٤٣.
- ٤- سورة آل عمران ٧، وذلك بناءً على أن دلالة (الواو) في الآية الكريمة عاطفة مشركة في حكم العلم بالكتاب.
- ٥- الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، الخلاف، تحقيق جماعة من المحققين، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١/ ٢٧، ١٤٠٧هـ.
- ٦- الديلمي، إرشاد القلوب، ص ٧٩.
- ٧- المجلسي، بحار الأنوار: ٩٢/ ٢٠٤.
- ٨- محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص ٤٨، ٤١.
- ٩- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ١٧/ ٢.
- ١٠- محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص ٤٨، ٤١.
- ١١- محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص ٣٧.
- ١٢- الحسكاني، شواهد التنزيل: ٣١/ ٢.
- ١٣- مسلم بن حجاج النيسابوري، صحيح مسلم: ٧/ ١٣٠.
- ١٤- أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ١/ ٣٣١.
- ١٥- العسقلاني، فتح الباري: ٧/ ١٠٤.
- ١٦- المستدرک للحاكم: ٢/ ٤١٦.
- ١٧- أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ٣/ ٢٥٩.
- ١٨- المستدرک: ٢/ ٤١٦.
- ١٩- الطبري (محمد بن أبي القاسم)، بشارة المصطفى، ص ٣٠٤.
- ٢٠- الحسكاني، شواهد التنزيل: ٢/ ٢٠١.
- ٢١- السيوطي، لباب النقول، ص ١٧٢.
- ٢٢- الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص ٢٥.
- ٢٣- المجلسي، بحار الأنوار: ٨٩/ ٢٠٤.
- ٢٤- البقرة: ٢٥٥- الأعراف: ٥٤- الصافات: ١- ١٠. الرحمن: ٣٣- ٣٥. الحشر: ٢٢- ٢٤.
- ٢٥- العطاردي، مسند الإمام الحسن، ص ٥٦٩.
- ٢٦- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالماثور، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ: ٦/ ٧.

- ٢٧- صحيح مسلم: ١٣٠/٧، ومسند أحمد: ١/٣٣١. أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
- ٢٨- السيوطي، الدر المنثور: ٧/٦.
- ٢٩- بيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٩٩٠م: ٤٧٦/٢، وتفسير القمي: ٤٤٠/٢.
- ٣٠- جمال الدين ابن مهند الشامي المشغري العاملي، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهايم، ص ٥٠٤، وموسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام، ص ٦٤.
- ٣١- الطوسي، الأمالي: ١٠٤، وابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/١٧٨.
- ٣٢- جمال الدين المشغري العاملي، الدر النظيم: ٥٠٤، وظ العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، الفقيه الجليل رضي الدين علي بن يوسف المطهر الحلي رحمته الله، تح: السيد مهدي الرجائي: ٣٢، وصحيفة الحسن: ١٣٢، وموسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام: ٦٤، والروائع المختارة: ٧٢.
- ٣٣- المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٦/٢، وموسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام، ص ٢٢٦.
- ٣٤- المسعودي، مروج الذهب: ٢/٣٠٦، وظ. نهج السعادة: ٨/٣٩٢، وموسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام: ٦٣، والروائع المختارة: ٨٥.
- ٣٥- فرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٣٥٢هـ)، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد كاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٠هـ، ص ١٧٠.
- ٣٦- المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٦/٢، وموسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام، ص ٦٣.
- ٣٧- الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)، المصباح، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٣٨- الطبرسي، مجمع البيان: ١٠/١٣٣.
- ٣٩- الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ١٠/١٣٦.
- ٤٠- م. عبد الحي عبد النبي العبادي، دقة الاختيار القرآني في خطاب الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، مصدر سابق، ص ٢٣٤.
- ٤١- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: ٧/٢٤١٧.
- ٤٢- تفسير القمي: ٢/٢٦٨.
- ٤٣- الطوسي، التبيان: ١/١٣١.
- ٤٤- تفسير الطبري: ٧/٣٥٤.
- ٤٥- معاني القرآن للنحاس: ٢/٤٥٨.
- ٤٦- تفسير السمرقندي، ص ٤٨٦.
- ٤٧- تفسير الثعلبي: ١/١٢٧.
- ٤٨- السيوطي، الدر المنثور: ٣/٩١.
- ٤٩- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٤/٣٥٠.

- ٥٠- الماء الغالب هو الطوفان، الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م: ١٢/ ٣٦١.
- ٥١- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م: ١٠/ ١٠٢.
- ٥٢- جواد آمل، أسرار الصلاة، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤١٥هـ، ص ٨٣.
- ٥٣- السيد المرعشي، شرح إحقاق الحق: ٦/ ١٧٥.
- ٥٤- الشيخ المفيد، الإرشاد: ١/ ٤٠.
- ٥٥- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: ٩/ ٣٠٨٩.
- ٥٦- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: ١٠/ ٣٢١٨.
- ٥٧- الطبرسي (أحمد بن علي) (ت ٦٢٠هـ)، الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الخراسان: ٢/ ٤٧٧.
- ٥٨- الإربلي (علي بن عيسى) كشف الغمة، مكتبة بني هاشمي، تبريز، ١٣٨١هـ: ١/ ٥٣٤، الفصول المهمة، ص ١٤٧.
- ٥٩- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: ٩/ ٣٠٩٦.
- ٦٠- المصدر نفسه: ١٠/ ٣٢٩٨.
- ٦١- المصدر نفسه: ٧/ ٢٢٦٢.
- ٦٢- السيوطي، الدر المنثور: ٦/ ٤١٠.
- ٦٣- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: ١٠/ ٣١٩٦.
- ٦٤- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ٨/ ٢٤٥١.
- ٦٥- المصدر نفسه: ٧/ ٢٢٥٤.
- ٦٦- المصدر نفسه: ٧/ ٢٤٣٢.
- ٦٧- المصدر نفسه: ٨/ ٢٤٩٠.
- ٦٨- فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ٣٢/ ١٥٦.
- ٦٩- منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وآخرون، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م: ٣/ ٩٧٨.
- ٧٠- الطوسي (محمد بن الحسن) (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ٤/ ٣٣٨.
- ٧١- المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٩٨م: ٤٣/ ٣٤٥.
- ٧٢- الطبري (محمد بن جرير)، دلائل الإمامة، دار الذخائر للمطبوعات، قم، دون تاريخ، ص ١٦٦.
- ٧٣- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٧٧ (صبر).
- ٧٤- القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار: ٣/ ١٠٥.
- ٧٥- التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٢٨٦.
- ٧٦- الكاشاني، زبدة التفاسير: ٤/ ٣٦٣.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* أولاً: الكتب

* ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري

شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت،

دون تاريخ.

* ابن شهر آشوب، مناقب ال أبي طالب، تصحيح

وشرح: لجنة من أساتذة النجف، مطبعة محمد

كاظم الحيدري، النجف الاشرف، ١٢٧٦ هـ.

* ابن صباغ (علي بن محمد) (ت ٨٥٥هـ)، الفصول

المهمة، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠١ هـ.

* ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن

العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار

الفكر، بيروت، دون تاريخ.

* أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، معاني القرآن،

تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى،

المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩ هـ.

* أبو الليث السمرقندي (ت ٣٨٣هـ)، تفسير

السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار

الفكر، بيروت، دون تاريخ.

* أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مسند أحمد، دار

صادر، بيروت، دون تاريخ.

* الإمام علي (عليه السلام)، نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام)،

شرح محمد عبده، دار الذخائر، قم، ١٤١٢ هـ.

* الإرابي (علي بن عيسى)، كشف الغمّة، مكتبة بني

هاشمي، تبريز، ١٣٨١ هـ.

* الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير

القرآن (تفسير الثعلبي)، تحقيق الإمام أبي محمد بن

عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي،

دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢ م.

* جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي المشغري

العالمي، الدرّ النظيم في مناقب الأئمة اللهايم

، مؤسسة النشر العالمي، دون تاريخ.

* جواد فيومي أصفهاني، صحيفة الحسن، مؤسسة

النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين بقم

المشرفة، ١٣٧٥ هـ.

* جواد آمل، أسرار الصلاة، تحقيق مؤسسة

النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين بقم

المقدسة، ١٤١٥ هـ.

* الحاكم الحسكاني (بيد الله بن أحمد المعروف)،

شواهد التنزيل، تحقيق: محمد باقر المحمودي،

مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة

والإرشاد الإسلامي - مجمع إحياء الثقافة

الإسلامية، ١٩٩٠ م.

* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي

(ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق:

مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٩٩٧ م.

* الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، البيان في تفسير القرآن،

مؤسسة إحياء تراث الإمام الخوئي، إيران،

قم، ٢٠٠٣ م.

* الديلمي (الحسن بن محمد)، إرشاد القلوب،

انتشارات الشريف الرضي، ١٤١٥ هـ.

* الراغب الأصفهاني، (أبو القاسم الحسين بن

محمد) (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن،

دفتر نشر الكتاب، ١٤٠٤ هـ.

* رضي الدين المطهر الحلي (ت ٧٤٠هـ)، من أعلام القرن الثامن

الهجري، العدد القوية لدفع المخاوف اليومية

، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مطبعة سيد

الشهداء (عليه السلام)، نشر مكتبة المرعشي العامة، ١٤٠٨ هـ.

* الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار

الفكر، بيروت، ١٩٩٤ م.

* السيوطي (جلال الدين) (ت ٩١١هـ)، لباب

النقول، تصحيح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب

- *فرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٣٥٢هـ)، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد كاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٠هـ.
- *القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٥هـ.
- *قسم الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، موسوعة كلمات الإمام الحسن (عليه السلام)، منظمة الإعلام الإسلامي، دار المعروف، قم، دون تاريخ.
- *القمي (علي بن إبراهيم) (ت نحو ٣٢٩هـ)، تفسير القمي، تصحيح وتعليق وتقديم: طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب، إيران، قم، صفر ١٤٠٤هـ.
- *الكفعمي (ت ٩٠٥هـ)، المصباح، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م.
- *المجلسي (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.
- *محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ١٤٢٦هـ.
- *محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤٣٣هـ.
- *المرعشي، شرح إحقاق الحق، تحقيق وتعليق: السيد شهاب الدين المرعشي مؤسسه النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٥هـ.
- *المفيد (محمد بن النعمان العكبري البغدادي) (ت ٤١٣هـ)، الإرشاد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٩م.
- *مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)،

- العلمية، بيروت، دون تاريخ.
- *_____، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.
- *الشريف الكاشاني (٩٨٨هـ)، زبدة التفسير، تحقيق: مؤسسة المعارف، نشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران، قم، ١٤٢٣هـ.
- *الطبرسي (أحمد بن علي) (ت ٦٢٠هـ)، الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الخرسان، دون تاريخ.
- *_____، مجمع البيان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨م.
- *الطبري (الشيخي): (عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم) (من علماء الإمامية في القرن السادس)، بشارة المصطفى (عليه السلام) لشيعه المرتضى، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.
- *الطبري (محمد بن جرير)، دلائل الإمامة، دار الذخائر للمطبوعات، قم، دون تاريخ.
- *الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن) (ت ٤٦٠هـ)، الخلاف، تحقيق جماعة من المحققين، مؤسسه النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٧هـ.
- *الطوسي (محمد بن الحسن) (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، دون تاريخ.
- *_____، الأمالي، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٤م.
- *العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الحسن (عليه السلام)، دار الصفوة، بيروت، ١٩٩٣م.
- *فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، مكتبة أهل البيت الإلكترونية، الإصدار ٢.

- صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.
- * مصطفى محسن الموسوي، الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن السبط (عليه السلام)، وكتبه ورسائله وكلماته القصار، مراجعة مرتضى الرضوي، دار المعلم للطباعة، شارع جنان الزهري بالمبتديان، ١٩٧٥ م.
- * محمد باقر المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٥ م.
- * المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب، دون طبعة، دون تاريخ.
- * منصور بن محمد السمعاني (٤٨٩ هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وأخرون، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧ م.
- * النيسابوري (أبو عبد الله الحاكم) (ت ٤٠٥ هـ)، المستدرك للحاكم، المستدرك على الصحيحين، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دون مكان الطبع، دون تاريخ
- * الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ثانياً- المجلات المحكمة:
- * م. عبد الحي عبد النبي العبادي، توظيف النصّ القرآني في خطاب الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد ٣ (أ)، المجلد ٤٣، السنة ٢٠١٨ م.

سيرة الإمام الحسن عليه السلام
في الفكر الاستشراقي



م.م. عقيل محمد صالح

جامعة بابل / مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

ملخص البحث

اختلفت كتابات المؤرخين باختلاف مفاهيمهم لشخصية الإمام الحسن (عليه السلام) هذه الشخصية العظيمة التي لها عمق تاريخي يمتد في جذوره عمق امتداد الإسلام، ولكن ليست كل الكتابات والدراسات أعطت هذه الشخصية العظيمة حقها فمنها من سعى إلى تشويه هذه الصورة التي تكاملت في الأسس والمعاني، لا سيما الأقلام المأجورة والتابعة للسلطة الأموية والعباسية والتي دست الروايات والأباطيل للنيل من الإمام الحسن (عليه السلام)، ومن هذه الروايات نهلت الأقلام الحاقدة على آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، وظهر الكثير من المستشرقين ممن لم يكتفوا بالأخذ بهذه الروايات فقط بل أضافوا عليها الأباطيل والتزييف للحقائق؛ لتشويه صورة آل النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وجاءت هذه الدراسة؛ لاستعراض آراء المستشرقين وأقوالهم التي وردت في كتبهم عن حياة الإمام الحسن (عليه السلام) بموضوعية واعتماد المصادر الأساسية في الرد والمناقشة، وتم تقسيم هذه الدراسة على تمهيد تناول موجز بسيط لتعريف الاستشراق والمستشرق، ومبحثين تطرق المبحث الأول إلى نشأة الإمام الحسن (عليه السلام) في الفكر الاستشراقي، فضلاً عن ولادة الإمام الحسن (عليه السلام) وصفاته العظيمة وحياة مع أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، أما المبحث الثاني فقد تناول خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) والصلح مع معاوية وأخيراً استشهاد الإمام (عليه السلام)، ثم الخاتمة التي جاءت بأبرز ما توصلت إليه الدراسة .

Abstract

Historical accounts regarding the esteemed figure of Imam Hassan (peace be upon him) have varied due to the different perspectives of the authors, as he is a remarkable personality with a profound historical legacy: deeply intertwined with the very origins of Islam. However, not all writings and studies have accorded this great figure the recognition he deserves, as some have attempted to distort this image that epitomizes noble principles and profound meanings. This is particularly evident in the works of the hired pens aligned with the Umayyad and Abbasid authorities, who concocted narratives and falsehoods to disparage Imam Hassan (peace be upon him). These fabricated accounts have been exploited by those harboring animosity towards the Prophet's family (peace be upon them), and numerous Orientalists have emerged who have not only embraced these narratives but have also twisted them with fabrications and distortions of the truth in an attempt to defame the image of the Prophet's (peace be upon him and his pure progeny).

This study aims to review the opinions and statements of Orientalists who mentioned in their books the life of Imam Hassan (peace be upon him) objectively, relying on primary sources for response and discussion. The study is divided into several sections. It begins with an introduction that provides a brief overview of the field of Orientalism and Orientalist scholar. The first section explores the emergence of Imam Hassan (peace be upon him) in Orientalist thought, as well as his birth, his noble qualities, and his life and his father, the Commander of the Faithful Imam Ali (peace be upon him). The second section discusses the caliphate of Imam Hassan (peace be upon him), the peace treaty with Mu'awiyah, and finally, the martyrdom of the Imam. The study concludes with the key findings.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله الطيبين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

وبعد: كانت وما زالت حياة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) مدار كتابات العديد من المفكرين والباحثين والأدباء، واختلفت كتاباتهم عنها باختلاف مفاهيمهم لهذه الشخصية الكبيرة التي لها عمق تاريخي وأدبي يمتد في جذوره عمق امتداد الإسلام، فمن هذا المنطلق كانت الأقلام تكتب وتعجز عن اللحاق بمضمار السباق؛ للإفادة من هذا البحر الزاخر، ولكن ليست كل الكتابات والدراسات أعطت هذه الشخصية العظيمة حقها فمنها من سعى إلى تشويه هذه الصورة التي تكاملت في الأسس والمعاني، لا سيما الأقلام المأجورة والتابعة للسلطة الأموية والعباسية والتي دست الروايات والأباطيل للنيل من الإمام الحسن (عليه السلام)، ومن هذه الروايات نهلت الأقلام الحاقدة على آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وظهر الكثير من المستشرقين ممن لم يكتفوا بالأخذ بهذه الروايات فقط بل أضافوا عليها الأباطيل والتزييف للحقائق لتشويه صورة آل النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجاءت هذه الدراسة لاستعراض آراء المستشرقين وأقوالهم التي وردت في كتبهم عن التاريخ الإسلامي، ومناقشة ما يتعلق منها بحياة الإمام الحسن (عليه السلام) بموضوعية واعتماد المصادر الأساسية في الرد والمناقشة، وتم تقسيم هذه الدراسة على مبحثين تطرق المبحث الأول إلى نشأة الإمام الحسن (عليه السلام) في الفكر الاستشراقي، فضلاً عن ولادة الإمام الحسن (عليه السلام) وصفاته العظيمة وحياة مع أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، أما المبحث الثاني فقد تناول خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) والصلح مع معاوية وأخيراً استشهاد الإمام (عليه السلام)، ثم الخاتمة التي جاءت بأبرز ما توصلت إليه الدراسة، وقد اعتمدت الدراسة كتب المستشرقين وما كتبوه في دائرة المعارف الإسلامية عن الإمام (عليه السلام)، وكذلك المصادر الإسلامية المهمة بالإضافة إلى المراجع، وقد أليت في هذه الدراسة بذل الجهد قدر المستطاع؛ لإظهار الحقيقة ومن الله التوفيق .

المبحث الاول: نشأت الإمام الحسن (عليه السلام) في الفكر الاستشراقي

اولاً: ولادة الإمام الحسن (عليه السلام) :-

تناول المستشرقون حياة الإمام الحسن (عليه السلام) منذ ولادته الشريفة وحتى استشهاده (عليه السلام)، إلا أن هؤلاء المستشرقين اعتمدوا في كتاباتهم على روايات غير موثوقة كتبت بأقلام مأجورة أموية أو عباسية، حاولت النيل من شخصية الإمام الحسن (عليه السلام)، نكاية به إذ أنه سبط الرسول ﷺ الأكبر وابن الإمام علي (عليه السلام) الذي كانت الدولة الأموية من الد أعدائه، أما العباسيون فأن اغلب الثورات التي خرجت ضد سلطانهم كانت من احفاد الإمام الحسن (عليه السلام)، فحاولوا النيل من الإمام (عليه السلام) نكاية وتسقيطاً لأحفاده الذين خرجوا ضد سلطان العباسيين الجائر، وخير دليل على ذلك قول المنصور العباسي بعد أن سجن عبد الله بن الحسن وإخوته، إذ صرح ان بعد علي (عليه السلام) قام ولده الحسن فلما عرضت عليه الأموال قبلها، ووعدته معاوية بأن يجعله ولي عهده فقام فخلع نفسه، ثم أقبل على ملذات الدنيا يتزوج ويطلق، ولم يزل على هذا الحال حتى توفي^(١)، ومن هذا الفكر انطلقت الأقلام المأجورة للسلطة العباسية تدس الروايات ضد الإمام الحسن (عليه السلام) وابنائهم نصرته للدولة العباسية، من ذلك ما أورده ابن سعد^(٢) من أن علي كان يقول: ألا أحدثكم عن أهل بيتي، فان عبد الله بن جعفر صاحب لهو، وان الحسن صاحب جفنة وخوان ولو التقتا حلقتا البطان لم يغن عنكم في الحرب، وكذلك ما رواه ابن معين^(٣) من ان الإمام علي (عليه السلام) مر يوماً على قوم فوجدتهم مجتمعين حول رجل، فقال من هذا فقالوا الحسن، فقال طحن ابل لم تعد طحناً، وان لكل قوم صداد، وان الحسن صدادنا، والكثير من هذه الروايات الواضحة التزيف إذ ليس من المعقول ان يتحدث الإمام علي (عليه السلام) عن ولده بهذا الكلام وهو سليل النبوة وسيد شباب أهل الجنة، وقد اعتمد المستشرقون على هذه الروايات في بناء تصورهم وفكرهم عن الإمام الحسن (عليه السلام)، إذ أورد الراهب اليسوعي البلجيكي لامانس (١٨٦٣-١٩٢٧) في معرض كلامه عن ولادة الإمام الحسن (عليه السلام) إذ قال: ان الحسن هو أكبر أبناء علي من فاطمة، وان مولده كان في السنة الثالثة أو الرابعة للهجرة، وان السيرة كانت تظهره أثيراً عند جده، وقد أنشأ روايات كثيرة مشكوك فيها بهذا الخصوص^(٤)، تناول لامانس ولادة الإمام الحسن (عليه السلام) في السنة ٣ أو ٤ للهجرة وبدأ بالتشكيك

بعلاقته بجده المصطفى (عليه السلام) ولا نعلم لماذا تكون هذه الروايات مشكوكاً فيها، وماذا في حب رجل سامي الأخلاق لسبطه! هل هذا شيء عجيب أم مستنكر حتى يكون موضوع شك، اليس هو الوضع الطبيعي في مثل هذه الظروف، وخاصة إذا كان الجد شيخاً كبيراً ليس له من الأولاد إلا أولاد ابنته، وكان هذا الشيخ هو نبي الرحمة وحامل رسالة الانسانية للناس كافة، لو كان الامر بالعكس لكان هو المستغرب ولكان هو موضع الشك، ويخالف لآمانس في رأيه هذا المستشرق الفرنسي يان ريشار (تولد: ١٩٤٨م) حيث أكد ان الحسن والحسين كانا مدللان من قبل جدتهما النبي (عليه السلام) إذ أورد: أنه كان لعلي ابنان من فاطمة، هما الحسن والحسين، وكانا مدللين من قبل جدتهما، وكان الحسن يلقب بلقب المجتبي وكان يعيش حياة هادئة^(٥)، كما أكدت المصادر الإسلامية على قرب الإمام الحسن (عليه السلام) من جده، ومنذ لحظة ولادته (عليه السلام)، فقد اذن الرسول (عليه السلام) في اذنه اليمنى، واقام في اليسرى، فأى بداية منح بها الإمام (عليه السلام) أفضل من هذه البداية؟! إذ ان أول صوت قرع سمعه هو صوت جده الرسول (عليه السلام) علة الموجودات، وسيد الكائنات، ثم التفت الرسول (عليه السلام) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد أترعت نفسه العظيمة بالغبطة والمسرات فقال له: هل سميت الوليد المبارك، فأجابه الإمام: ما كنت لا أسبقك يا رسول الله، فقال له النبي (عليه السلام) ما كنت لأسبق ربي، وما هي الا لحظات وإذا بالوحي يناجي الرسول (عليه السلام)، ويحمل له التسمية من الحق تعالى يقول له جبرئيل: سمه حسناً^(٦)، ثم عق عنه بكبش واحد واعطى القابلة منه الفخذ وصار فعله هذا سنة لأمته من بعده^(٧)، ثم كناه أبا محمد^(٨)، وكان الإمام الحسن (عليه السلام) أشبه الناس بجده النبي (عليه السلام)، فقد حدث أنس ابن مالك قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي من الحسن بن علي^(٩)، وهناك الكثير من المصادر التاريخية التي تفند قول لآمانس وتظهر الإمام الحسن (عليه السلام) أثيراً عند جده المصطفى، وهي روايات صحيحة لا تقبل الشك^(١٠).

ثانياً: صفات الإمام الحسن (عليه السلام) :-

يتحدث المستشرق هنري لآمانس عن صفات الإمام الحسن (عليه السلام) فيقول: إن الإمام الحسن (عليه السلام) كان يتصف بميله الى الشهوات، وكذلك الافتقار الى الذكاء والنشاط، ولم يكن على وفاق في علاقته مع أبيه وإخوته^(١١)، ويحاول لآمانس المتعصب أن ينال من شخصية الإمام الحسن (عليه السلام)، فقد وصفه بحبه

للشهوات والافتقار إلى النشاط والذكاء، فأما وصفه بحبه للشهوات فهو مخالف لسيرة الإمام الحسن عليه السلام والذي قضى حياة بالعبادة والزهد والابتعاد عن الشهوات والملاذات فهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وريب الإمام علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، روي عن الفضل بن عمر، قال: قال الصادق عليه السلام: حدثني أبي، عن أبيه أن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام كان أعبد الناس، وأفضلهم وأزهدهم، وإذا أراد الحج فانه يحج ماشياً على قدميه، وإذا ذكر الموت والقبر بكى، وإذا ذكر المرور على الصراط والبعث والنشور بكى، وإذا ذكر العرض على الله شهق شهقة حتى يُغشى عليه^(١٢)، وروي أيضاً: كان الإمام الحسن عليه السلام إذا قام في صلاته ترتعد فرائضه، وإذا ذكر الجنة والنار اضطرب وكان عليه السلام إذا مرت به الآية القرآنية (يا أيها الذين آمنوا) يقول لبيك اللهم لبيك^(١٣)، وعن عبد الله بن العباس قال: اني ما ندمت على شيء سوى اني لم أحج ماشياً، وإن الحسن بن علي كان يحج ماشياً وإن النجائب لتقاد معه^(١٤)، وأما عن افتقاره للنشاط والذكاء فهو أيضاً خلاف ما ورد من سيرة الإمام عليه السلام حيث انه كان يتتبع ما تفرق من سيرة أبيه ومسائله وخطبه، وكان يحجب عن الأسئلة الفقهية تأكيداً لفتاوى أبيه الإمام عليه السلام حيث روي انه سُئل الإمام الحسن عليه السلام عن قول الإمام علي عليه السلام في الخيار، فأخرج الصحيفة الصفراء التي كانت تتضمن قول الإمام علي عليه السلام في مسألة الخيار^(١٥)، وروى ابن عساكر عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: كان الإمام الحسن عليه السلام يطوف في بيت الله، فعرض إليه رجل وسأله أن يذهب معه في قضاء حاجته، فترك طوافه وذهب معه، وأشكل عليه ذلك أحد أصحابه، وقال انك تركت طوافك وذهبت معه، فقال الإمام عليه السلام وكيف لا أذهب في قضاء حاجته، قال رسول الله صلى الله عليه وآله من ذهب في حاجة أخيه المؤمن وقضيت كتبت له حجة وعمرة، وإذا لم تقضى كتبت له عمرة، وأنا اكتسبت حجة وعمرة ورجعت الى طوافي^(١٦)، وعن شرحبيل بن أبي سعيد، قال: دعا الحسن بن علي أولاده وأولاد أخيه، فقال: إنكم صغار يوشك أن تكونوا كباراً، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع أن يرويه أو يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته^(١٧)، وقد حاول المستشرقون تصوير الإمام عليه السلام بأنه شهواني كثير الاسراف والتبذير، إذ يصفه المستشرق الفرنسي يان ريشار: بأنه كان كثير الزوجات، حتى بلغ عدد زوجاته تسعين زوجة، ومئات من الاماء، لذلك لقب بالمطلاق^(١٨)، وعلى شاكلة هذه الافتراءات والأكاذيب يقول لامانس: انفق الحسن شبابه في الزواج والطلاق فكان له حوالي مائة زوجة، وقد الحقّت به هذه الاخلاق السائبة بأن لقب بالمطلاق، كما ان الحسن اثبت انه كان كثير السرف ومبذر للأموال، فقد خصص لكل واحدة

من زوجاته مسكن وخدم وحشم^(١٩)، أما المستشرق دونالدسن فيقول: كان الحسن متزوجاً من ستين زوجة، وكان له عدد كبير من السرايا، وانه كان يمتلك عدا زوجاته الكثير من السرايا التي تمتع بهن، وكان عددهن بين ثلاثمائة وتسعمائة وقد طلق الكثير منهن، فسمي بالمطلق^(٢٠).

لا عجب أن نجد هكذا روايات عند المستشرقين، إذ انهم اعتمدوا على روايات الإعلام الأموي والعباسي المغرض للنيل من الإمام الحسن (عليه السلام)، ومن هذه الروايات التي اعتمدها الاستشراق في إعطاء صورة الإمام الحسن هي: روى ابن سعد: عن محمد بن عمر عن علي بن عمر عن أبيه عن علي بن حسين قال: كان الإمام الحسن كثير الطلاق، وانه ما طلق امرأة الا وكانت تحبه^(٢١)، وروى أيضاً قال: اخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال علي: ما زال الحسن يتزوج ويطلق حتى خشينا ان نورث عداوة مع القبائل^(٢٢)، وأورد ابن الجوزي^(٢٣) ان الإمام علي (عليه السلام) نهى الناس ان يزوجوا الإمام الحسن (عليه السلام) لأنه كثير الطلاق، وعلى هذه الروايات وغيرها الكثير اعتمد الاستشراق في تصوير الإمام الحسن (عليه السلام) بأنه شهواني لا هم له سوى الزواج والطلاق والترف والتبذير، وهذه الروايات جميعها مخالفة لسيرة أهل البيت (عليهم السلام) لأنهم كانوا مثال رحمة الله في الأرض حتى مع أعتى أعدائهم فكيف بزوجاتهم وكيف يخالفوا حدود الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) في تعدد الزوجات والإفراط في الطلاق ففيها إيذاء للنفس البشرية فضلاً عن مخالفة السنن فهم عدل القرآن وخلفاء الرحمن وأوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) قد حافظ على عرضه وزوجاته حتى أنه لم يطلق من تحمل الأذى منها وهي جعدة بنت الأشعث، ولم تحفظ لنا كتب التاريخ سوى عدد من أسماء زوجاته لا يتعدى الخمسة زوجات فقط^(٢٤)، ومما ادعاه دونالدسن بغير وجه حق ونسبه للإمام الحسن (عليه السلام) هي صفة التبذير قائلاً: ان الإمام الحسن (عليه السلام) قد برهن انه كثير التبذير، إذ خص كل واحدة من نساء بهال كثير، وانه بذر الكثير من الأموال في خلافة أبيه في الوقت الذي كانت الخلافة تعاني من الافتقار^(٢٥)، وهذا الكلام لا يوازي شخصية الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) حيث توارث مبادئ الإسلام الصحيحة عن أبيه (عليه السلام) وجده المصطفى (صلى الله عليه وآله) في قلة المهور وتيسير أمر الزواج وعدم التبذير، فأمة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قد دخلت بيت زوجها علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالمهر اليسير وكانت

حياتهم الزهد فكيف لا يكون ولدها الإمام الحسن المجتبي عليه السلام على منهاجهما وقد كان بالفعل هكذا فقد روي أن الإمام الحسن قد قاسم الله تعالى ماله مرتين حتى أنه تصدق بنعله وأنه حج خمساً وعشرين مرة ماشياً على قدميه (٢٦).

ثالثاً: الإمام الحسن عليه السلام في حياة أبيه :-

ان من هفوات المستشرق دونالدسن أنه ادعى أن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن على علاقة جيدة مع أبيه وأخوته (٢٧)، وفي معرض الرد على هذا الكلام نقول: على النقيض تماماً فإن العلاقة بين الإمام الحسن عليه السلام وأبيه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام كانت على أحسن ما يرام ولم تكن علاقة والد وولد بل كانت علاقة معلم وتلميذ، وكان يتعامل معه كوزير له وتشهد له بذلك الاحداث فهو الذي حرّض أهل الكوفة لقتال أصحاب الجمل واستطاع أن يجمع لأبيه تسعة آلاف شخص (٢٨)، وكان حاضراً في حرب صفين وقد بذل فيها أقصى درجات التفاني في الدفاع عن الحق المتمثل في أبيه عليه السلام حتى منعه وأخيه الحسين عليه السلام من الحرب (٢٩)، وكان كلما يتعذر في الخروج إلى الصلاة يستخلف ولده الإمام الحسن عليه السلام لذلك (٣٠)، كما كان يوكل بعض مهام القضاء له أيضاً (٣١)، ويقول المستشرق دونالدسون: ان الإمام علي عليه السلام قبل موته دفع الكتب والسلاح إلى الإمام الحسن عليه السلام وبحضور اهل البيت وكبار الشيعة، وقال له: يا بني ان رسول الله امرني أن أوصي اليك وان أدفع اليك الكتب والسلاح كما فعل رسول الله معي واوصاني ودفع الي الكتب والسلاح، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها لأخيك الحسين، ثم توجه نحو الحسين عليه السلام وقال له: وأمرك الرسول أن تدفعها إلى ولدك هذا، ثم قال لعلي بن الحسين وأمرك أن تدفعها إلى ابنك محمد وأقرأه من رسول الله ومني السلام (٣٢)، وهنا نشير إلى ان توريث الإمامة لا علاقة له بالخلافة، وليس ثمة مبرر للربط بينهما، إذ ان عشرة أئمة لم يستلموا الخلافة ولكنهم ظلوا أئمة، ودونالدسن بدلاً من أن يحلل الرواية تحليلاً نقدياً نجده يحكم عليها فيقول: ان علياً قام بتعيين أربعة أئمة وهذا أمر لا يكاد أن يكون محتملاً (٣٣)، وأعقب ذلك بقوله: ان الإمام علي عليه السلام أوصى ولده الحسن بأنه اذا عفى عن قاتله فإنه عفى، واذا أراد قتله فبضربة واحدة (٣٤)، وأما عن دفن الإمام علي عليه السلام فيقول دونالدسن: وتم دفن علي في الليل، وصلى عليه ولده الحسن ولم يعلم أحد أين دفنه، ولما توفي علي خرج الحسن إلى المسجد فبايعه الناس (٣٥).

المبحث الثاني: خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) واستشهاده

أولاً: خلافة الإمام الحسن (عليه السلام) والصلح مع معاوية :-

بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة أربعين للهجرة^(٣٦)، تولى الإمام الحسن (عليه السلام) الاقتصاص من ابن ملجم المرادي (لعنه الله) وبعد الفراغ من أمره والانتهاء من مراسيم دفن الإمام علي (عليه السلام) اتجه الإمام الحسن (عليه السلام) لتوّه في صبيحة ذلك اليوم إلى مسجد الكوفة، وقد سبقته الجماهير في حشود هائلة إلى الجامع، وهي تعيش صدمة هول المصاب، باستشهاد قائدها وإمامها الإمام علي (عليه السلام) وقد غص بهم الجامع على سعته، فوقف الحسن (عليه السلام) خطيباً وهو يوجه أول بيان له مؤبناً فيه أباه ومعرفاً بنفسه للناس^(٣٧)، وبعد الفراغ من قراءة بيانه نهض عبد الله بن عباس يطلب من الناس البيعة للحسن (عليه السلام) بقوله: ان الحسن هو ابن بنت نبيكم، وهو إمامكم ووصيكم؛ فبايعوه، وتمت البيعة للحسن (عليه السلام) خليفة وأميراً للمؤمنين في الكوفة وفي أمصار أخرى كالحجاز واليمن وفارس، وسائر المناطق الإسلامية الأخرى^(٣٨)، وبالتأكيد باستثناء ولاية الشام لأنها مع مصر قد دخلت تحت السيطرة التامة لمعاوية بن أبي سفيان، هذا هو السياق التاريخي العام لبيعة الإمام الحسن وتوليّه الخلافة، وقد تعرض الكثير من المستشرقين لخلافة الإمام الحسن (عليه السلام) وكانت لهم آراء فيها، ومنها ما أورده المستشرق اليهودي جولد تسيهر (١٨٥٠-١٩٢١ م): إنّ الخلفاء الشرعيين لعلي هم أئمة وقد ورثوا رئاسة الدولة وولاية الحكم... هم السلالة المباشرة لعلي من زوجته فاطمة وهم حفيدي الرسول، الحسن والحسين ويتبعهما سائر الأئمة العلويين، وكل منهم هو إمام ووصي لسلفه عينه بإقراره، موافقاً للترتيب الإلهي^(٣٩)، ويورد المستشرق الإنكليزي اللبناني الأصل البرت حوراني (١٩١٥-١٩٩٣ م) وهو يحاول أن يعطي رأيه بالنظرية السياسية للشيعة بخصوص حكم الأئمة (عليهم السلام) للأمة الإسلامية بالقول: أما ثمانية المجموعتين فكانت تدعم مطالب أسرة النبي في الحكم، وقد استطاعت هذه الفكرة أن تتخذ أشكالاً عديدة كان أعظمها أهمية في هذه المسيرة الطويلة ذلك الذي رأى في علي وفي فرع من سلالاته قادة شرعيين للجماعة أو أئمة... ان علياً وورثته من أبنائه قبيض لهم أن يتلقوا عن النبي بعض المزايا الروحية الخاصة، ومعرفة بمقاصد القرآن المضمرة حتى أنهم بمعنى ما أكثر من بشر^(٤٠).

ويتناول المستشرق الألماني فلهاوزن (١٨٤٤-١٩١٨م) مبدأ تولي الخلافة عند الشيعة فيحدث عن خلافة الإمام علي عليه السلام وأنه كان أفضل صحابة الرسول ﷺ وأحق الناس بالخلافة لذلك اتبعه الشيعة حيث يقول: ان شيعة علي بن أبي طالب لم يتخذوه زعيماً لأنه ابن عم رسول الله وصهره وأبو اخفاده، إنما اختاروه لأنه بدا لهم انه أفضل صحابة الرسول، إذ ان حق الأقربين في وراثة الرئاسة لم تكن العرب تعترف به، أو بالأحرى ان الإسلام لم يعترف به^(٤١).

وهنا تناول فلهاوزن مبدأ تولي الخلافة وفق منظور الشيعة بأنه مبني على القدم في الإسلام والأفضلية وأن الخليفة يجب أن يتمتع بصفات القائد والإمام للأمة الإسلامية وليس كما يتصوره المستشرقون الذين يعتبرون القوة والكفاءة الادارية والحزم معياراً لتولي منصب الخلافة، وعن خلافة الإمام الحسن عليه السلام اورد المستشرق لامانس: ان الحسن بويع بالخلافة بعد مقتل والده في العراق، وحاول أنصاره ان يقنعوه بقتال أهل الشام، وهذا اللاح من جانب أصحابه قلب خطط الحسن القعيد المهمة، كما أدى الى وقوع الخلاف بين اهل العراق، ولم يكن الحسن يفكر سوى بالتفاهم مع معاوية، وقد ترك معاوية للحسن أن يحدد ما يريد لقاء تنازله عن الخلافة، ولم يكتف الحسن بالمليونين درهم التي اشترط أن تدفع سنوياً لأخيه الحسين، بل انه طلب لنفسه خمسة ملايين درهم، ثم دخل كورة في فارس طيلة حياة^(٤٢).

حاول المستشرق لامانس المغالي في التعصب أن يصور الإمام بصورة بشعة بكل ما أوتي من قوة، إذ يعترف في معرض كلامه بأن الناس بايعوا الإمام عليه السلام بالخلافة أي انه لم يجبر أحداً على بيعته، ولم يشن حروباً ويسفك دماءً من أجل الحكم، بل الناس وجدوه الأصلح للخلافة وتولي أمرة المسلمين فبايعوه، ولكن المستشرق الذي أعمى الحقد بصيرته لا يعرج على هذه الحقيقة، بل انه صب اهتمامه على أن الإمام الحسن عليه السلام كان قعيد المهمة يؤثر السلم والهدوء على الحرب ولو كان ذلك على حساب مصلحة الأمة فيقول بعد أن حرّضه أصحابه لقتال معاوية والي الشام أخذ يلتمس الصلح مع معاوية من أجل تجنب الحرب، واستمر هذا المستشرق المتعصب بالنيل من الإمام عليه السلام فحاول ان يصوره بأنه أراد استغلال الصلح لتحقيق أكبر مكاسب ممكنة، متجاهلاً الأسباب التي دفعت الإمام عليه السلام

لقبول الصلح، وفي هذا السياق أورد المستشرق نتيج: ان الحسن من أجل انقاذ عرشه وجه جيشاً من الكوفة لقتال معاوية، لكنه تنازل لمعاوية بعد توارد الاخبار بانهمزام جيشه، فبعث معاوية له صحيفة بيضاء ليكتب فيها ما يشاء، ولم يخجل الحسن من أن يشترط أن يأخذ ما في بيت مال الكوفة الخمسمئة الف درهم، وعندئذ وضع في جيبه مكاسب لا يستحقها، ثم انصرف الى المدينة حتى توفي على يد احدى زوجاته بعد مضي ثمان سنوات (٤٣).

اما المستشرق فلهاوزن فقد أورد ان الحسن كان لا يريد القتال رغم انه كان معه أربعون الف رجل ممن بايعوا أباه على الموت، لكن الحسن تصالح مع معاوية بعد نصف عام، ولم يلبث أتباعه الذين بايعوه أن طعنوه فبعضهم وذعر منهم، فكتب إلى معاوية بالشروط ووعدته انه ان وفي بها فإنه يسمع له ويطيع، واعطاه معاوية ما أراد فتنازل الحسن عن الخلافة لقاء أموال كثيرة (٤٤).

يتضح أن المستشرقين تناولوا صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية والقوا اللائمة على الإمام (عليه السلام) بأنه كان ضعيف ولم يستطع المواجهة، وأنه تنازل عن الخلافة لقاء مكاسب دنيوية مستندين في نظرتهم على روايات أموية وعباسية حاولت تشويه صورة الإمام (عليه السلام)، وانه كان قعيد المهمة وضعيف وينشد الراحة، متجاهلين الأسباب الحقيقية التي أجبرت الإمام (عليه السلام) بقبول الصلح ومن أهمها ما يلي :-

١- تخاذل جيش الإمام (عليه السلام) إذ ان أعظم ما تواجه الدولة حين تتصف بالوهن بأن تختلف أركان جيشها وتعصي الجند القيادة العامة، وقد مني جيش الإمام الحسن (عليه السلام) بهذا الداء العضال، بل وصل الأمر إلى حد الخيانة إذ ان قائد جيش الإمام (عليه السلام) عبيد الله بن عباس كاتب معاوية يسأله الأمان ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها، فشرط ذلك له معاوية فترك جيش الإمام (عليه السلام) (٤٥).

٢- ان جيش الإمام الحسن (عليه السلام) كان مخترقاً من قبل الحزبين الأموي والخارجي الذين كانا لا يريدان للدولة الهاشمية أن تقوم لها قائمة، فكانت خطة الإمام الحسن (عليه السلام) في مواجهة هؤلاء المندسين أن أمر جيشه بالقبض عليهم وكتب كتاباً لمعاوية أخبره بعلمه بهم وحذره من عاقبة هذا الأمر وانه جاهز للقتال ويتمهد لذلك، وكان في سلسلة مراسلاته مع معاوية يؤكد على أحقيته بالخلافة وزيف دعوى معاوية (٤٦).

٣- عدم رغبة جيش الإمام (عليه السلام) بالقتال إذ ان جيوش الكوفة كان قد أصابها السأم جراء الحروب المتتالية والتي فرضت عليها في عهد الإمام علي (عليه السلام) وقد صرحوا بذلك مراراً (٤٧).
٤- وصل الانقسام داخل جيش الإمام (عليه السلام) حتى على مسألة الصلح إذ ان هذه المسألة كانت من أعظم الأمور التي ابتليت بها الشيعة فبعد ان أجبره عليه أهل الكوفة وأيدوه، فقد رفض كبار الشيعة هذا الأمر وعاتبوا الإمام الحسن (عليه السلام) على مثل هذه الخطوة والبعض جعل يشنع عليه؛ لموافقة عقد الصلح.

٥- من الأمور المهمة التي جعلت الإمام (عليه السلام) يقبل بالهدنة مع معاوية والتي فيها دلالة واضحة على حنكة سياسية وعدم مجازفته بعد أن رأى الأمور جميعاً ليست في صالحه وان حقن دمه ودماء الشيعة أولى، وقد أكد على ذلك مراراً وتكراراً عندما اعترض عليه حتى خلص الشيعة حينما اسفوا أن تكون امورهم قد اوصلتهم إلى مهادنة معاوية فتجراً البعض على سيدهم وامامهم ووصفه بمذل المؤمنين فكان قد أجابه بكل صبر وملأ قلبه الأسى وبخطى ثابتة متأكد من صميمه على ما فعله من حقن لدماء المؤمنين قائلاً: (ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أرفع عنكم القتل) (٤٨).

٦- والاهم والخطر في نظر الإمام الحسن (عليه السلام) والذي نظر فيه بعين البصيرة الربانية بأنه إن حارب معاوية فان المنافقين في جيشه وهم ليسوا بقله سيسلمونه أسيراً إلى معاوية وان معاوية لا يقتل الإمام الحسن (عليه السلام) بل يخلي سبيله وبذلك سيكون ممثالاً لبني هاشم وسيخلص من عاره للأبد فهو طليق ابن طليق لرسول الله ﷺ وقد صرح الإمام بهذا المعنى قائلاً: (والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً، والله لأن اسأله وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا اسير، أو يمن علي فتكون سنة على بني هاشم إلى آخر الدهر، ولمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحي منا والميت) (٤٩).

٧- إن معاوية لم يرع في الله ذمة لشيعة الإمام الحسن (عليه السلام) أبداً ولولا صلحه لما بقيت لهم من باقية حيث روى عنه (عليه السلام) انه قال: (لولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل) (٥٠).

٨- وفي النهاية بين الإمام الحسن (عليه السلام) للامة الإسلامية وللأجيال اللاحقة زيف ادعاءات معاوية في تظاهره بالإسلام من خلال شروط الصلح فجعل في بنود الصلح أموراً هي في الضد تماماً من

جوهر معاوية المعادي للإسلام العلوي الهاشمي ولا جرم ان الذي جبلت طينته على العداء التام لهذا الخط الأصيل أن لا يفي لهم بشيء ولا يرى لهم أقل ذمة، إذ انه نكث بعد ان دخل الكوفة فقام خطيباً فقال: الا ان كل ما اعطيته للحسن بن علي تحت قدمي هاتين ولا افي بشيء^(٥١)، وفي رواية أخرى قال معاوية مخاطباً اهل الكوفة: اني قد اجلتكم ثلاثاً فمن لم يبايع فليس له ذمة ولا أمان^(٥٢)، وقد شنع البعض من أرباب السير والتاريخ هذه الخطبة ووصفوها بالعبية الفاحشة^(٥٣)، وقد ابتدأها بسبب أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وقد رد عليه الإمام الحسن عليه السلام ثم قام من المجلس ولم يصل هناك بعد ذلك ابداً^(٥٤).

ونتساءل هنا كيف نصف من استغل المهادنة مع خصمه أحسن استغلال ووضع بنوده موافقة مع أصول الإسلام الصحيح الذي لا يتلاءم مع ذات عدوه اللدود، وبذلك كشف حقيقته أمام الأمة الإسلامية، فهل الذي قام بهذا الدور رجل ضعيف النفس تنقصه الشجاعة والقابلية العقلية لقيادة شعبه كما تخرص بذلك دونالدسن وسلفه لامانس أم هو في غاية الحكمة والحنكة السياسية والشموخ والعلو الروحي والمعنوي .

ومما أورد فلهاوزن عن نهاية الموقف قوله: ان الحسن أحس بأنه أضعف مما يقتضيه الموقف، فباع حقه بالخلافة إلى معاوية، واضطر أهل العراق لمبايعة معاوية، وانتهت عند ذلك الحرب الأهلية^(٥٥)، وللرد على فلهاوزن في مقولته هذه نقول: إن الإمام الحسن عليه السلام كإمام وخليفة كان يتصف بأعلى درجات الشجاعة، وكان لا يتردد في قول الحق وفي فعل الحق، ولا تأخذه في الحق لومة لائم، ويوضح الإمام عليه السلام السبب في عدم استمراره بقتال معاوية بقوله: والله ما سلمت الأمر لمعاوية إلا لأني لم أجد أنصاراً، ولقاتلته ليلي مع نهاري لو وجدت أنصاراً حتى يحكم الله بيني وبينه^(٥٦)، كما ان الإمام الحسن عليه السلام كان يتصف بالشجاعة التي هي شرط من شروط الإمامة، إذ يقول الإمام علي عليه السلام: ان الإمام لا يصح أن ينهزم، فيبوء بغضب من الله تعالى، وهذا لا يصح في صفة الإمام^(٥٧)، كما ان الإمام الحسن عليه السلام لم يبع حقه، ذلك أن الإمامة منصب إلهي، أما دكة الحكم فإنه إن اعتلاها أو لم يعتلها فلن يؤثر ذلك في كونه إماماً منصّباً من الله تعالى، أما بخصوص الأموال التي ذكرت في بنود الهدنة (الصلح)، فهي أموال المسلمين أراد الإمام الحسن عليه السلام المحافظة عليها؛ كي لا يمنعها عنهم معاوية، ولكي لا يستأثر بها هو وآل أمية، نعم لقد أدرج الإمام عليه السلام

بعض البنود المالية في وثيقة الهدنة مع معاوية، فشرط عليه تعويض عوائل شهداء حرب صفين والجميل بمبلغ مليون درهم، وأن يفضل بني هاشم في العطاء، والصلوات على بني عبد شمس^(٥٨)، ويستثني بيت مال الكوفة، فهو تحت تصرفه، وأن يعطي أخاه الحسين عليه السلام كل عام مليوني درهم، ويجعل له خراج (دار ابجرد) في ولاية فارس، وألا يمنع أحداً من شيعة علي عطاءه^(٥٩)، أما تصوير فلهاوزن للحرب بين الطرفين بالحرب الأهلية، فإن هذا منتهى الشطط والخلط والتجني؛ لأنها حرب ما بين فتيين، ودولتين، وما بين الإيثار والكفر، وما بين الجزيرة وتوابعها، والشام وتوابعه، وحرب ما بين دولة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وبين دولة بني أمية، فكيف تسمى بالحرب الأهلية يا ترى وما هي الحرب الأهلية، من المؤكد أن هذا المصطلح الفضفاض الذي أطلقه فلهاوزن كان له أبعاده، وكانت له غاياته التي أدرج من أجلها ولأجلها، ويبقى الكلام بأن الحرب ما بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية هي حرب ما بين الحق والباطل، بغض النظر عن الأسماء والمسميات .

يؤكد المستشرق دونالدسن على أفضلية معاوية في تولي الخلافة من الإمام الحسن عليه السلام، مبرراً ذلك بقدره معاوية على الإدارة عندما قال: إننا يمكننا أن نتوقع أن تؤول الخلافة إلى معاوية بعد علي، إذ أنه برهن على مقدرة فائقة في الإدارة عندما كان عاملاً في خلافة عثمان^(٦٠)، ودونالدسن كبقية المستشرقين المتعصبين يخرج عن شروط الحياد البحثي، فالإمام الحسن عليه السلام ومعاوية خصمان بينهما السيف والدم، وهناك الملا من خيار الأمة وكرام الصحابة والتابعين هم من بايعوا الإمام الحسن عليه السلام ولم يكن مع معاوية من الصحابة إلا نفر محدود، وإن الناس أحبوا الحسن خليفة^(٦١)، ومن خلال هذا النص نستطيع أن نحكم على كفاءة الإمام الحسن عليه السلام المقرونة بمحبة الناس، مع ملاحظة أن التبرير الذي قدمه دونالدسن لهذا التفضيل هو حسن إدارة معاوية، بينما في الإسلام ثمة ضوابط وشروط تضمنها القرآن والسنة لمن يتولى أمور المسلمين أهم من حسن الإدارة، ولكن التركيز على الإدارة في موضوع الخلافة يعد اسقاطاً، كون مفردة الإدارة مفردة معاصرة لا تؤخذ بنظر الاهتمام بمهام الإمام ومنها إمامة الصلاة التي كان المسلمون خصوصاً في ذلك العصر يراعون شروطها بدقة، ولكن المستشرق دونالدسن كانت فكرة تسييد معاوية راسخة في ذهنه حيث يعود من جديد ويقول: إن الخليفين علي ومعاوية كانا يلعن أحدهما الآخر في الصلاة^(٦٢)، فهو هنا حسم الأمر وعد معاوية والي الشام الخارج على الخليفة الشرعي الإمام علي عليه السلام الذي بايعته الأمة، خليفة منافس

للإمام علي (عليه السلام)، وهو ما لم يكن يخطر على بال معاوية نفسه، والمسلمون يعرفون ذلك ويتصرفون على أساسه، فسعد بن مالك عندما دخل على معاوية بعد الهدنة مع الإمام الحسن (عليه السلام) قال له: السلام عليك أيها الملك فغضب معاوية وقال له: ألا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذلك ان كنا أمرناك إنما أنت منتز^(٦٣)، ويستمر المستشرق لامانس في الدس والكذب فيقول: وعاد الحسن إلى حياة اللهو والملذات، ودفع معاوية نفقاته ولم يطلب منه مقابل ذلك سوى أن لا يخل بأمن الدولة، ولم يعد الحسن يشغل بال معاوية لأنه كان واثقاً من قعود همتته، وقد استمر الانقسام في البيت العلوي، إذ لم يكن الحسن على وفاق مع أخيه الحسين وإن اجتمعا على مناهضة أخيهما محمد بن الحنفية وبقية أبناء علي (عليه السلام)^(٦٤).

وهكذا يصب المستشرق لامانس سمومه في كل كلمة يكتبها عن الإمام الحسن (عليه السلام) ولا مانس المعروف بعدائه للإسلام وحقده على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، ومن مفترياته المليئة بالعبارات التجديفية، الكاشفة عن سقوط منهجه العلمي إلى حضيض السبِّ والشتائم الرخيصة، حيث يصر على أن الإمام (عليه السلام) لم يشغله في الحياة سوى اللهو والزواج والطلاق وحياة الترف والملذات، وتغافل عن الروايات التي اشارت إلى انشغال الإمام الحسن (عليه السلام) طوال حياة بالعلم والعبادة وقضاء حوائج الناس فقد روي عن عمير بن إسحاق انه قال: ما تكلم أحد كان أحب إلي إذا تكلم من الحسن بن علي، وما سمعته نطق بكلمة فحش قط إلا مرة واحدة عندما حدثت خصومة بين أخيه الحسين وبين عمرو بن عثمان، وعندما عرض الحسين امراً ولم يرضه عمرو قال الحسن ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه، وهذه أشد كلمة سمعتها منه^(٦٥)، وقال محمد بن إسحاق: كان الحسن ييسط له على باب الدار فاذا جلس انقطع الطريق إذ لا يمر أحد في الطريق إلا وجلس كرامة واجلاً للحسن، ولما كان الحسن في طريق مكة فنزل عن راحلته فنزل الناس جميعاً حتى سعد بن أبي وقاص نزل عن راحلته ومشى معه^(٦٦)، كما يوضح لامانس ان معاوية وافق على أن يدفع نفقاته مقابل أن لا يخل بأمن الدولة، وكأن الإمام الحسن (عليه السلام) خارج على السلطة الشرعية ويخل بأمن الدولة وليس هو الحاكم الشرعي الذي بايعه الناس بالخلافة، ويصور معاوية وكأنه الحاكم الشرعي وليس مغتصباً للسلطة الشرعية بالقوة وبالمكيدة والغدر، كما

يشير إلى وجود خلافات بين سبطي الرحمة وإمامي الهدى الحسن والحسين (عليه السلام) وكذلك توافقهم برغم العداء بينهم على حد زعمه ضد أخيهم محمد بن الحنفية، ولا نعرف مصدر روايته هذه ولم تذكر المصادر عن خلافات بين الإمامين الحسن والحسين (عليه السلام) أو وقوفهما ضد أخيهم محمد بن الحنفية، وكلمات وآراء لامنس مجرد كذب وافتراءات .

ثانياً: استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) :-

لم يسلم الإمام الحسن (عليه السلام) من افتراءات المستشرقين طوال سيرة حياة الشريفة بل امتدت افتراءاتهم حتى لسبب استشهاد ودفنه (عليه السلام)، إذ يقول المستشرق جرهارد كونسلمان: ان الحسن باع منصبه الذي ورثه عن محمد من أجل المال، ويقال انه مات بالسل، وقد حاولت الشيعة عبر القرون تجميل صورة هذا الزعيم الضعيف التعس، إذ اجتهدت في أن تجعل الحسن ضمن شهداء الشيعة، فنشأت روايات تقول ان الحسن قتل بتدبير معاوية (٦٧)، وأيده في رأيه هذا المستشرق لامانس بقوله: ان الحسن توفي بذات الرئة، ولعل افراطه بالملذات عجل بموته، وقد بذلت محاولات لإلقاء سبب موته على رأس معاوية، لغرض وصم الأمويين بالعار، وتبرير منح لقب سيد الشهداء الذي خلع على ابن فاطمة هذا التافه الشأن، وما كان معاوية ليقرّف هذا الاثم الذي لا مبرر له، كما ان الحسن المستهتر قد أصبح مسالماً، وكانت حياة عبثاً على بيت المال الذي أبهظته مطالبه (٦٨).

بعد التأمل في آراء هؤلاء المستشرقين المتعصبين نجد بأن الإمام الحسن (عليه السلام) مات بالسل أو بذات الرئة، وهذا خلاف الروايات التاريخية التي أكدت بأن الإمام (عليه السلام) مات مسموماً على يد زوجته جعدة بنت الأشعث ومنها ما أورد بن اعثم: «ان معاوية أرسل مروان بن الحكم إلى المدينة وأعطاه منديلاً مسموماً وأمره بأن يوصله إلى زوجة الحسن جعدة بنت الأشعث» (٦٩)، كما أورد ابن الأثير: ان الحسن سمته زوجته جعدة بنت الأشعث، وانه أوصى ان يتم دفنه عند قبر النبي ﷺ إلا أن تخاف فتنة فينقل إلى مقابر المسلمين (٧٠)، أما الشيخ الصدوق فذكر: «مات الحسن (عليه السلام) مسموماً، سمته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي لعنها الله، دساً من معاوية» (٧١)، وهذه الروايات تفند ما ادعاه كونسلمان ولا مانس، ويؤيد كلام لامانس ما ذهب إليه المستشرق دونالدسن من أن الإمام (عليه السلام) مرض بذات الرئة نتيجة تبذير الأموال، وانشغاله في الملذات ولعله

قصد أنه تعرض لداء السل نتيجة إسرافه في الأكل والشرب، وهذا الادعاء باطل أيضاً لأنه علمياً لم يكن هناك من دليل على أن الإسراف في الأكل والشرب يورث السل ومن ثم لم يشر كل من لامانس ودونالدسن إلى مصدر هذه المعلومة فهما أطلقاها على عواهنها والمصادر تكاد تتفق على أن الإمام الحسن (عليه السلام) توفي نتيجة السم وعلى يد زوجته جعدة بنت الأشعث وبأمر ودس من معاوية^(٧٢)، ولم يكتفِ لامانس بذلك بل وصل به الأمر بحسب ما قاله أن سبب وفاة الإمام هو الإفراط في الملذات وهو الذي عجل بموته، ولكن يتبين أن لامانس لم يطلع على الكثير من المصادر التي تبين منزلة الإمام الحسن (عليه السلام) ومخافته من الله تعالى وبعده عن حياة الترف والرفاهية ومن ذلك إنه قيل له ما أعظم خوفك من ربك؟ فقال: لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا^(٧٣)، وفي حديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: إن الحسن بن علي كان أعبد الناس في أيامه وأزهدهم وأفضلهم^(٧٤)، من كان بهذه الأوصاف أيمن أن يكون للملذات مكان في حياة والجواب قطعاً لا، ثم وصل تمادي المستشرق البلجيكي المتعصب لامانس في وصف الإمام الحسن (عليه السلام) بالمستهتر (حاشاه سلام الله عليه) والسؤال الذي يطرح نفسه على لامانس وعلى كل من سار على شاكلته في وصف الإمام (عليه السلام) بأنه كان مستهتراً أين دليلهم؟ الإمام الحسن الذي يمتلك علم أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) حينما كان يحول السائلين على الحسن، بل قوله المشهور فيه «وجدتك أي بني بعضي بل وجدتك كلي»^(٧٥)، يروي الطبراني^(٧٦) عن إسرائيل أبي موسى عن الحسن قال: حدثني أبو بكر قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي (عليه السلام) إلى جنبه، وهو ينظر إلى رسول الله ﷺ نظرة ورسول الله ﷺ ينظر إليه نظرة ويقول: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فتيين من المسلمين، فهل من يصرح عنه النبي ﷺ بأنه سيد يمكن أن يكون مستهتراً حاشاه، أما أن الإمام قد أصبح مسلماً في ضوء ما قاله لامانس فإنه لم يسالم معاوية ولكن الظروف التي مر بها آنذاك أجبرته على قبول الصلح، وخير دليل على ذلك ما صرح به الإمام الحسن (عليه السلام) حيث قال: «والله ما سلمت الأمر إليه إلا أني لم أجد أنصاراً ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه، ولكنني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، انهم لا وفاء لهم ولا ذمة في قول أو فعل، انهم لمختلفون ويقولون لنا ان قلوبهم معنا وان سيوفهم لمشهورة علينا»^(٧٧).

وهكذا نرى المستشرقين المتعصبين يتصيدون الروايات الموضوعية أو يحرفون في نقل الرواية من أجل إظهار الإمام الحسن عليه السلام بالمظهر غير اللائق به كأمام وانه ضعيف الهمة ومطلق وغير جدير بالخلافة وقعيد الهمة والكثير من الأوصاف التي ذكرناها وهؤلاء المستشرقون لم يتبعوا طرق البحث العلمي أو الحيادية أو ابتغاء نقل الحقيقة بل أعماهم التعصب والحقد على الإسلام ورموزه عن النظر إلى الحقيقة بل تزوير الحقائق في كثير من الأحيان؛ من أجل الوصول إلى أهدافهم للنيل من الإسلام ومن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله بالطعن بسببه وابن أبنته الوحيدة بل ولده كما عبر عن ذلك عليه السلام، فهؤلاء المستشرقون مثل دونالدسن معروف بعدائه للإسلام، فلم يكن دونالدسن حريصاً على أخذ المعلومة عن المصادر المنصفة الأولية وبشكل دقيق وفي أغلب الأحيان نجده يكتفي ببعض المصادر التاريخية العامة ويعول على القصص غير المعتبرة منها، وقد وقع في أخطاء جسام وشطحات غير مغفلة عند ذكره لسيرة الإمام الحسن عليه السلام، وكذلك المستشرق البلجيكي الحاقدهنري لامانس فهو شديد التعصب حاقده على الإسلام ويستغل الروايات الواهنة ويغير تعابيرها ومعانيها لصالح أفكاره الشاذة فهو لا يراعي أدنى شروط الأمانة العلمية، وكان يشير إلى مواضع غير موجودة في الكتب أو انه يفهم النص فهماً ملتوياً خبيثاً، ونكمل الصورة هنا بما قاله المستشرق جورج جرداق عن لامانس في كتابه الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية: « وقد جعل لامانس همه الأول تمجيد معاوية وبني أمية واختلاق العلل التي يريد بها أن يجعل علياً في درجة لا تسمو إلى درجة معاوية، ولا مانس لم يستعمل علمه الغزير في خدمة الحقيقة ولم يلجأ إلى إثبات الأسانيد الضخمة في مصنفاته تجلية للواقع وإيضاحاً لما خفي على سواه من أمور بل أساء إلى علمه وسعة اطلاعه بأن جعل همه أن يعاكس ما أثبتته التاريخ وما يثبتته العقل والمنطق وطبيعة الحوادث بل إنه ليعاكس العاطفة الموالية التي يستحقها المرء إزاء أولئك العظماء من المسلمين الأوائل ويحاول أن يخطئ كل عطف يحسسه الإنسان على الجانب الإنساني الخير في الطيبين والخيرين » (٧٨).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين ، في نهاية بحثنا هذا فقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج المهمة التي يمكن حصرها على الشكل التالي :-

١- لقد تناول المستشرقون حياة الإمام الحسن (عليه السلام) بكل جوانبها وان ركزوا على خلافته (عليه السلام) وصلحه مع معاوية أكثر من الجوانب الأخرى .

٢- اعتمد المستشرقون في معلوماتهم وبنوا آراءهم على روايات الإعلام الأموي والعباسي المعادي لأهل البيت (عليه السلام) انطلاقاً من حقدهم على الإسلام وعلى أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

٣- لم يستند المستشرقون فيما طرحوه من آراء على كتب أو روايات منصفة وهي كثيرة ومتوفرة على الأقل من باب الانصاف والمقارنة بين الروايات بل اعتمدوا فقط الروايات المعادية للإسلام .

٤- خرج أكثر المستشرقين عن طريق الحياد التاريخي واتبعوا تعصبهم الأعمى واطلقوا عبارات على الإمام (عليه السلام) لا تليق بمقامه الشريف ولم ينطق بها حتى المؤرخين المعادين للإمام الحسن (عليه السلام) ووصفوه بأبشع الأوصاف البعيدة عن شخصيته الكريمة .

٥- حاول المستشرقون رسم صورة لا وجود لها بوجود خلافات بين الإمام الحسن (عليه السلام) وبين أبيه (عليه السلام) أو بينه وبين أخوته (عليه السلام)؛ من أجل تشويه صورة آل بيت النبي الكرام .

٦- بالغ المستشرقون في الروايات وتحريفها وإطلاق التهم على الإمام (عليه السلام) بأنه كان كل همه التمتع بملذات الدنيا والزواج والطلاق والاشتغال بأمر الدنيا من أجل محو صورة الإمام (عليه السلام) الزاهد العابد المعصوم .

٧- لم ينظر المستشرقون للإمام الحسن (عليه السلام) بأنه خليفة بالرغم من أنهم يقرون بمبايعة الناس له بعد استشهاد أبيه (عليه السلام) ويعتبرون معاوية الغاصب للخلافة بأنه الخليفة الشرعي؛ وبذلك ابتعدوا عن المنهج التاريخي واطلقوا الأحكام جزافاً .

٨- حاولوا أن يصوروا صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية بأنه هزيمة للإمام ونصر لمعاوية بل الأكثر أنهم أوضحوا أن الإمام (عليه السلام) كان يطمح ويسعى لهذا الصلح من أجل أن يقضي

بقية حياة بالتلذذ بمتاع الدنيا.

٩- لم يكتف المستشرقون بصب حقدهم على الإمام (عليه السلام) في حياة بل حتى باستشهاده (عليه السلام) إذ حاولوا ان يصوروه بانه مات بسبب الاسراف بالملذات متجاهلين المصادر التي اكدت انه مات مسموماً وبدس من معاوية .

الهوامش

- ١- المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٠١.
- ٢- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٩٧.
- ٣- ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ١، ص ٢٦٥؛ ابن معين، تاريخ ابن معين، ج ٢، ص ٤٩١.
- ٤- دائرة المعارف الاسلامية، ص ٣٥٤.
- ٥- يان ريشار، الاسلام الشيعي عقائد وايدولوجيات، ص ٥٠.
- ٦- تاريخ الخميس، ج ١، ص ٤٧٠.
- ٧- اعيان الشيعة، ج ٤، ص ١٠٨.
- ٨- اسد الغابة، ج ٢، ص ٩.
- ٩- السيوطي، تاريخ الصحابة، ص ١٤٤.
- ١٠- للمزيد راجع، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٧٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٨٧؛ القندوزي، ينابيع المودة، ج ٢، ص ٤٦٥؛ الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ١٤٠.
- ١١- دائرة المعارف الاسلامية، ص ٣٥٥.
- ١٢- القندوزي، ينابيع المودة، ج ٢، ص ٤٦٥.
- ١٣- الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ١٤٠.
- ١٤- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٧٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٨٧.
- ١٥- بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج ١، ص ٣٤٦.
- ١٦- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ج ٦، ص ٣٣، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، ص ٧٥.
- ١٧- الدارمي، سنن الدارمي، ص ٩١؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج ٨، ص ٢٨١.
- ١٨- يان ريشار، الاسلام الشيعي عقائد وايدولوجيات، ص ٥١.
- ١٩- دائرة المعارف الاسلامية، ص ٣٥٥.
- ٢٠- دونالدسن: عقيدة الشيعة، ص ٩٠.
- ٢١- الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٠٢.
- ٢٢- المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠١.
- ٢٣- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج ٧، ص ١٣٩.
- ٢٤- المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢٠.
- ٢٥- دونالدسن، عقيدة الشيعة، ص ٨٩.
- ٢٦- ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ١٨.
- ٢٧- دونالدسن: عقيدة الشيعة، ص ٨٩.
- ٢٨- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٤٩٩.
- ٢٩- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ٢١، ص ٢٤٤.
- ٣٠- المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٩.

- ٣١-الكليني ، الفروع من الكافي ، ج ٧ ، ص ٢٩١ .
- ٣٢-دونالدسن ، عقيدة الشيعة ، ص ٨٣ .
- ٣٣-المصدر نفسه .
- ٣٤-المصدر نفسه .
- ٣٥-المصدر نفسه .
- ٣٦-ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٣٦ .
- ٣٧-المفيد ، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، ص ١٧٩ .
- ٣٨-الاديب ، دور ائمة اهل البيت في الحياة السياسية ، ص ١٦٨ .
- ٣٩-جولد تسيهر ، العقيدة والشرعية في الاسلام ، ص ٢٥٧ .
- ٤٠-البرت حوراني ، تاريخ الشعوب العربية ، ص ٦٤ .
- ٤١-يوليوس فلهاوزن ، احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام الخوارج والشيعة ، ص ١١٢ .
- ٤٢-دائرة المعارف الاسلامية ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .
- ٤٣-نتنج ، العرب انتصاراتهم واجماد الاسلام ، ص ٩٢ .
- ٤٤-فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١٠٠ .
- ٤٥-الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ١٥٨ .
- ٤٦-أبو الفرج الإصبهاني ، مقاتل الطالبين ، ص ٦٣ - ٦٤ .
- ٤٧-الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٥٣٨ .
- ٤٨-الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٢٣ ؛ الطوسي ، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .
- ٤٩-الطبرسي ، الاحتجاج ، ج ١ ، ص ٢٩٠ ..
- ٥٠-الصدوق ، علل الشرائع ، ج ١٣ ، ص ٢٤٩ .
- ٥١-أبو الفرج الإصبهاني : مقاتل الطالبين ، ص ٧٧ .
- ٥٢-البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ .
- ٥٣-الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٤ ، ص ١٣٩ .
- ٥٤-الطبرسي : الاحتجاج ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .
- ٥٥-يوليوس فلهاوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٥٧ .
- ٥٦-الاحتجاج ، الطبرسي : ٢ : ٨ .
- ٥٧-الطبرسي ، الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .
- ٥٨-المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ : ص ٥ .
- ٥٩-تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ : ص ١٣٢ .
- ٦٠-دونالدسن ، عقيدة الشيعة ، ص ٨٣ .
- ٦١-الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ .

- ٦٢- دونالدسن، عقيدة الشيعة ص ٨٣ .
- ٦٣- تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٤-٢٠٥ .
- ٦٤- دائرة المعارف الاسلامية، ص ٣٥٦ .
- ٦٥- تاريخ ابن عساکر ج ١٤ ص ٨٠، الحکري، تهذيب الکمال ج ٢ ص ٥٩١، ابو عبد الله الزبيري، نسب قريش ص ٢٤
- ٦٦- المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٣، ص ٢٥٤ .
- ٦٧- کونسلمان، سطوع نجم الشيعة، ص ٢٩٢ .
- ٦٨- دائرة المعارف الاسلامية، ص ٣٥٦ .
- ٦٩- ابن اعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٣١٨ .
- ٧٠- الکامل في التاريخ، ج ٣، ص ٥٨ .
- ٧١- الصدوق، کمال الدين وتمام النعمة، ص ٥٤٦ .
- ٧٢- البلاذري: أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٩٦-٣٩٥؛ المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٥ .
- ٧٣- الميلاني، الائمة الاثني عشر، ص ٣٩ .
- ٧٤- الريشهري، ميزان الحکمة، ص ١٥٦ .
- ٧٥- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، ص ١٠٠؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٣٨؛ فوزي آل سيف، سيد اللجنة الإمام الحسن بن علي، ص ٩٣ .
- ٧٦- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي (ت: ٣٦٠هـ)، اخبار الحسن بن علي، تح: محمد شجاع ضيف الله، دار الاوراد، الكويت، ١٤١٢هـ، ص ٥٣ .
- ٧٧- الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ١٢
- ٧٨- جورج جرداق، الإمام علي (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية، ج ٥، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

المصادر والمراجع

- * ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد، (ت: ٦٣٠هـ)، اسد الغابة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥.
- * الاصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد المرواني الأموي القرشي (ت: ٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبين، تح: أحمد صقر، ط: الأولى، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨ م.
- * ابن اعثم الكوفي، أبو محمد احمد (ت: ٣١٤هـ)، الفتوح، تح: علي شيري، ط: الأولى، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٩ م.
- * البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، تركيا، دت.
- * البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق ١٩٧٩ م.
- * ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥ م.
- * الحكري، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري (ت: ٧٦٢هـ)، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط: الأولى، ٢٠٠٢ م.
- * ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، العلل ومعرفة الرجال، تح: وصي الله بن محمود عباس، دار الخاني، الرياض، ١٤٠٨ هـ.
- * الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: الأولى، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- * الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، سنن الدارمي، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩ هـ.
- * الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: ٢٨٢هـ)، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة.
- * الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تح: الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط: الثالثة، مؤسسة الرسالة، القاهرة - مصر، ١٤٠٥ هـ.
- * الرياربكري، حسين بن الحسن (ت: ٩٦٦هـ)، تاريخ الخميس في أحوال انفس النفيس، دار صادر، بيروت، دت.
- * ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تح: زياد محمد منصور، ط: الثانية، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ١٤٠٨ هـ.
- * السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، تاريخ الصحابة، تح: حمدي الدمرداش، ط: الأولى، مكتبو نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ٢٠٠٤ م.
- * ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني (ت: ٥٨٨)، مناقب آل أبي طالب، تح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (١٣٧٦ هـ)، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف - العراق، ١٤٢٠ هـ.
- * الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين

١٩٧٣ م.

* القندوزي، سليمان بن ابراهيم (ت: ١٢٩٤ هـ)،
ينابيع المودة، تح: علي جمال أشرف الحسيني،
دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٩٩٦ م.
* الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق
(ت ٣٢٩ هـ)

* الفروع من الكافي، صححه وقابله وعلق عليه
: علي أكبر الغفاري، ط: الرابعة، دار الكتب
الإسلامية، (طهران ١٩٩٦ م).

* كمال الدين وتمام النعمة، تح: علي أكبر،
مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٩٨٥ م.
* المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي
(ت: ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب، تح: عبد الله

إسماعيل الصاوي، دار الصاوي - القاهرة، دت.
* المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣ هـ)،
الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ط: الاولى،
مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٨ م.

* المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر
بن محمد (ت ٨٤٥ هـ)، إمتاع الأسع بما للنبي
ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع،
تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي،
دار - . الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩ م.

* ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن
مكرم (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، ط ٣، دار
صادر، بيروت، ١٩٩٣ م.

* اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن
وهب (ت: ٢٨٤ هـ)، تاريخ اليعقوبي، تح:
عبد الامير مهنا، ط: الاولى، شركة الاعلمي
للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠ م.

قائمة المراجع:-

* اديب، عادل، دور ائمة اهل البيت في الحياة
السياسية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت،

بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ).

* الأمالي، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة،
قم المقدسة، ١٩٩٧ م.
* علل الشرائع، تح: الشيخ حسين الأعلمي،
منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،
بيروت، ١٩٨٨ م.

* كمال الدين وتمام النعمة، تح: علي أكبر الغفاري،
مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٩٨٥ م.
* الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي (ت:
٥٤٨ هـ)، الاحتجاج، تح: السيد محمد باقر
الموسوي الخراسان، ط: الثالثة، منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،
٢٠٠٠ م.

* الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن
غالب الأملي، أبو جعفر (ت: ٣١٠ هـ)، تاريخ
الطبري = تاريخ الرسل والملوك، ط: الثانية،
دار التراث، بيروت، ١٣٨٧ هـ.

* الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت
٤٦٠ هـ)، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال
الكشي، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني،
مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ٢٠٠٧ م.

* أبو عبد الله الزبيري، مصعب بن عبد الله بن
مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، (ت:
٢٣٦ هـ)، نسب قريش، تح: ليفي برونفسال،
دار المعارف، القاهرة ط: الثالثة، دت.

* ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة
الله (ت: ٥٧١ هـ)، تاريخ دمشق، تح: عمرو
بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت -
لبنان، ١٩٩٥ م.

* ابن فارس، ابو الحسين احمد بن فارس بن
زكريا (ت: ٣٣٢ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح:
عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت،

- * ١٩٨٨ م. الامين، محسن (ت: ١٩٥٢ هـ)، اعيان الشيعة،
تج: السيد حسين الامين، ط: الاولى، دار
التعارف للمطبوعات، بيروت، د ت .
- * ريشيري، محمد، ميزان الحكمة، ط: الاولى، دار
الحديث، قم، دت.
- * زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية
الفكرية للصراع الحضاري، مكتبة الشروق
الدولية، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
- * زماني، محمد حسن، الاستشراق والدراسات
الإسلامية لدى الغربيين، تج: محمد نور الدين عبد
المنعم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠ م.
- * صبره، عفاف، المستشرقون ومشكلات الحضارة،
دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- * العبيدي، رشيد، الحركة الاستشراقية مراميها
واغراضها، مطبعة انوار دجلة، بغداد، ٢٠٠٣ م.
- * الغراب، احمد عبد الحميد، رؤية إسلامية
للاستشراق، مطابع اضواء البيان، الرياض، د.ت.
- * فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ،
الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨ م.
- * المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١٠ هـ)، بحار الانوار
الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، دار احياء
التراث العربي، بيروت، د ت .
- * الميلاني، علي الحسيني، الائمة الاثني عشر،
مركز الحقائق الإسلامية، المطبعة: شريعت،
قم، ٢٠٠٧ م.
- * النملة، علي بن إبراهيم، الاستشراق والدراسات
الإسلامية، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٧ م.
- المراجع الاجنبية المترجمة :-
- * جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية،
دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٠ م.
- * جولد تسيهر، اغناتس، العقيدة والشرعية
في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى
واخرون، ط: الاولى، هيئة المطابع الاميرية،
القاهرة، ٢٠١٣ م .
- * حوراني، البرت، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة:
سعد صقر، ط: الاولى، دار طلاس للدراسات
والترجمة، دمشق، ١٩٩٧ م .
- * دونالدسن، دوايت م، عقيدة الشيعة، ترجمة: ع م،
ط: الثانية، مؤسسة المفيد، بيروت، ١٩٩٠ م .
- * ريشار، يان، الإسلام الشيعي عقائد
وايديولوجيات، ترجمة: حافظ الجبالي، ط:
الاولى، دار عطية للطباعة، بيروت، ١٩٩٦ م .
- * سعيد، ادورد، الاستشراق، ترجمة: محمد عناني،
دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦ م .
- * فلهوزن، يوليوس
- * تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى
نهاية الدولة الاموية، ترجمة: محمد عبد الهادي
ابوريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر جامعة
القاهرة، القاهرة، ١٩٥٨ م .
- * احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر
الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمة: عبد الرحمن
بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، د ت .
- * كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة، ترجمه
من الالمانية محمد أبو رحمة، طبع مكتبة مذبولي
القاهرة، ط: الثانية، ١٩٩٣ م .
- * مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية،
ترجمة: ابراهيم زكي خورشيد واخرون، المجلد:
١٤، دار الشعب، القاهرة، د ت .
- * نتنج، انتوني، العرب انتصاراتهم وامجاد الإسلام،
ترجمة: راشد البراوي، مكتبة الانجلو المصرية،
القاهرة، ١٩٧٤ م .

التربية النبوية وبناء شخصيه الإمام الحسن عليه السلام

مرؤيه سوسيولوجية تحليلية



م.م. نور محمد خضير عباس - م.م. زينب فلاح حسن

جامعة بابل / كلية الآداب / قسم علم الاجتماع

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى معرفة أثر التربية النبوية في بناء شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) من منظور سوسيولوجي، وكيف حظى الحسن (عليه السلام) بهذه التربية النبوية التي أسهم بها كل من جده محمد (صلى الله عليه وآله) وأبيه الإمام علي (عليه السلام) وأمه فاطمة الزهراء (عليها السلام).

حيث كان للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) الدور الكبير والاهتمام الواضح بالإمام الحسن (عليه السلام) من خلال تجسد شخصية جده النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في شخص الإمام الحسن (عليه السلام) وورث عنه صفاته الخلقية ومكارم الأخلاق وأخذ أيضاً من والده الإمام علي (عليه السلام) قواعد الأدب وأصول التربية والحكمة، والشجاعة وظهور مميز وواضح للتربية الفاطمية التي قدمتها أمه فاطمة الزهراء (عليها السلام) فهي المدرسة الأولى في الحياة الاجتماعية تعلم منها مبادئ الدين الإسلامي، فهنا يبدو الجانب السوسيولوجي واضحاً في تربية الإمام الحسن (عليه السلام)، حيث أنه نشأ في ظل هذه الأسرة النبوية وتغذى بطباعها وأخلاقها، فالأسرة هي المؤسسة الأولى في حياة الفرد، حيث يتلقى فيها أسس ومعايير وقواعد المجتمع، وهي التي تساهم في تشكيل وتكوين شخصية الفرد وصقل مواهبه، وتعد الأسرة كذلك الحاضنة الأولى قبل أي مؤسسة أخرى وتعلمه قواعد الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية.

ونلاحظ هنا أيضاً بروز الدور القيادي لشخصية الإمام الحسن (عليه السلام) في قيادة الدولة وإدارة شؤون الناس بعد تولي الخلافة بعد وفاة أبيه الإمام علي (عليه السلام)، وتتضح في هذا البحث أيضاً القيم الإيجابية للإمام الحسن (عليه السلام) المتمثلة بالصلح أي صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية، إذ خطى خطوة دقيقة ومهمة في حياة المجتمع الإسلامي، وذلك من أجل إنقاذ الأمة من الظلم والطغيان وعدم إراقة دماء المسلمين والمحافظة على مكانتهم الاجتماعية والدينية والسياسية.

Abstract

This research delves into the profound influence of prophetic education on the character development of Imam Hassan (peace be upon him) from a sociological perspective, examining how his upbringing was shaped by the combined efforts of his grandfather Prophet Muhammad (peace be upon him), his father Imam Ali (peace be upon him), and his mother Fatimah Al-Zahra (peace be upon her). The Prophet Muhammad (peace be upon him and his pure progeny) played a pivotal role in Imam Hassan's (peace be upon him) upbringing, instilling in him noble traits and ethical principles that mirrored his own. Imam Hassan (peace be upon him) further enriched his character by imbibing the foundations of etiquette, the principles of upbringing, wisdom, and courage from his father, Imam Ali (peace be upon him). The profound impact of Fatimah Al-Zahra (peace be upon her) upbringing is undeniable, as she served as Imam Hassan's (peace be upon him) first school in life, granting him the principles of Islam.

From a sociological perspective, Imam Hassan's (peace be upon him) upbringing in this prophetic family holds immense significance. Surrounded by their exemplary characteristics and morals, he absorbed their essence, shaping his personality and refining his talents. The family, as the primary institution in an individual's life, plays a crucial role in instilling societal norms, values, and foundations. It is the family that reshapes the characters and their talents. The family serves as the first nurturing environment, providing the groundwork for social, political, and religious development.

It is also noted here the emergence of the leadership role of Imam Hassan (peace be upon him) in leading the State and managing the affairs of the people after assuming the caliphate after the death of his father, Imam Ali (peace be upon him). This research also clarifies the great values of Imam Hassan (peace be upon him), represented by peace, that is, the peace treaty with Mu'awiyah, as he took a precise and important step in the life of Islamic society to save the nation from injustice and tyranny, not to shed the blood of Muslims and to preserve their social, religious and political values.

المقدمة

إن التربية هي أداة لبناء وتكوين شخصية الإنسان ولا يمكن الاستغناء عنها في جميع مراحل حياته، فهي وسيلة من وسائل الحياة التي تنتج إنساناً فاعلاً إيجابياً، كما أنها تبني العزيمة والإرادة وتصنع القيادات الاجتماعية والسياسية والدينية، فالتربية جانب مهم من جوانب الحياة للإنسان، فتهدف التربية في جميع الأوقات على الإرشاد والتدريب على السلوك الحسن، وغرس المبادئ والقيم من خلال اندماجه في المجتمع، فالربي الأول والقُدوة للإنسانية وصاحب الرسالة النبي محمد ﷺ لم يغب عنه جانب التربية أو يعلمه، وهذا ما نلاحظ في تربية للأبناء (الحسن والحسين ﷺ)، فالتربية النبوية لها تأثير واضح على شخصية الإمام الحسن ﷺ، حيث أن الله بعث نبيه محمداً ﷺ معلماً ومبشراً ونذيراً، فقد أدى ﷺ هذا الدور على الوجه الذي ينبغي خيراً أداء فأخرج للبشرية جيلاً متعلماً على معارف العلوم وآدابها، حيث علم النبي ﷺ ورعى خير جيل، كما أحسن الإمام علي ﷺ في تربية أبنه الحسن ﷺ، حيث قال: ((إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما بقي فيها من شيء قبلته...)).

١٨٦

مما سبق فأن هذا البحث تكون من مقدمة وثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول/ عناصر البحث الأساسية

المبحث الثاني/ الإطار النظري وتكون من ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول/ الإمام الحسن ﷺ أسمه ونسبه وشخصيته وعائلته.

المطلب الثاني/ التربية النبوية في حياة الإمام الحسن ﷺ

المطلب الثالث/ القيم التربوية الإيجابية في شخصية الإمام الحسن ﷺ والصلح في بناء

المجتمع الإسلامي

المبحث الثالث/ رؤية سوسيولوجية عن شخصية الإمام الحسن ﷺ

وأخيراً ختم البحث بالاستنتاجات والتوصيات وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

عناصر البحث الأساسية

أولاً/ مشكلة البحث

نظراً لقلة المصادر والأدبيات الاجتماعية التي كتبت عن التربية النبوية للإمام الحسن عليه السلام في حياته وبعد مماته بصورة عامة، لذلك جاء هذا البحث محاولة بسيطة لتسليط الضوء على تأثير بيت أهل النبوة عليه السلام في بناء وتكوين شخصية الإمام الحسن عليه السلام، فضلاً عن دعوة لكل المسلمين والطوائف والأديان الإسلامية إلى نبذ العنف والإرهاب والعمل على نهج الإمام الحسن عليه السلام في تحقيق السلم والسلام الاجتماعي من خلال صلحه مع معاوية، وذلك بهدف تحقيق الأمن في المجتمع الإسلامي ككل.

ثانياً/ أهمية البحث

تجلى أهمية البحث الحالي والحاجة إليه فيما يأتي:

١. أهمية التربية النبوية في بناء وتكوين مكانة وشخصية الإمام الحسن عليه السلام.
٢. إبراز دور الإمام الحسن عليه السلام في نبذ العنف والإرهاب من خلال الصلح مع معاوية.
٣. الوقوف على أهم المحاور التي ساهمت في بناء شخصية الإمام الحسن عليه السلام

رابعاً/ هدف البحث

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على التربية النبوية وبناء شخصيه الإمام الحسن عليه السلام رؤيه سوسيولوجية تحليلية.

رابعاً/ منهج البحث

اعتمد البحث الحالي على المنهج التحليلي الوصفي، كونه الأقرب لطبيعة البحث في وصف وتحليل شخصية الإمام الحسن عليه السلام.

خامساً/ تحديد المفاهيم وتعريفها

١) التربية

التربية لغةً

اسم (مفرد) تعني التهذيب والتعليم والتنشئة، وكذلك تعني الرعاية والإصلاح، كما

يقال وربيت الولد، أي قمت برعايته وإصلاحه، ويقال أيضًا ولك نعمة تربها، أي بمعنى تحفظها وتراعيها^(١).

التربية اصطلاحًا

بأنها التنمية التربوية والتنشئة الاجتماعية والتربوية، أي تنشئة الفرد من النواحي العقلية والسلوكية والجسمية^(٢).

والتربية في علم الاجتماع يقصد بها عملية رسمية تنقل من خلالها الثقافة من جيل إلى جيل آخر ومن مجتمع إلى مجتمع آخر، وتتميز هذه العملية بطابع الحفاظ على التراث الحضاري أو نشره أو تطويره^(٣).

٢) النبوة

النبوة لغةً

مشتقة من النبأ، والنبى مأخوذ من نبا ينبو فهو اسم من النبوة، وهي الأرض المرتفعة أو من نبى، فهو اسم من النبأ وهو الخبر، ولعله مأخوذ من الأثنين من النبأ والأنباء، ويقرئ بلا همزة تخفيفًا، أو وهو الإخبار؛ وأيضاً هي بمعنى العلو والارتفاع^(٤).

النبوة اصطلاحًا

هي منزلة خاصة فضّل النبي بها بما أتاه الله من العلم وقرب المنزلة من الله، والنبى: هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر، أو أنه شخص من البشر ومن الناس أنفسهم، يجتبيه الله تعالى على سائر بني نوعه، ويختصه بهدايته وعنايته، فيوحي إليه، أو يحدثه من وراء حجاب، أو يرسل إليه ملكًا يكلمه، وهذه هي طرق الوحي التي يحصل بها الاتصال بالله تعالى، ويتلقى عبرها المعارف الحقة التي فيها السعادة، وفي خلافها الشقاء والضلال^(٥).

٣) الشخصية

الشخصية لغةً

صفات تميز الشخص من غيره. ويقال: فلان ذو شخصية قوية: ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل^(٦).

الشخصية اصطلاحاً

هي تنظيم دينامي داخل الفرد لتلك الأجهزة النفسية والجسمية التي تحدد طابعه الخاص في توافقه لبيئته^(٧).
هي تلك الأنماط المستمرة والمتسمة نسبياً بالإدراك والتفكير والإحساس والسلوك التي تبدو لتعطي الناس ذاتيتهم المميزة^(٨).

المبحث الثاني

الإطار النظري للمبحث

المطلب الأول/ الإمام الحسن (عليه السلام) أسمه ونسبه وشخصيته وعائلته

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي، سبط الرسول الكريم وريحانته، وأمه هي سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٩)، وتؤكد المصادر التاريخية أن الإمام الحسن (عليه السلام) ولد في المدينة المنورة في النصف من شهر رمضان من السنة الثالثة للهجرة، ولما حملت به فاطمة الزهراء (عليها السلام) جاءت أم الفضل زوجة العباس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت: «يا رسول الله رأيت في المنام وكأن عضواً من أعضائك قد سقط في حجري فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فتكفلينه وترضعينه، فولدت فاطمة الزهراء الحسن (عليه السلام) فدفعه النبي إليها فأرضعته»، وهو أول ولد يولد من سلالة الرسالة، ليحفظ الله به وبأخيه الإمام الحسين (عليه السلام)^(١٠).

ورعاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأطلق عليه لقب سيد شباب أهل الجنة، فما أن ترعرع الإمام الحسن وأخذت قدماه تدبان على الأرض حتى وجد في صدر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحب الذي لم يلقه مولود من قبل، فكان يلاعبه ويعلن عن حبه ومنزلته للأمة، وذلك لأن الحسن (عليه السلام) ولد في حياة جده الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعاش في كنفه سبع سنوات وستة أشهر من عمره الشريف، وكانت تلك السنوات على قصرها كافية لأن تجعل منه الصورة المصغرة عن شخصية الرسول، حتى ليصبح جديراً بذلك الوسام العظيم الذي حباه به جده، حينما قال له: «أشبهت خلقي وخلقي»، وهذه الكلمة تعد وسام الجدارة والاستحقاق لذلك المنصب الإلهي الذي هو وراثته الرسالة الإسلامية وخلافة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد خلافة وصية علي بن أبي طالب (عليه السلام)، هي خلق المناخ الملائم لدى الأمة التي يفترض فيها أن لا تستسلم لمحاولات الابتزاز لحقها المشروع في الاحتفاظ بقيادتها الإلهية وأن لا تتأثر بعمليات التمويه والتشويه لطمس الركائز التي تقوم عليها رؤيتها العقائدية والسياسية التي حاول الإسلام تعميقها وترسيخها في ضمير الأمة^(١١).

تميز الإمام الحسن (عليه السلام) بخصائص قيادية فريدة، جعلت معاوية يوصي أصحابه باجتناب محاورته؛ لأنه (عليه السلام) كان أحسن الناس منطقاً في زمانه، وكان (عليه السلام) دائم الارتباط بالله

تعالى وأكثر الناس خشية منه، إضافة لتمييزه سلام الله عليه بالزهد والخير والكرم والحلم، وفوق كل ذلك كان شجاعاً لا يخشى إلا الله تعالى فقد قال لمعاوية: «إن الخلافة لمن سار بسيرة رسول الله ﷺ... وليست الخلافة لمن عمل بالجود وعطل الحدود»^(١٢).

المطلب الثاني/ التربية النبوية في حياة الإمام الحسن (عليه السلام)

ترعرع الإمام الحسن (عليه السلام) منذ طفولته في أحضان جده رسول الله محمد ﷺ وأمه فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وأبيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهذه الشجرة الطيبة لها أثرها الواضح في تكوين شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) وبناءها وتقويمها. حيث كان لجده الدور الكبير في تربيته وتعليمه والعناية والاهتمام به وبأخيه الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث كان النبي ﷺ دائماً يرددها في كل مناسبة (الحسن والحسين إمامان أن قاما وأن قعدا)، و ((هما سيدا شباب أهل الجنة))^(١٣). وكان الرسول يرعى في تربية الحسن (عليه السلام) رعاية مميزة، فكان يغديه بأدابه ومعارفه، فقد كان يحبه ويخشى عليه من كل مكروه لربه له وخوفه عليه لأنه أمانة الله عنده ووصي من بعد أبيه (عليه السلام)، حيث تولى تربيته وتعليمه معارف العلوم وتعاليم الدين الإسلامي، كما حظى الإمام الحسن (عليه السلام) بالاهتمام والعناية والرعاية من قبل أبيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكان يخاطبه ويغرس فيه مكارم الأخلاق والأدب والشجاعة ليخرج منه إنساناً نافعا، فالإمام الحسن (عليه السلام) هو أول وليده في بنت النبوة، ولهذا حظى بالاهتمام والرعاية، وكانت أمه فاطمة الزهراء (عليها السلام) أيضاً لم تقصر في تقديم الرعاية والاهتمام له فهي المدرسة الأولى في الحياة الاجتماعية بما قدمت من حب وحنان وتعليمه مبادئ وأركان الدين الإسلامي^(١٤).

أكدت المصادر التاريخية أن للبيئة والنشأة الإسلامية أثر واضح على بناء وتكوين شخصية وسلوك الإمام الحسن (عليه السلام)، وذلك لأن البيئة الصالحة لا تخرج إلا أفراداً صالحين وطيبين النشأة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۚ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَلِكَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ سورة الأعراف: آية/ ٥٨.

لذلك أي بيئة أفضل من تلك البيئة التي ترعرع فيها الإمام الحسن (عليه السلام)؟ وأي نشأة أسمى من تلك التي نشأها الحسن (عليه السلام)؟ وأي أسرة أطهر وأنقى وأشرف من التي تربى فيها الحسن (عليه السلام)؟ فجده هو رسول الله ﷺ وأمه هي فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة وهي العفيفة

الشريفة الطاهرة المطهرة حببية أبيها وقرة عينه ﷺ وأبوه هو الليث المغوار ورابع الخلفاء علي بن أبي طالب ﷺ، فهذا هو بيت الحسن ﷺ الذي تربي فيه^(١٥)

نلاحظ مما سبق أن مدى الحب والعطف والحنان الذي شربه الحسن من جده ﷺ لكي نعلم يقيناً كيف تكون التربية؟ وكيف يؤثر هذا الحب في تنمية وتشكيل وبناء شخصية وصقل مواهبه؟

وعلاوة على ما تقدم كان النبي ﷺ المثل الأعلى في الصفات الإنسانية، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ سورة القلم/ الآية: ٤. يلاحظ من خلال هذه الآية المباركة أن النبي غرس مفاهيم وصفات التربية النبوية بحفيده الإمام الحسن ﷺ، كما جاء بقوله ﷺ: «ريحانتي من الدنيا» وكان يحمله على عاتقه ويقول: «أن أبنني سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين»، كل ذلك فقد ترك النبي بصمة واضحة في شخصية الإمام الحسن ﷺ وسلوكه وكيفية إدارة أمور حياته وإدارة أمور الرعية وتقديم النصح والإرشاد للناس فخير مثال على ذلك تعامله مع شيخ كبير حيث كان لا يحسن الوضوء، ففكر الحسن والحسين ﷺ كيف يصلحا وضوء الشيخ ويقدماه له النصيحة دون أن يسيئا الأدب فتظاهرا بالنزاع وكل منهما يدعى أنه الأفل في الوضوء، ثم قالوا للشيخ كن حاكماً بيننا وأخذ يراقب وأدرك الهدف من ذلك وقال مبتسماً كلاكما يحسن الوضوء^(١٦).

المطلب الثالث/ القيم التربوية الإيجابية في شخصية الإمام الحسن ﷺ والصلح في بناء المجتمع الإسلامي

المحور الأول/ القيم التربوية الإيجابية في شخصية الإمام الحسن ﷺ

تتمثل القيم الإيجابية للإمام الحسن ﷺ فيما يأتي:

١. تحقيق السلم الاجتماعي: إدارة شؤون الخلافة بعد وفاة أبيه الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، كقائد وولي أمر الأمة، ولكن كانت فترة صعبة وحرارة جداً بسبب الحروب التي كان يخوضها المسلمون ضد المتآمرون على أبيه والخلافة، حيث تسلم الإمام الحسن ﷺ الخلافة وكان عليه أن يواجه أسوأ القادة الذي كانوا قد تسلموا مناصبهم في ذلك الوقت، حيث كانت خلافة الإمام الحسن ﷺ في ذلك العهد تشمل أقساماً من العالم الإسلامي، وكانت مناطقه يسودها

الاضطراب والقلق، وحينها أدرك الإمام الحسن منذ توليه الخلافة أن معاوية يضمّر له العداوة والسوء ويستعد لحربه، لكن حرص الإمام الحسن (عليه السلام) على وحدة المسلمين يقتضى البعد عن الحرب والفتنة^(١٧).

٢. مواصلة الأعداء والدعوة للإصلاح: كان للإمام الحسن (عليه السلام) دورٌ واضحٌ في الإعداد والتهيئة للثورة وإعداده للجيش الذي كان منهمكاً بوقته نتيجة الحروب المتكررة، وأنه (عليه السلام) نجح في إعداد وتدريبه وشارك بشكل فاعل في إدارة الدولة، وكانت قيادة الإمام الحسن (عليه السلام) القيادة المناسبة للإمامة في وقتها وإيجابية هذه القيادة أنها مهدت السبيل لأخيه الحسين (عليه السلام) ليقتضى على شرعية الدولة الأموية، ومن النتائج الإيجابية تمثل في إنجاز الصلح مع معاوية، لأنه (عليه السلام) لم يرد أن يزعج المجتمع لحرب طاحنة، لأن ذلك يكون دماراً اقتصادياً وتلفاً للنفس؟ وكيف كان الصلح ضرورة ملحة لوحدة المسلمين وإنقاذهم وكشف عيوب العدو ومعرفة مدى قوتها؟^(١٨).

المحور الثاني/ الصلح في بناء المجتمع الإسلامي

كانت خطوة الصلح مع معاوية التي خطاها الإمام الحسن (عليه السلام) خطوة مهمة في حياة الإمامة الإسلامية، لأن الإمام الحسن (عليه السلام) رأى في نفسه أنه لا يتسنى له تنفيذ أوامره في جيشه، لأن أكثر رؤساء جيشه باعوا ضمائرهم لمعاوية وتفرق صفوف الجيش، ولذلك قدر الإمام الحسن (عليه السلام) أن يخسر بخيانة جنوده المعركة، لذلك فكر الإمام الحسن (عليه السلام) الصلح مع معاوية حفاظاً على مكانته وعزة المسلمين وحقن الدماء، فالإمام الحسن (عليه السلام) لم يفكر قط بالصلح مع معاوية أو مهادنته، غير أنه بعد أن تكاثرت لديه الأخبار عن تفكك جيشه، وانحياز أكثر القادة إلى جانب معاوية ما دفع (عليه السلام) أن يختار بين أمرين: أولهما: الاستمرار بحرب خاسرة لا محالة فيها فناؤه، وفناء أهل بيته وبقية الصفوة الصالحة، والأمر الثاني: القبول بالصلح وحقن دماء أهل بيت النبوة والعصمة وبقية الصفوة الصالحة من شيعتهم، ليتصل حبلهم بحبل الأجيال اللاحقة، وليصل إليها معالم الدين، وهكذا اضطّر الإمام الحسن (عليه السلام) للصلح في محاولة ناجحة لكشف حقيقة معاوية، الذي أنفرد بالحكم واستأثر بإدارة شؤون الأمة، وقد أثبتت الأيام غدر وخيانة معاوية، وذلك عندما داس على بنود الصلح بقدميه ولم يعد يعني له ذلك شيئاً^(١٩).

المبحث الثالث / رؤية سوسيولوجية عن شخصية الإمام الحسن (عليه السلام)

أن كل ما ذكر يعطي لنا صورة أو رؤية سوسيولوجية عن شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) والقيمة الإيجابية للصلح من خلال كشفه حقيقة معاوية، حيث كان لأهداف الصلح تتلخص في الوصول إلى السلطة، وكذلك انحراف معاوية وعدم وفائه ببنود الصلح التي اشترطها عليه الإمام الحسن (عليه السلام)، أضف إلى ذلك اتساع القاعدة الشخصية للإمام الحسن (عليه السلام) ومعرفة نوايا وخفايا معاوية، كما أن قرار الصلح قد صب في صالح الأمة الإسلامية وحركتها التاريخية وتوحيد كلمة المسلمين وجمع قلوبهم، فضلاً عن تكوين شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) العظيمة التي تميزت بالجود والكرم والشجاعة والقيادة، والظروف التي عاشها في حياته وما تركته من آثار أخلاقية واجتماعية وفكرية للأجيال القادمة، فالإمام الحسن (عليه السلام) تحمل المعاناة والآلام من أجل تثبيت دعائم الإسلام، إذ لم يكن مجرد انفعال عاطفي بل كل ما فعله كان هادفاً ورسالة موجهة من أجل الحفاظ على بناء المجتمع وكيونته وركائزه الأساسية.

وبإمكان الدارس لسيرته (عليه السلام) أن يلحظ خطين أساسيين لمبدأ السلم واللاعنف في منظومته الفكرية العامة، الخط الأول، يتمثل في كيفية التعامل مع العدو الخارجي وموقع ذلك العدو من مبدأ السلم واللاعنف، والخط الثاني هو يحدد مكانة ما يمكن أن يسمى العدو الداخلي، ولو كان مسلماً، وكيفية التعامل معه من منطلق السلم المتمثل بالكلمة الطيبة والحوار المبني على الدفع بالتي هي أحسن، وبهذا لا بد أن يكون من تربي في كنف رسول الله ﷺ وبيت الإمام علي (عليه السلام) رمزاً للسلام والسلم فأساس هذا الإسلام هو الحلم الذي كان صفة من صفات الإمام الحسن (عليه السلام) الشهيرة، فقد كان (عليه السلام) حليماً ذا أناة، ساكن النفس عند الغضب ضبطاً لنفسه عند هيجانها^(٢).

الاستنتاجات والتوصيات

أولاً/ الاستنتاجات

١. بين البحث تأثير التربية النبوية في تشكيل شخصية الإمام الحسن (عليه السلام).
٢. بيان أهمية القيم الإيجابية لشخصية الإمام الحسن (عليه السلام).
٣. كشف البحث الدور الهام والمهمة للصلح بين الإمام الحسن ومعاوية في تحقيق الأمن الاجتماعي والسياسي للأمة الإسلامية.
٤. إن لبيت أهل النبوة الأثر البارز في شخصيته وسلوكه كونه تربى منذ طفولته في كنف وأحضان جده النبي ﷺ، وأبيه علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (عليها السلام).
٥. ثبت أن شخصيته تعتبر شخصية قيادية على الرغم من قصر عهد خلافته ومن أهم صفات التي أتصف بها هي استيعابه للأحداث الجارية حوله وقدرته على قيادة الأمة الإسلامية في مشروع الإصلاح العظيم.

ثانياً/ التوصيات

١. يجب الاقتداء بشخصية الإمام الحسن (عليه السلام) لما لها الأثر البارز في المجتمع الإسلامي.
٢. ضرورة الاهتمام والعناية بعقد مؤتمرات وندوات تناول شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) وصلحه مع معاوية في نبذه للعنف والإرهاب.
٣. العمل على إجراء دراسات مشابهة أو مقارنة عن شخصية الإمام الحسن ودورها في تحقيق السلم الاجتماعي.

الهوامش

- ١- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، المجلد (١)، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٨م، ص ٨٥٢.
- ٢- إبراهيم جابر، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل الجديد، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٣٢.
- ٣- دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٣٢.
- ٤- ابن منظور جمال الدين الأفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ٦٤٢.
- ٥- انتصار عدنان عبد الواحد، وظائف النبوة دراسة في نهج البلاغة، المجلد (١)، العدد (١)، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٦م، ص ٢٥٨.
- ٦- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، باب الشين، الجزء الأول، ٢٠٠٠م، ص ٤٧٥.
- ٧- أحمد فرج وآخرون، نظريات الشخصية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، مصر، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٧.
- ٨- سهير كامل أحمد، سيكولوجية الشخصية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ٢٠٠٧م، ص ٢٣.
- ٩- رسول عيسى مهدي، الإمام الحسن منذ الولادة وحتى الشهادة، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، المجلد (٣)، العدد (٣٩)، العراق، ٢٠١٦م، ص ٢٦٩-٢٧٠.
- ١٠- السيد محمد الحسيني الشيرازي، ثورة الإمام الحسن عليه السلام، مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية، قم، ٢٠١١م، ص ١١-١٢.
- ١١- أنيس شهيد محمد، الإمام الحسن عليه السلام والتسامح الاجتماعي، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، المجلد (٢)، العدد (٣٩)، ٢٠١٦م، ص ٩٦.
- ١٢- رسول عيسى مهدي، المصدر السابق، ص ٢٧٢.
- ١٣- نسرین حمزة عباس السلطاني، قبسات تربوية في فكر الإمام الحسن المجتبي، مقال منشورة بتاريخ، ٣١/ مايو/ ٢٠١٨م، ص ١، رابط المقال: <https://www.taghribnews.com>
- ١٤- عبد المؤمن أبو العينين حفيشة، الغصن الندي في سيرة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، مكتبة الكويت الوطنية، الكويت، ٢٠٠٦م، ص ٥٠.
- ١٥- عبد المؤمن أبو العينين حفيشة، الغصن الندي في سيرة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، مكتبة الكويت الوطنية، الكويت، ٢٠٠٦م، ص ٣٣.
- ١٦- سيد مهدي آية الله الله، الإمام الحسن بن علي عليه السلام مؤسسة أنصاريان، إيران، (د، ت)، ص ٥٠٤.
- ١٧- سليمان كتاني، الإمام الحسن عليه السلام الكوثر المهدور، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ١٩٨٩م، ص ٨٩.
- ١٨- السيد محمد الحسيني الشيرازي، المصدر السابق، ص ٢٢-٢٣.
- ١٩- رسول عيسى مهدي، المصدر السابق، ص ٢٧٨.
- ٢٠- أنيس شهيد محمد، المصدر السابق، ص ١٠٨.

المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم.
- أولاً/ المصادر العربية
- * إبراهيم جابر، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل الجديد، بيروت، ٢٠٠٤م.
- * إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، باب الشين، الجزء الأول، ٢٠٠٠م.
- * ابن منظور جمال الدين الأفرقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧م.
- * أحمد فرج وآخرون، نظريات الشخصية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، مصر، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٧.
- * أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، المجلد (١)، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٨م، ص ٨٥٢.
- * انتصار عدنان عبد الواحد، وظائف النبوة دراسة في نهج البلاغة، المجلد (١)، العدد (١)، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٦م.
- * أنيس شهيد محمد، الإمام الحسن (عليه السلام) والتسامح الاجتماعي، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، المجلد (٢)، العدد (٣٩)، ٢٠١٦م.
- * دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م.
- * رسول عيسى مهدي، الإمام الحسن منذ الولادة وحتى الشهادة، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، المجلد (٣)، العدد (٣٩)، العراق، ٢٠١٦م.
- * سليمان كتاني، الإمام الحسن (عليه السلام) الكوثر المهدور، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ١٩٨٩م.
- * سهير كامل أحمد، سيكولوجية الشخصية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ٢٠٠٧م.
- * السيد محمد الحسيني الشيرازي، ثورة الإمام الحسن (عليه السلام)، مركز الإمام الحسن للدراسات التخصصية، قم، ٢٠١١م.
- * سيد مهدي آية الله الله، الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) مؤسسة أنصاريان، إيران، (د، ت).
- * عبد المؤمن أبو العينين حفيشة، الغصن الندي في سيرة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، مكتبة الكويت الوطنية، الكويت، ٢٠٠٦م.
- * عبد المؤمن أبو العينين حفيشة، الغصن الندي في سيرة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، مكتبة الكويت الوطنية، الكويت، ٢٠٠٦م.
- ثانياً/ مصادر الأنترنت
- * نسرین حمزة عباس السلطاني، قسبات تربوية في فكر الإمام الحسن المجتبي، مقال منشورة بتاريخ، ٣١/ مايو/ ٢٠١٨م، ص ١، رابط المقال: <https://www.taghribnews.com>

التربية الأخلاقية على أساس
تعاليم الإمام الحسن المجتبي عليه السلام



الباحث محمد حسين قنடاق سازان

ماجستير في التربية الأخلاقية / ايران

الباحث نعيم حسيني

باحث في معهد دراسات الحضارة التوحيدية / ايران

ملخص البحث

تتكون التربية الأخلاقية من ركني الأخلاق أي معرفة الفضائل والرذائل الأخلاقية و التربية أي طريقة الوصول وإيصال المتربي إلى الفضائل الأخلاقية. حسب العلاقات الإنسانية، يمكن تقسيم الأخلاق إلى أربعة أقسام من التربية الأخلاقية في مجالات العبودية والفردية والاجتماعية والبيئية.

إنَّ تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) وخاصة تعاليم الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، مليئة بالقضايا الأخلاقية، ويمكن أخذ النصائح الأخلاقية منها في جميع أنواع التربية الأخلاقية الأربعة التي تم ذكرها. ويُعدُّ الإمام المجتبي إنَّ خير الناس هم من لهم حسن الخلق مع الإيمان والعمل الصالح، وفي الروايات التي يعدد صفات المؤمن، يوصي بالعديد من الصفات الأخلاقية الحميدة في مجالات التربية الأخلاقية الأربعة. التجنب عن محارم الله، نية التقرب في العبودية، الشكر في الرخاء والصبر على البلاء، الرضا بما قسَّم الله يحسبُ في أخلاق العبودية؛ إدارة الشهوات النفسانية في الأخلاق الفردية؛ المداراة والتسامح مع الناس والمرؤوسين، الإهتمام بالجيران والآخرين من المؤمنين، إدارة العلاقات الاجتماعية على أساس الإيمان يحسب في الأخلاق الاجتماعية وإحترام الكائنات الحية يعتبر في الأخلاق البيئية و كله من وصايا الإمام (عليه السلام) كما أن سيرة حضرته مليئة بأساليب التربية الأخلاقية مثل التشجيع، العفو عن الخاطئ و النصائح العملية و صنع النموذج في مختلف المجالات الإخلاقية التي يمكن أن يستخدمها ويتعلمها معلمي التربية الإخلاقية.

Abstract

Moral education is comprised of two main components: ethics, which involves the knowledge of virtues and moral vices, and education, which refers to the process of instilling and conveying these virtues to the individual being educated. Human relations theory divides ethics into four distinct areas of moral education, namely slavery, individualism, society, and the environment. The teachings of the Ahl al-bayt, particularly those of Imam Hassan, contain numerous ethical issues and provide valuable moral advice across all four areas of moral education.

Imam al-Mujtaba believed that the most virtuous individuals are those who possess good morals along with a strong faith and righteous deeds. In his narrations, he highlighted the importance of various moral qualities in the fields of moral education, such as avoiding what is prohibited by Allah, showing an intention to seek nearness in servitude, being grateful in times of prosperity, and displaying patience during adversity. Contentment with what Allah has allotted is considered an essential aspect of ethics in servitude.

Managing one's desires is a key component of individual ethics, while interacting and showing tolerance towards people and subordinates, caring for neighbors and other believers, and managing social relationships based on faith are all important aspects of social ethics. Respecting living beings falls under the umbrella of environmental ethics. All of these recommendations can be found in the teachings of Imam Hassan, whose biography is replete with examples of moral education methods, such as encouragement, forgiveness of wrongdoers, practical advice and setting a positive example in various ethical domains. These methods can be studied and learned by those involved in moral education.

المقدمة

هو القابلية للتحول (أي إمكانية الصلاح والفساد) هي أهم ما يميز الإنسان. مقارنة بال مخلوقات الأخرى، وهذا هو السبب في اعتبار خلق كل شخص مائزاً له وللآخرين، ويمدحون الخلق الحسن ويقبحون الخلق السيئ فيما بينهم والآخرين. الإنسان رهين بصفاته الحسنة والسيئة ويعيش، يفكر، يحكم، يتخذ القرارات ويتصرف معها ومع هذه الصفات يموت ويحشر وفي النهاية تتعين سعادته أو شقاؤه بناءً على هذا السلوك. قال الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) في حديث:

«حَدَّثَنِي أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ (عليه السلام) قَالَا حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ أَبِي مَسْرُوقٍ النَّهْدِيِّ بِإِسْنَادِهِ يَرْفَعُهُ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) قَالَ: النَّاسُ أَرْبَعَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ خُلُقٌ وَلَا خَلَقٌ لَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ خَلَقٌ وَلَا خُلُقٌ لَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا خُلُقَ لَهُ وَلَا خَلَقَ لَهُ وَذَلِكَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ خُلُقٌ وَخَلَقٌ فَذَلِكَ خَيْرُ النَّاسِ»^(١).

في هذه الرواية يؤكد الإمام المجتبى (عليه السلام) على أهمية الأخلاق، ويعرف من كان له أخلاق حسنة والعمل الحسن كخير الناس.

بما أن العلاقات الإنسانية يمكن تقسيمها على أربع فئات - علاقة الإنسان بالله، والإنسان مع نفسه، والإنسان بالإنسان الآخر والإنسان بالبيئة - تجري هذه الفئات في الأخلاق أيضاً وعلى أساس هذه العلاقات الأربعة تظهر أربعة أنواع من أخلاقيات: أخلاق العبودية، أخلاق الفرد، أخلاق الاجتماع وأخلاق البيئة، في النظرة التوحيدية للإسلام تكون جميع الأفعال والعلاقات البشرية بطريقة ما خاضعة للعلاقة بين الإنسان وخالقه. لأن العلاقة الجيدة مع المخلوقات هي علامة على صلاح الخلق في العلاقة مع الخالق وتشمل الأوامر الإلهية.^(٢) فلنعد العلاقة مع الله مركزاً للتربية والتعاليم الإنسانية كما يشير إليه أمير المؤمنين (عليه السلام):

«مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ»^(٣).

ولكن من أجل سهولة الشرح وتحسين الفهم لمكانة كل خلق، تم اقتراح التقسيمات الأربعة المذكورة أعلاه والموافقة عليها. في هذا البحث، وبناءً على الأساس نفسه، تم دراسة موضوعات التربية الأخلاقية في أربعة من أكثر الموضوعات نقاشاً وهي أخلاق

العبودية، أخلاق الفردي وأخلاق الاجتماعي والأخلاق البيئية، بناءً على تعاليم الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) وأفدنا من معارف الإمام في هذا المجال.

من الضروري في البداية مناقشة المفاهيم الرئيسة للبحث من أجل توضيح أجواء البحث في المقالة.

التربية

يمكن أن تأتي كلمة التربية من أصلين؛ الجذر الأول لكلمة «رب ب» يعني الحضانة وإدارة شؤون المتربي، والجذر الثاني للتربية يأتي من كلمة «رب و» التي تعني النمو. ويمكن القول أن معنى الجذر الثاني يشير إلى التطور المادي الجسمي، ومعنى الجذر الأول يشير إلى البعد الروحي. ومع ذلك، يتضح من بعض المعاجم المعاصرة أن هذين الجذرين يستخدمان أيضاً في معاني بعضهما البعض. مع ذلك، هناك آراء ووجهات نظر مختلفة حول أي من الجذرين المذكورين هي الجذر الرئيس وأيهما الثانوي.^(٤)

أدخل مفكرو العلوم التربوية معاني مختلفة لمصطلح التربية. ويُعدُّ «روسو» التربية فناً أو أسلوباً يتم تحقيقه من خلال التوجيه أو الدعم والدلالة للقوى والمواهب الطبيعية للمتربي ومن خلال مراعاة قوانين النمو الطبيعي، وبالتعاون مع الشخص المتربي للمعيشة. من وجهة نظره، التربية هو عملية تنمية المتربي في مجموعة من المواهب الفطرية.^(٥)

ويعتبر «إميل دوركهايم» أن التربية هي الوظيفة التي يؤثر خلالها الجيل البالغ والناضج والمهدي على الجيل الذي لم ينضج بعد مدى الحياة، والغرض منه هو إثارة وتوسيع الحالات الجسدية والفكرية والأخلاقية للمتربي.^(٦)

ومن المفكرين المسلمين، يعرف «الشهيد مطهري» التربية على النحو التالي: التربية تعني التنمية، أي تحقيق وتنمية المواهب الداخلية التي تكون موجودة في شيء ما، ولهذا السبب التربية تصدق فقط على الأحياء، أي النباتات والحيوانات والإنسان، وإذا استخدمنا هذه الكلمة للأشياء غير الحية، فقد استعملناها مجازياً، وليس أننا ربينا هذا الشيء بالمعنى الحقيقي.^(٧)

كما عرفَ المرحوم «آية الله مصباح اليزدي» التربية في مقابلة أجريت معه حول موضوع التربية الدينية: «إن التربية توفر أسساً لنمو مواهب وقوى الكائن حتى يتمكن من الاستفادة من هذه القوى للوصول إلى كمالها».^(٨)

وقدّم «الدكتور بناري» تعريفاً للتربية يبدو أكثر شمولاً: «التربية هي نشاط هادف وذات اتجاهين بين المربي والمتربي من أجل مساعدة المتربي لإدراك قدراته وتطوير الشخصية في مختلف الجوانب الشخصية والاجتماعية والجسدية والعاطفية والأخلاقية»^(٩). لذلك ومن أجل هذه الشمولية، فقد اعتبرنا هذا التعريف أساساً لهذه المقالة.

الأخلاق

الأخلاق لغة جمع «خلق» ويعني الطبيعة الداخلية وغير المرئية للإنسان، والتي تسمى أيضاً الطبيعة والشخصية، حيث تشير كلمة «خلق» إلى الشكل الخارجي والمرئي للإنسان^(١٠) كتب «راغب الأصفهاني»^(١١): «الخلق» يُدرك بالجسد والأشكال والهيئات التي يمكن أن تفهمها العين، و«الخلق» خاص بالقوى والصفات التي تفهمها البصيرة.

وقد ورد ذكر تعاريف لعلم الأخلاق نشيرُ إلى بعضها. يقول «المرحوم نراقي» في جامع السعادات: علم الأخلاق هو معرفة صفات (ملكات) المهلكة والمنجية وكيفية الإتيان والتخلق بالصفات المنجية والتحرر من الصفات المهلكة.^(١٢)

يقول «العلامة الطباطبائي» إن علم الأخلاق أسلوب يبحث عن الملكات الإنسانية. الملكات التي ترتبط بالقوى النباتية والحيوانية والبشرية للإنسان. الغرض من هذه الدراسة هو فصل الفضائل عن الرذائل؛ أي أن هذا العلم يريد أن يكشف أي من الملكات النفسانية للإنسان جيدة ومصدر كماله وفضيلته، وأي الملكات سيئة ورذيلة ومصدر عيبه ونقصه، حتى يتزين الإنسان بعد التعرف عليها بالفضائل ونأى بنفسه عن الرذائل^(١٣). وتجدر الإشارة إلى أن قيد «ملكة» في تعريف علم الأخلاق يعود إلى أن الصفات الأخلاقية في الإنسان ثابتة ومستقرة، وهذه القوى موجودة في ذاته الداخلية، ومدح الجمهور موجّه إليه.^(١٤)

بمقارنة بسيطة بين المعنى الإصطلاحي للأخلاق وما نُقل عن أهل اللغة يتضح أن علماء الأخلاق قد تأثروا بعلماء اللغة في تعريفهم معنى الخلق وعلم الأخلاق، وبالتالي قدموا تعريفاً للخلق وجعلوا موضوع علم الأخلاق ومجاله مقصوراً على الملكات النفسانية، وفي علم الأخلاق ناقشوا الفضائل والرذائل بشكل أساسي ولم يلتفتوا إلى السلوكيات والآداب الأخلاقية.^(١٥)

التربية الأخلاقية

التربية الأخلاقية من أهم مجالات عملية التربية، لأن العلاقة بين التربية والأخلاق عميقة وواسعة جداً وهذا التشابك عميق لدرجة أنه لم يكن هناك في الماضي حد واضح بينهما وكانت عملية التربية تعتبر مطابقة مع الأخلاق. «حتى كون الفرد أخلاقياً كان يُنظر إليه على أنه مربّي وتربية الفرد كانت تعتبر تخليقه بالأخلاق الحسنة».^(١٦)

هناك عوامل مختلفة ومؤثرة في تعريف التربية الأخلاقية وكذلك تحديد نطاقها ومجالها، بما في ذلك تصور مفهوم التربية والأخلاق ومركب «التربية الأخلاقية». لذلك، تم تقديم تعريفات مختلفة للتربية الأخلاقية من حيث وجهات النظر المختلفة لهذه الحالات. إذا كانت الأخلاق ناظرة إلى الفضائل والردائل فحسب، كما يعتقد بعض القدماء، فإن معنى التربية الأخلاقية هي التحول من أجل خلق الفضائل والقضاء على الردائل الأخلاقية. هذا المعنى للتربية الأخلاقية ستكون مرادفةً لتربية الشخصية، ولكن إذا كان نطاق علم الأخلاق هو كل الساحات الثلاثة من المعرفة والعواطف والأعمال، كما يعتقد العديد من علماء الأخلاق المسلمين، فإن التربية الأخلاقية تعني خلق نوع من التحول في الإنسان نطاقها ثلاثة مجالات فكرية، العاطفية والسلوكية العملية.^(١٧)

بما أن «بناري» يعدّ موضوع الأخلاق شاملاً للصفات الداخلية والسلوكيات الخارجية و الآداب الأخلاقية؛ لقد عرّف التربية الأخلاقية على النحو التالي: «إنها عملية تمهيد الأفضية واستعمال الأساليب للازدهار وتقوية وخلق الصفات والسلوكيات والآداب الأخلاقية وتصحيح أو إزالة الصفات والسلوكيات والآداب غير الأخلاقية في نفس الإنسان أو شخص آخر».^(١٨) لذلك فإن التربية الأخلاقية لها ركنان؛ أحدهما هو معرفة الفضائل والردائل والسلوكيات الأخلاقية وضد الأخلاقية، والآخر هو استعمال الأساليب لتقويتها أو إضعافها، لهذا فإن التربية الأخلاقية تعتمد مجالي الأخلاق والتربية. ففي الركن الأول، تُطلب المساعدة من الأخلاق وفي الركن الثاني من التربية.^(١٩)

في هذه المقالة التي تستند إلى تعاليم الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، سنستفيد من سيرة الإمام وكلماته في كلا ركني الأخلاق.

التربية لأخلاق العبودية

إنَّ أخلاق العبودية هي أكثر المجالات مركزيةً ومحوريةً في الأخلاق الإسلامي والأخلاق التوحيدية، لأن جميع العلاقات الثلاثة للإنسان، أي العلاقة مع نفسه ومع الآخرين ومع البيئة، تعود بطريقة ما إلى العلاقة بين الإنسان مع الله. إذا كان للمؤمن علاقة جيدة مع الله ويراعي أخلاقيات العبودية بطريقة جيدة، فسيكون شخصاً متواضعاً ومؤدباً، وبكلمة واحدة سوف يراعي الأخلاق في تفاعله مع المخلوقات الإلهية.

ومن التعاليم الواردة عن الإمام الحسن المجتبي حول التربية الأخلاقية وفي ضمن مقولة أخلاق العبودية الأمر إلى مراعاة الحلال والحرام الإلهي وعلى تعبيره العفة عن محارم الله. يقول الإمام عليه السلام: «يَا ابْنَ آدَمَ! عَفَّ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ تَكُنْ عَابِداً، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَكَ تَكُنْ غَنِيًّا الْحَدِيثُ»^(٢٠). وفي رواية أخرى يشير الإمام إلى مؤلفات التربية الأخلاقية وعلاماتها وهي الوصول إلى الفضائل الأخلاقية الحميدة والإبتعاد عن الرذائل.

«إِنَّ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ قُوَّةٌ فِي دِينٍ، وَكَرَمٌ فِي لِينٍ وَحَزْمٌ فِي عِلْمٍ، وَعِلْمٌ فِي حِلْمٍ، وَتَوْسَعَةٌ فِي نَفَقَةٍ، وَقَصْدٌ فِي عِبَادَةٍ، وَتَحَرُّجٌ مِنَ الطَّمَعِ، وَبِرٌّ فِي اسْتِقَامَةٍ، لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُغْضُ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ، وَلَا يَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ، وَلَا يَجْحَدُ حَقًّا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَا يَهْمُزُ وَلَا يَلْمِزُ وَلَا يَنْغِي، مُتَخَشِّعٌ فِي الصَّلَاةِ مُتَوَسِّعٌ فِي الزَّكَاةِ، شَكُورٌ فِي الرِّخَاءِ، صَابِرٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ، قَانِعٌ بِالَّذِي لَهُ، لَا يَطْمَحُ بِهِ الْغَيْظُ، وَلَا يَجْمَعُ بِهِ الشُّحُّ، يُحَالِطُ النَّاسَ لِيَعْلَمَ، وَيَسْكُتُ لِيَسْلَمَ، يَصْبِرُ إِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَكُونَ إِلَهُهُ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ»^(٢١).

لا شك أن من مسائل التدين القوة والمصابرة في أصل التدين ولعل من يتصرف ويفعل في ظروف وأوضاع عادية كما يطلب منه الدين، لكنهم يتراجعون في المشاكل والمصاعب. لطالما لعب الدين والأخلاق دوراً أساسياً وهاماً في الحياة الفكرية والروحية للبشر، ولكن اعتماداً على ظروف المجتمع وحدوث العوائق، يصبح تمسك الناس بالدين والأخلاق أقوى وأضعف. في أصل هذا الاستقرار، تلعب التربية الأخلاقية دوراً مهماً. ففي مسار الحياة، يقع الإنسان في إغراءات شريرة و وساوس شيطانية مختلفة تنزع عنهم الاستقرار والثبات، وتزلزل الإيمان، وتضعف إرادته وتجعل خطواته غير مستقرة وقلبه قلقاً ومضطرباً. هذا التزلزل وعدم الثبات، لا نهاية له إلا الهلاك والخراب.^(٢٢) ذكر الله سبب نجاة الإنسان عن الشك والترديد والجزع ويقوي القلب ويثبت

الخطوات. لهذا يؤكد الإمام على الخضوع في الصلاة لأن «الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»^(٢٣) والسعة في الزكاة هي أيضاً خطوة عملية لإظهار الثبات في الدين. الشكر في الرخاء و الصبر في البلاء فضيلتان أخريتان من فضائل أخلاق العبودية للمؤمنين، والتي تجعل الإنسان لا يطمع ولا يمد يده إلى أي شخص وهذا يعني الابتعاد عن التعرض للذل في الحياة الدنيوية. لقد تطور هذا المؤمن كثيراً في التربية الأخلاقية وخاصة في أخلاق العبودية، حتى تجل التوحيد فيه وهو يعتمد كلياً على الله و حتى عندما يضيع حق له، فإنه لا يتقدم للانتقام ويوكل الانتقام إلى ربه.

تربية الأخلاق الفردية

للإنسان العديد من الواجبات والمسؤوليات الشرعية والأخلاقية فيما يتعلق بنفسه، وأحياناً يظلم الإنسان نفسه أو لا يؤدي حقها. والسؤال هنا ما الواجبات الأخلاقية التي يتحملها كل شخص تجاه نفسه وما هي الصفات الأخلاقية التي يجب أن ينشئها في نفسه من أجل التأدية بحقه.

إن أهمية الاهتمام بالأخلاق الفردية واضحة جداً في تصريح الإمام الحسن المجتبي عليه السلام عندما يقول: «عجبت لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله، فيجنب بطنه ما يؤذيه ويودع صدره ما يرديه».^(٢٤)

إنه ينظر إلى طعامه و يراقبه حتى لا يتأذى من الطعام المضر، ولكن للأسف لا يظهر هذه الحساسية.

يعرّف حضرة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام أحد أصدقائه الذين استحقوا الثناء على صفاته النبيلة. ترتبط بعض هذه الصفات بالأخلاق الفردية وعلاقة الشخص مع نفسه و تُعدّ فضيلة شخصية و ينتفع منه الإنسان نفسه وليس لها علاقة بالمجتمع أو البيئة. «خطب الناس الحسن بن علي فقال: أيها الناس أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما أعظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له عقله ولا رأي الحديث».^(٢٥)

في هذه الرواية يصف الإمام الحسن المجتبي عليه السلام مؤمناً أعظم الناس في نظر الإمام، والسبب الرئيس

لهذه العظمة هو ضالة الدنيا في عينيه. الفضيلة الأخرى التي أكدها الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) هي السلطة على شهوة البطن، وفي وصف هذا الأخ المؤمن يقول إنه لم يرغب بما لم يجد، ولم يفرط في ما وجده. كذلك أنه كان خارجاً عن سلطة الشهوة الجنسية بحيث لا تزيل الشهوة الجنسية عقله وإيمانه. إن خروج الإنسان المؤمن من سلطة الشهوة، سواءً أكانت شهوة بطن أم شهوة جنسية، ولا يرى نفسه عالماً في هذه الشهوات الدنيوية، أو في تعبير الإمام صغر الدنيا في عينه يمنحه الإتساع القلبي وقدرة التعالي الروحي. هذا تماماً يشبه الطائر الذي يريد أن يطير ولكن أقدامه مقيدة بالأرض بسلسلة، على الرغم من أن مثل هذا الطائر لديه الأجنحة والريش اللازمة للطيران، إلا أنه لا يزال غير قادر على الطيران، يجب أولاً إزالة هذه السلاسل حتى تتمكن جناحيه من الطيران. ففي الأخلاق أيضاً التخلص من السلاسل والقيود المادية، مثل سلطة البطن والشهوة الجنسية، هو مقدمة للتطور الأخلاقي الفردي و أيضاً في جميع المجالات الثلاثة الأخرى للأخلاق أي العبودية والاجتماعية والبيئية. لقد أشار الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) بشكل مناسب إلى الجذور الرئيسة لمأزق الإنسان في هذا العالم والعقبات الرئيسة أمام التطور الأخلاقي للإنسان وأكد على هذه الأهمية.

٢٠٧

من أساليب التربية الأخلاقية التي لها تأثير كبير في جميع مجالات الأخلاق وخاصة في مجال الأخلاق الفردية، تحفيز حب الكمال للإنسان. فالإنسان يحب شخصيته بشكل طبيعي ويحاول تقوية محبوبته وعزته باكتساب الكمال. يمكن للمربي توظيف هذه الخاصية وتحفيز الميل بالتفوق لدى المتدربين لتوجيههم نحو الأهداف التربوية الصحيحة. قد استعمل الإمام الحسن (عليه السلام) هذه الطريقة في تربية الأولاد. إذ دعا الإمام ذات يوم أولاده وأولاد أخيه، وخلال محادثة ودية قال لهم:

«إنكم صغار قومٍ ويوشك أن تكونوا كبار قومٍ آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته». (٢٦)

الشهوة ليست المانعة المنحصرة في طريق الرشد والوصول إلى الكمال الأخلاقي. هناك قيود وموانع كثيرة يلزم التحري عنها للطيران الروحي ومنها الحسد والكبر والحرص. الإمام الحسن (عليه السلام) في رواية جميلة في توضيح الأسباب والصفات المهلكة يقول:

«هالك الناس في ثلاث؛ الكبر والحرص والحسد؛ فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس؛ والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل». (٢٧)

التربية الأخلاقية بصدد إزالة هذه السلوكية و الأخلاقية بالضبط. الكبر و الحرص و الحسد من الرذائل الأخلاقية التي يشاهد أثرها في جميع مجالات الأخلاق. تفسد الشخصية الأخلاقية للفرد بدايةً و تبدو آثارها في المجالات الأخر.

تربية الأخلاق الاجتماعية

هناك العديد من الفضائل في الأخلاق الاجتماعية التي يجب اتباعها لتصبح أخلاقية منها المداراة مع الناس، السخاوة و الجود، التسامح و تجاهل الأخطاء، مساعدة الناس و مراقبة الأخلاق في المحادثة و الحوار. إن حياة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام و كلماته مليئة بالتعاليم التي تؤكد على العديد من هذه الفضائل الأخلاقية. للإمام الحسن المجتبي أقوال مهمة حتى فيما يتعلق باختيار الأصدقاء و اختيار العلاقات الاجتماعية. من كلامه في وصية لأبيه:

«يا بني لا تؤاخ أحدا حتى تعرف موارده و مصادره فإذا استنبطت الخبرة و رضيت العشرة فأخه على إقالة العشرة و المواساة في العسرة».^(٢٨)

في بداية اختيار الصديق و بدء علاقة اجتماعية، يجب أن يكون الشخص مراقباً بشكل خاص تجاه الطرف الآخر و أن يتعرف على شخصيته بعناية، ولكن بعد بداية هذه الصداقة، العفو و غمض العين عن الأخطاء لازمان و يجب أن يجعل كل جهوده في مساعدة الصديق في الصعوبات و المشاكل. يذكر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في الرواية التي ورد ذكرها سابقاً صفات المؤمن الذي كان في عينه أعظم الناس، و في بقية الرواية يذكر الإمام بعض صفاته الأخلاقية التي يبدو أنها تكون في مجال الأخلاق الاجتماعية.

«كان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يده إلا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهى ولا يتسخط ولا يتبرم، كان أكثر دهره صماتاً فإذا قال بذ القائلين، كان لا يدخل في مرء ولا يشارك في دعوى ولا يدي بحجة حتى يرى قاضياً، وكان لا يغفل عن إخوانه ولا يخص نفسه بشيء دونهم، إذ كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجد كان ليثاً عادياً، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله حتى يرى اعتذاراً، كان يفعل ما يقول و يفعل ما لا يقول، كان إذا ابتزه أمران لا يدرى أيهما أفضل نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشكو و جعاً إلا عند من يرجو عنده البرء ولا يستشير إلا من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا ينتقم ولا يغفل عن

العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة إن أطقتموها فإن لم تطيقوها كلها فأخذ القليل خير من ترك الكثير ولا حول ولا قوة إلا بالله». (٢٩)

أن المؤمن لا يمد يده لأي شخص في العلاقات الاجتماعية، ويحافظ على إحترامه لذاته في العلاقات الاجتماعية ولا يهين شخصيته الاجتماعية وهذا يعد من أهم المبادئ الأخلاقية في مجال الأخلاق الاجتماعية. ومن النقاط التي يؤكد بها الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) في هذه الرواية الجميلة هي أن الصمت غالباً، عدم الخوض في الجدال والمراء دون داع، عدم إهدار الطاقات إلا عند الضرورة، وعدم الغضب بلا داع، والكون من أهل العمل والوفاء (سواء في ما وعد به أو حتى فيما لم يعد) من الفضائل المهمة.

في هذه الرواية الشريفة، يصرّح الإمام الحسن بصيغة تنفيذية كاملة للتخلص من المعضلات الأخلاقية في الحياة الفردية والاجتماعية والتي يمكن أن تكون وصفاً لحياة جميع المؤمنين. إذا إحتار المؤمن بين طريقتين ولا يعرف أيهما أفضل، فإنه ينتبه إلى أي من هاتين الطريقتين أقرب إلى الهواء ويخالفها. يمكن أن تكون هذه النقطة الأخلاقية حلاً للعديد من التعقيدات الأخلاقية التي تظهر في حياتنا.

إن المؤمن في العلاقات الاجتماعية، كما يعرف صديقه ويهتم به ويساعده، فعليه أيضاً أن يعرف عدوه ولا يتجاهله. بعد بيان صفات المؤمن الحميدة الذي يتكلم عنه، ينصح الجميع بأن يكونوا مثله ويتمسكوا به ويؤكد أنه إذا لم تكن لديك القدرة على أن تكون مثله تماماً، فتعمل مثله قدر الإمكان. في هذه الرواية علّم المؤمنين درساً عظيماً في مجال التربية الأخلاقية الاجتماعية بعبارة قصيرة، ويمكننا المزيد من البيان والبحث حوله.

أظهر الإمام في سيرته العملية في مجال العلاقات الاجتماعية العديد من الفضائل الأخلاقية لدرجة أنه ينبغي اعتباره أسوة ونموذجاً للفضائل الأخلاقية خاصة في الكرامة والجلد.

«وروي أن غلاماً له جنى جناية توجب العقاب فأمر به أن يضرب فقال: يا مولاي «والعافين عن الناس» قال: عفوت عنك، قال: يا مولاي «والله يحب المحسنين» قال: أنت حر لوجه الله ولك ضعف ما كنت اعطيك». (٣٠)

وهناك أيضاً قصة ينقلها أنس بن مالك: «قال أنس: حيت جارية للحسن بن علي بطاقة رجحان

فقال لها: أنت حرة لوجه الله فقلت له في ذلك فقال: أدبنا الله تعالى: فقال الآية ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ وكان أحسن منها إعتاقها. (٣١)

تربية الأخلاق البيئية

عندما نتحدث عن الأخلاق، ففي النظرة الأولى لا يظهر مجال العلاقات الإنسانية بعضها مع البعض فحسب، ومن الطبيعي أن يتم التأكيد على هذا الأمر كثيراً في كلمات أهل البيت (عليهم السلام)، ولكن النقاط الأخلاقية في مجال علاقات الإنسان مع البيئة هي أيضاً كان من إهتمامات أهل البيت، وهذا الاهتمام الغزير من محاسن الشريعة المحمدية. لم يكتف الإمام المجتبي بالتأكيد على هذا الأمر فحسب، بل إنه أحياناً عندما رأى تصرفاً أخلاقياً جيداً من شخص ما في هذا الصدد، شجعه كثيراً وروج لهذه الشخصية الحسنة بهدايا عظيمة.

«روي عن الحسن بن علي أنه كان ماراً في بعض حيطان المدينة فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة ويطعم الكلب لقمة الى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته و لم تغابنه فيه بشيء؟ فقال: استحت عيناى من عينيه أن أغابنه، فقال له: غلام من أنت؟ قال: غلام أبان ابن عثمان، فقال له و الحائط؟ قال: لأبان بن عثمان. فقال له الحسن: أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك، فمرّ فاشترى الغلام و الحائط و جاء الى الغلام فقال: يا غلام قد اشتريتك، فقام قائماً فقال: السمع و الطاعة لله و لرسوله و لك يا مولاي، قال: و قد اشتريت الحائط و أنت حر لوجه الله و الحائط هبة مني إليك.» (٣٢)

أثار الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) الخير و حسن الخلق تجاه الكائنات الحية لدرجة أنها مثل البشر مخلوقات يجب احترامها، ومثلما يظهر الإنسان الحياء أمام الآخرين والاهتمام بالملابس احتراماً عليهم يجب في مواجهة الكائنات الحية أيضاً الحفاظ على هذا الإحترام.

«عن عاصم بن ضمرة قال كنت أسيرُ مع الحسن بن عليّ على شاطئ الفرات و ذلك بعد العصر و نحن صيام، قال و ماء الفرات يجري على رضراض و الماء صاف و نحن عطاش فقال الحسن بن عليّ: لو كان معي مئزر لدخلت الماء قلت إزارى أعطيكه، قال: فما تلبس أنت قلت أدخل كما أنا قال فذاك الذي أكره إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ للماء عوامر من الملائكة كعوامر البيوت استحيوهم و هابوهم، و أكرمهم إذا دخلتم عليهم الماء، فلا تدخلوا إلا بمئزر.» (٣٣)

النتيجة

في هذه المقالة، درسنا أولاً مفاهيم البحث ولا حظنا أن للتربية الأخلاقية ركيزتان أساسيتان. أولاً، الفضائل والرزائل الأخلاقية أي كل ما هو ضروري للإتصاف بها أو التجنب عنها حتى تصبح إنساناً أخلاقياً، والركن الثاني هو الطريق إلى تحقيق هذه الصفات الأخلاقية والإتصاف بها. وفقاً لمجالات العلاقات البشرية، قمنا بتقسيم التربية الأخلاقية إلى أربعة مجالات: تربية أخلاق العبودية، تربية الأخلاق الفردية، تربية الأخلاق الاجتماعية وتربية أخلاق البيئة. عند مطالعة تعاليم أهل البيت (عليهم السلام)، وخاصة الإمام الحسن المجتبى عليه آلاف التحية والثناء، لاحظنا أنه كان هناك إهتمام خاص بهذه الأنواع الأربعة من التربية الأخلاقية (وفي بعدين نظرية ومنهجية).

إن حياة الإمام الحسن المجتبى وكلامه مليئة بالنقاط الأخلاقية التي يمكن تقسيمها بناءً على هذا التصنيف العلمي، رغم أن هذا التقسيم والتفصيل كما رأيت لا يطبقان في أدب أهل البيت، وهو مجرد تصنيف علمي إنتشر اليوم وحاولنا صياغة محتوى تعاليم الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وفق المنهج العلمي الرائج. على الرغم من أن هذه الطريقة تساعد في الفهم العلمي لتعاليم أهل البيت، إلا أنها قد تفرض أيضاً فهماً خاصاً للأحاديث، الأمر الذي يتطلب المزيد من البحوث من قبل علماء الأخلاق وتحليلاً شاملاً لأحاديث الأئمة (عليهم السلام).

الهوامش

- ١- الخصال، ج ١، ص ٢٣٥.
- ٢- قنذاق سازان، ١٤٠١ ش.
- ٣- نهج البلاغة، ص ٤٨٣.
- ٤- بناري، ١٣٨٢ ش، ص ١٠.
- ٥- مجموعة الكتاب، ١٣٨٨ ش، ص ٢٢٥-٢٢٤.
- ٦- نفس المصدر.
- ٧- مطهري، ١٣٨٩ ش، ج ٢٢، ص ٥٥١.
- ٨- مجموعة الكتاب، ١٣٨٨ ش، ص ٢٨.
- ٩- بناري، ١٣٨٢ ش، ص ٣٢.
- ١٠- الزبيدي، ١٤١٤ ق، ج ٢٥، ص ٢٥٧.
- ١١- راغب إصفهاني، ١٣٨٥ ق، ص ٢٩٧.
- ١٢- نراقي، ١٣٦٨ ق، ج ١، ص ٣٤.
- ١٣- الطباطبائي، ١٤١٧ ق، ج ١، ص ٥٥٨.
- ١٤- المرجع نفسه، ص ٥٦١.
- ١٥- بناري، ١٣٧٩ ش، ص ١٧٢.
- ١٦- فيض الكاشاني، ١٣٩٩ ق، ص ٤٤.
- ١٧- باقري، ١٣٧٧ ش، ص ١١.
- ١٨- بناري، ١٣٨٢ ش، ص ٩.
- ١٩- المصدر السابق.
- ٢٠- بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١١٢.
- ٢١- نزهة الناظر و تنبيه الخاطر، ج ١، ص ٧٦.
- ٢٢- بور عيسى، ١٣٩٨ ش.
- ٢٣- القرآن الكريم، سورة العنكبوت، آية ٤٥.
- ٢٤- صحيفة الحسن، ص ٣٥٦.
- ٢٥- تحف العقول، ج ١، ص ٢٣٤.
- ٢٦- ميزان الحكمة، ج ٦، ص ٢٥٧.
- ٢٧- مسند الإمام المجتبي أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، ج ١، ص ٧٢٢.
- ٢٨- تحف العقول، ص ٢٣٣.
- ٢٩- مسند الإمام المجتبي أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، ج ١، ص ٥٤٦.
- ٣٠- بحار الأنوار - ط مؤسسة الوفاء، ج ٤٣، ص ٣٥٢.
- ٣١- بحار الأنوار - ط مؤسسة الوفاء، ج ٤٣، ص ٣٤٣.
- ٣٢- مسند الإمام المجتبي أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، ج ١، ص ٩٢.
- ٣٣- المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٩٧.

المصادر والمراجع

* أ. العربية:

* القرآن الكريم.

* ابن بابويه، محمد بن علي، ١٣٦٢ ش، «الخصال»، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

* ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، ١٤٠١ ق، «تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وسلم»، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية.

* قيومي إصفهاني، جواد، ١٣٧٥ ش، «صحيفه الحسن (عليه السلام)»، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

* الخلواني، حسين بن نصر، ١٤٠٨ ق، «نزهة الناظر و تنبيه الخاطر»، قم: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام).

* راغب اصفهاني، حسين بن محمد، ١٣٨٥ ش، «مفردات ألفاظ القرآن»، قم: طليعة النور.

* زبيدي، محمد بن محمد، ١٤١٤ ق، «تاج العروس من جواهر القاموس»، بيروت: دار الفكر.

* شريف الرضي، محمد بن الحسين، «نهج البلاغة»، مصحح: صبحي الصالح، نشر الهجرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ ق، دار الكتاب اللبناني.

* طباطبائي، سيد محمد حسين، ١٤١٧ ق، «الميزان في تفسير القرآن»، الطبعة الخامسة، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

* عطاردي، عزيز الله، ١٣٧٣ ش، «مسند الإمام المجتبي أبي محمد الحسن بن علي (عليه السلام)»، الطبعة الأولى، طهران: عطارد

* فيض الكاشاني، محسن، ١٣٩٩ ق، «الحقايق في محاسن الاخلاق»، بيروت: دار الكتب العربي.

* مجلسي، محمدباقر بن محمدتقي، ١٤٠٣ ق، «بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

(عليه السلام)، الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الوفاء.

* مجلسي، محمدباقر بن محمدتقي، ١٤٠٣ ق، «بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليه السلام)»، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، الطبعة الثالثة، بيروت: دار احياء التراث العربي.

* محمدي الريشهري، محمد، ١٣٨٦ ش، «ميزان الحكمة»، ترجمة: حميدرضا شيخي قم: دار الحديث.

* ب: الفارسية:

* باقرى، خسرو، ١٣٧٧ ش، «مبانى شيوهائى تربيت اخلاقى»، تهران: سازمان تبليغات اسلامى.

* بنارى، عليهمت، ١٣٧٩ ش، «تربيت اخلاقى و ضرورت نگاهى دوباره به آن»، پژوهش هاى تربيت اسلامى، شماره ٢.

* بنارى، على همت، ١٣٨٢ ش، «مأخذ شناسى تربيت اخلاقى»، قم: تربيت اسلامى

* پور عيسى، حميد، ١٣٩٨ ش، «تربيت اخلاقى از نگاه امام حسن مجتبي (عليه السلام)»، دومين همایش ملی پیشرفت های نوین در عرصه علم و فرا علم مدیریت، اقتصاد، علوم تربیتی، فلسفه، مشهد مقدس.

* قنذاق سازان، محمد حسين، ١٤٠١ ش، «عوامل تربيت اخلاقى در مدارس با تأکید بر آموزه هاى اسلامى»، پایان نامه کارشناسی ارشد مؤسسه اخلاق و تربيت قم.

* مجموعه نویسندگان، ١٣٨٨ ش، «تربيت دينى در جامعه اسلامى معاصر»، قم: مؤسسه آموزشى پژوهشى امام خيلى (عليه السلام).

* مطهرى، مرتضى ١٣٨٩ ش، «مجموعه آثار استاد شهيد مطهرى»، قم: صدرا.

الرمز في الصورة الشعرية في الأبيات الواردة
في كتاب صلح الحسن عليه السلام للشيخ مراضي آل ياسين



الباحثة زينب جميل عبد

ماجستير لغة عربية / أدب

ملخص البحث

يتناول البحث موضوع الرمز ودوره في بيان الصورة الشعرية والذي يعد رافداً من روافدها؛ كونه من الموضوعات المهمة التي شاعت في الساحة الأدبية قديماً، وباهتمام واسع في الدراسات الأدبية حديثاً؛ نتيجة أسباب، منها: التأثير بالأدب الغربي، أو لأسباب سياسية متعلقة بالتعبير عما يحول في خواطر الشعراء؛ ابتعاداً عن التصريح والذي يبعدهم عن ملاحقة السلطات، فهو يُعد الوسيلة لتحقيق الغايات الجمالية، وإدراك ما لا يمكن إدراكه بالوضوح والبيان، واشتمل البحث على مقدمة، وتعريف للرمز وكيفية استعماله، وبيان خصائصه، والصورة، وتعريفها عند القدماء والمحدثين، والتعرف على الرمز في الشعر الوارد في كتاب الصلح للشيخ آل ياسين.

Abstract

This academic paper investigates the importance of symbols in enhancing poetic imagery. Symbols have been a common theme in literature for a long time, both in classical and modern forms. They have achieved such prominence due to various factors, including the impact of Western literary influence or the use of symbols to express the thoughts of poets while avoiding direct statements, which keeps them distant from authorities.

Symbolism is seen as a means to achieve artistic goals and to understand what cannot be comprehended clearly and explicitly. This research paper includes an introduction, a definition of symbolism and its application, a description of its characteristics, an analysis of imagery and its definition according to ancient and contemporary scholars. Furthermore, it examines the use of symbolism in the book "Alsulh" by Sheikh Al-Yasin.

المقدمة

لاشك أن الشعر إدراك جمالي للواقع يصوره الشاعر بكلمات فتكشف ما بداخله من عوالم جديدة وتشكلها في بناء جمالي مواز لما يشعر به ، ولطالما انشغل الإنسان منذ لحظة وجوده الأولى بالجمال على مستوياته المختلفة، الجمال في الظاهر ، والجمال في الذات و الباطن أو الباطن وهو عند الشعراء ما يتولد من تآلف عناصر النص ، والتي تتحقق في التأويلات التي يعطيها النص والتي تخلق بدورها صور عدة، وبالتالي يخلق إيقاع التصوير احساسا بالحركة الشعرية ، تسهم في انسجام العمل ، من حيث تآلف كل عناصر الصورة لتحقيق العمل الفني وتماسكه و انسجامه وحيويته، والرمز بطبيعته يشكل عنصرا من عناصر التعبير الجمالي التي لا تطرح الفكرة مباشرة ، وإنما تخاطبها من وراء حجاب ، وقد اظهر الشعراء هذه الجمالية ، ووظفوها في أشعارهم ، لإغراض ومعاني في أنفسهم ، تُحمل رؤى وأفكار عامة ، أو خاصة ، هذه الرموز تعطي صور شعرية متنوعة ، كل يراها من منظوره الخاص ، فالصورة الشعرية برموزها يمكن عدها مشاركة وجدانية تفتح امام المتلقي آفاق ، فهي اداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التي يمارس من خلالها فاعليته ونشاطه، فالصورة تشكيل فني يقوم على وسائل متعددة تجمع بين الخيال والحقيقة الغرض منها التعبير عما في داخل المبدع من مشاعر ، وعواطف ، وانفعالات مختلفة ، وأفكار ، ومن ثم نقلها إلى المتلقي بما يخلق لديه المتعة والتأثير في تحقيق الغرض من تلك الصورة.

ولأهمية التشكيل الجمالي المتحقق عن طريق الرمز في الصورة ، أخذنا على عاتقنا دراسته في النصوص الشعرية الواردة في كتاب صلح الإمام الحسن عليه السلام للشيخ آل ياسين.

التعريف بالكتاب :

الكتاب من تأليف سماحة العلامة الشيخ راضي آل ياسين ، حققه السيد عبد الصاحب الموسوي ، عدد صفحات الكتاب (٧٥٥) ، الكتاب جامع لحقائق دينية علمية تاريخية ، فهو كما يقول عنه العلامة آية الله عبد الحسين شرف الدين عنه : «في موضوعه فصل الخطاب ، ومفصل الصواب ، والحد الفاصل بين الحق والباطل ، فالكتاب يخضع لفكر منظم مبدع حجة ، يصل وحدته بجداول دفاقة بالثراء العقلي ، والنقلي ، وبروافد غنية كل الغنى ، في كل

ما يرجع إلى الموضوع ، ويتم عليه عناصره القيمة ، فالأناقة فيه تخامر الإستيعاب والوضوح يلزم العمق ، والنقد التحليلي مرتكز هذه الخصائص»^(١)

التعريف بالمؤلف :

أسرة آل ياسين من أشرف الأسر العلمية الجليلة في الكاظمية ، نبغ فيها كثير من العلماء ، واشتهرت ب(آل ياسين) لانتسابهم لأحد أجدادهم ياسين ويرجع نسبهم إلى قبيلة الخزرج ، والحجة آل ياسين مجتهد كبير ومؤلف أفاد كثيراً منه في آرائه، توفي بمسقط في التاسع من رجب سنة (١٣٠٨ هـ) وفي وفاته ثلم الإسلام ثلثة ، دفن في مدينة النجف الأشرف ، يقول العلامة الأميني عن الشيخ راضي : «والشيخ راضي آل ياسين صاحب كتاب «صلح الإمام الحسن» الجامع لحقائق ودقائق دينية علمية تاريخية يعرب عن مبلغ مؤلفه من العلم ، وتضلعه من الفضائل وتقدمه في مضمار البيان ، وبراعته في التأليف ، ونبوغه في الأدب»^(٢)

الرمز في الصورة الشعرية ، أنواعه ودلالاته :

شكلت الرمزية نوعاً من أنواع المدارس الأدبية الثورية الكبرى ، التي أثرت في الأدب ، ومن جوانب عدة : منها المضمون ، وفي الشكل والمقاصد ، وقد عُدَّت نمطاً يقوم على الإيحاء ، ويعرف الرمز في أبسط تعريفاته :

«الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري مع اعتبار المعنى الظاهري المقصود ايضاً»^(٣)

يعني أن الرمز يتكون من بعدين ، أحدهما ظاهري ، والآخر حقيقي ، وللرمز في التراث اللغوي العربي تعريفات ، فهو عند ابن منظور :

(تصويت خفي باللسان كاهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة الصوت إنما هو إشارة بالشفيتين ، وقيل الرمز إشارة ، وإيحاء بالعينين ، والحاجبين ، والشفيتين ، أو الفم ، أو اليد ، أو اللسان)^(٤)

وقد أشار الجاحظ إلى لغة الإشارة أكثر من مرة في مؤلفيه الحيوان ، والبيان والتبيين .

«وأما الإشارة فقرب المفهوم منها رفع الحواجب وكسر الأجفان ، ولي الشفاه ، وقبض جلدة الوجه»^(٥)

وإذا عُدنا إلى الشعر الجاهلي المصدر الأول للقصيدة النموذج ، فعند قراءة مطالعها الطللية ،

تلك الوقفة الجمالية التي يكاد يشترك بها كل الشعراء والتي باتت تقليداً، يحمل في طياته مجموعة رموز شعرية، تمثل تجربة شخصية، في الوقت نفسه تحمل دلالات هموم الجماعة، فكل ماحكته المقدمات كانت رموزاً وإشارات، لمكونات داخلية نفسية، هذا ما أثبتته الباحثون في هذا الشأن. (نجد أن شعراء المعلقات قد اسقطوا الرموز والدلالات في مطالع قصائدهم لتعبر عن أشياء وموضوعات في شتى النواحي، فالمطر والريح وبقية العوامل الطبيعية هي عبارة عن رموز توظف في القصيدة؛ لتدل على شيء آخر إذ إن المطر يعد رمز الإفناء في اللوحة الطللية... في حالة هطوله بغزارة، والريح هي رمز آخر للدمار والهلاك والخراب والانتقام، والأمر لا يقتصر على ذلك، بل هناك الكثير من الرموز التي كانت متداولة عن الشعراء في ألفاظ عدة منها: الوشم، والنار، والأثافي، والرماد، والحجارة، والكتاب أو الكتابة، والنقوش، والحيوان، ويبدو أن الغاية الرئيسة من استخدام هذه الألفاظ كرموز لأشياء أخرى، فالظاهر أن الشعر الجاهلي معظم ألفاظه ذات دلالات رمزية، وسبب ذلك لا متلاكه ميزة مشتركة هي كثرة الدورات والاستكمال وعلى الرغم هذا توجد. ربما خاصيتها من خاصية بعض الألفاظ خالية من خاصية الدلالة الرمزية الشاعر نفسه)^(٦)

فعلى سبيل المثال نجد أن امرئ القيس قد أبدع في استخدام الإيحاءات والرموز، كقوله :

وليلٌ كموج البحر أرخى سدولهً على بأنواع الهموم

وطرفة بن العبد حين يقول :

خولة أطلالٍ ببرقة نهدم تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وفي الشعر الجاهلي نجد بنائية القصيدة مليئة بالرموز والدلالات الإيحائية الغامضة، التي يتمتع المتلقي في الغوص للبحث عن معانيها وسبر أغوارها. الرمز في النقد الغربي : يعود أصل الرمز إلى عصور قديمة، يقابلها مصطلح الرمز في الثقافة الغربية مصطلح Symbolism أو Symbolism EL وهي مفردة راسخة الدلالة في الثقافة الغربية قديماً،

وحديثاً



عرفت في الثقافة اليونانية، والإغريقية، وفي الديانة المسيحية، وفي الفكر الغربي الحديث في حقوله المعرفية المختلفة . حيث عرفت عند الفلاسفة ، وعلماء اللغة ، ولم تبعد دلالتها الأدبية الحديثة فمثلا كانت تعني قديما شيئا مايعني شيئا آخر^(٧)

يعرفه عز الدين إسماعيل (وليس الرمز إلا وجهها مقنعا من وجوه التعبير بالصورة)^(٨) والمتأمل في الشعر المعاصر يجد الظهور الواضح للرمز في شعر المهجريين ، وعند شعراء التفعيلة ، والذي أصبح ضرورة يوظفها شعراء تلك المدارس ومن تبع سلوكهم ، فاهتموا بتوظيفه ، وإغنائه خدمة لغاياتهم في بلوغ القدرة على التأثير في المتلقي ، مع خلق فضاءات تأويلية للنص ، مع تعميق المعنى الشعري ؛ لتجسيد جماليات الشكل الشعري ، فحين يوظف الرمز بشكل جمالي منسجم ، فإنه يسهم في الإرتقاء بالقصيدة مع عمق دلالاتها ، وبيان تأثيرها في المتلقي ، أما من حيث علاقة الرمز بالصورة ، تكمن الصورة في صميم الرمز ، تعتمد كل من الرمز والصورة على نوع من التشابه بين الصورة وماتمثله ، والرمز وما يوحي به .

«ولكن بينما تظل الصورة على قدر من الكثافة الحسية يبلغ الرمز درجة عالية من الذاتية و التجريد يصبح معها طبيعية منقطعة، مستقلة بذاتها ، وليس من علاقة بينه وبين الشيء المادي ، إلا بالنتائج»^(٩)

ولتوظيف الرمز في الصورة الشعرية سمات منها :

الإيحائية : ويراد بها تعدد المعاني ، والتي تنتج بدورها من الكثافة الشعورية والمعنوية التي يعبر عنها الرمز .

الإنفعالية التي يثيرها الرمز ، فهو لايلخص فكرة ، أو يعبر عن رأي ، ويعبر عن تجربة ، وإنما يكثف انفعال ويعبر عن تجربة .

(وعلى المبدع من ان يكون على وعي تام بماضي الرموز ، وميراثها الراسخ في الدلالة ، فيختار منها مايمكن شحنه بهوى شخصي ، ودلالة فردية خاصة ، بحيث تلتقي الدالتان (الدلالة المضافة / الدلالة الموروثة) في نقطة بالغة التوتر والخلخلة تجعل في النهاية مغزى جديداً يغتني بهما ، ويغنيهما في آن معا)^(١٠) ، يريد أن يقول على المبدع أن يجعل الصورة أكثر صلة بالدلالات الموحية ، والتي تستمد الصورة من مصادرها التاريخ أو الموروث وغيرها .



الصورة عند القدماء والمحدثين :

لقد حظيت الصورة بعناية واهتمام بالغين من قبل النقاد القدماء والمحدثين ، فهي من المصطلحات التي دار حولها كثير من الخلاف بينهم ، فيما عدّها بعضهم أنّها من (من المصطلحات الوافدة ، ليس لها جذور في النقد العربي) ^(١١)

(ومنهم من عدّها مصطلح عربي تراثي أصيل) ^(١٢)

وعند تتبع المفهوم وجدنا جذوره موجودة عند علمائنا ، أي أن أصلها عربي لكن ربما لم تكن بتلك التسمية الحديثة ، فقد أشار لها الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) بقوله :

«الشعراء امرء الكلام يصرفونه أنى شاءوا ، ويجوز لهم ما لا يجاوز لغيرهم من إطلاق المعنى ، وتقبيده ومن تصريف اللفظ وتقبيده فيقربون البعيد ويبعدون القريب ، ويحتج بهم وليحتج عليهم ، ويصورون الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل» ^(١٣).

وللجاحظ رؤية أخرى في الصورة يوردها في كتابه الحيوان ، فيقول : «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، وإنما الشعر صناعة و ضرب من النسيج وجنس من التصوير» ^(١٤)

كما تناولها ابن طباطبا وقدامة بن جعفر ، والجرجاني ، ولكل منهم وجه نظر ، ورؤية جاءت من خلال دراسات ، وملاحظات خاصة ، تناولها النقاد حديثا عربا وأجانب ، ومنهم :

مصطفى ناصيف حيث يعرفها بأنها :

«منهج فوق المنطق _ حقيقة الأشياء» ^(١٥)

ويصفها د. عناد غزوان بأنها :

«تعبير فني دقيق يعبر عن تجربة من التجارب بإسلوب يرتفع من الحقيقة إلى المجاز ولا يبالغ في الإتكاء المتطرف على المجازي ، أو الحقيقي ، وحقيقة تلوذ بالخيال بصورة عفوية غير مقحمة ، فالصورة مجاز وحقيقة تولد مصاحبة للحظة والإلهام» ^(١٦)

ولم يكن المصطلح يبعد عن الدراسات النقدية الغربية ، تناولها النقاد وتحدثوا عن أهميتها ، ومنهم دي لويس حين تحدث عنها قائلا : «إن كلمة الصورة قد تم استخدامها



كقوة غامضة ، ومع ذلك فإن الصورة ثابتة في كل القصائد ويتحدث استعمالها من خلال السنة الماضية، أو نحو ذلك كقوة غامضة ومع ذلك فإن الصورة ثابتة في كل القصائد وكل قصيدة هي بحد ذاتها صورة، فالإتجاهات تأتي وتذهب، الأسلوب يتغير كما يتغير نمط الوزن، حتى الموضوع الجوهرى يمكن أن يتغير بدون إدراك ولكن المجاز (الصورة) باق لمبدأ الحياة في القصيدة وكمقياس لمجد الشاعر»^(١٧).

أما بشأن استعمال الرمز في بيان الصورة الشعرية ، يكاد يتفق الشعراء في استعمال الرمز ، مع اختلافهم في كونه بسيط ومركب ، وعميق ، وقد اختلف الرمزيون في تشكيل صورهم ، فمنهم من عول على الصفات والسمات البشرية ، فراح يبحث في أعماقها ، وإبعادها ، متخذاً من الإيحاء وسيلة للكشف عن سماتها ، وقد اتسع الحديث عن الرمز في الدراسات الأدبية ، وسعياً لتحقيق هذا الهدف وظف الشاعر ظاهرة التشبيه والاستعارة ؛لتصوير حالات تجريدية لا تملك اللغة المباشرة القوة على الوفاء بها.

قسم الدارسون الرمز على مستويات هما :



١- الرمز الجزئي والرمز الكلي، ويقصد بالجزئي (هو أسلوب فني تكتسب فيه الكلمة المفردة أو الصورة الجزئية التي تترأى في شتى أنواع البيان قيمة رمزية من خلال ما ترمز إليه ، فيؤدي ذلك إلى إيحاءها ، وإثارتها كثيراً من المعاني الخفية ، وهو يقوم على الإيحاءات التي تبثها الصور الجزئية ، المرتبطة بإحداث تاريخية أو سياسية ، أو أماكن ذات مدلول شعوري ، كما في قول الإمام الحسن حين ينظر إلى الكوفة مودعاً إياها فيقول :

وَلَا عَنْ قَلِيٍّ فَارَقْتُ دَارَ مَعَاشِرِي هُمُ الْمَانِعُونَ حَوَازِي وَذِمَارِي^(١٨)

ينتقل النص بدلالة يجعلها أكثر فاعلية للتعبير عن الحدث أو الموقف الذي أثر في نفس الإمام ، وماتركه هذا التوديع ، الذي يشير فيه إلى الأوفياء المانعين الحوزة والذمار ، فكانوا أخوان الصدق على قتلهم ، هذا الرمز الجزئي المتمثل بالكوفة يث إيحاءات عدة ، مرتبطة بخروج الإمام مرغماً منها ، إلى مدينة جده ، بعد صلحه مع معاوية ، ويحمل عدة تأويلات لدى المتلقي، في سياق آخر يورد لفظة (سقيفة) التي تدل في ظاهر دلالتها على حادثة إنتخاب خليفة لرسول الله ﷺ لكنها في الحقيقة ترمز إلى الإنهيار الذي أصاب الدولة



بنقضهم للعهد مع رسول الله بالخلافة لعلي عليه السلام، كما جاء في وقعة الغدير فيقول :

وتوالت تحت السقيفة أحـ داثٌ أثارت كوامناً وميولاً

نزعاتٌ تفرقت كغصونٍ الـ عوسج الغض شائكاً مذحولاً^(١٩)

حقق النص صور متوالية جسدت رمزية للظلم، والخراب من خلال الأحداث التي تلت بيعة السقيفة التي ماتزال ترمي بظلالها على الأمة الإسلامية، هذه المفردة، أو الرمز الجزئي، الذي بات رمزاً خالداً راسخاً للظلم وسلب الحقوق، فالشاعر على درجة من النضج بحيث جعل نصه يفيض بالتشبيهات الدالة على ما أراد بثه للمتلقي من إشارات ؛ ليكون بدوره صور ضاغطة باتجاه علاقة الشاعر بالواقع وما تركته تلك السقيفة من أحداث متوالية، (فالأحداث التاريخية ليست ظواهر عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، بل لها دلالات شمولية باقية على امتداد التاريخ في صيغ وأشكال أخرى، حتى بعد انتهاء وجودها الواقعي، تبقى صالحة لعدة تأويلات وتفسيرات^(٢٠))

كقول الشاعر في مدح أمير المؤمنين :

تزاحم تيجان الملوك ببابه لأن علياً ملكها وإمامها

وتهوى على أعتابه لاستلامها ويكثر عند الإستلام إزدحامها

إذا مرأته من بعيد ترجلت له وغدا مثل الركوع قيامها^(٢١)

البيت الأول هو المعول عليه في النص، وهو بيت القصيد الذي تدور حوله طائفة النزاع، والاختلاف بين الموالين، والمخالفين، تبرز الصورة المتكونة من جزئيات وكل جزء بدوره صورة، مع استدعاء عناصر الرفعة (ملوك، تيجان، أمام، تزاحم) هذه كلها إحياءات جاء بها الشاعر ورغم دلالاتها التي لا يكاد يختلف عليها اثنان، فهي صورة انتقائية، فالمتلقي لا ينظر إلى الناحية الدلالية التي تبثها، بل إلى الناحية النفسية للشاعر، إذ يمكن عدّها رسالة للمتلقي ليفصح عما تحمل نفسه من ميول، واعجاب بشخص الإمام علي عليه السلام

ويشيد بنسب الإمام الحسن قائلاً:

نسبٌ أضاء عموده في رفعة كالصبح فيه ترفعٌ وضياءٌ

وشمائلٌ شهد العداة بفضلها والفضلُ ما شهدت به الأعداء^(٢٢)

يكون الشاعر رموزه من خلال تشبيه نسب الإمام بالصبح ، باستعارة لوازمه من الترفع والضياء ، ويستعير لذلك النسب الإضاءة، والنسب لا يضيء بالحقيقة، لكن كرامه النسب وما لها هي واضحة كضياء الصباح وأشار لذلك بكلمة عمود ، التي تأتي مع ظهور الصباح ويقال عمود الصباح ، فقد اشتبك المادي بالمعنوي في الوقت نفسه يُلاحظ الإتساق الصوتي المنظم المتأني تكرار الهمزة المسبوبة بحرف المدي :

(ضياء _ أعداء) ، تشير هذه الأبيات إلى تناغمات بين الألفاظ ، والأصوات ،

ففي قول الإمام الحسن (عليه السلام) في سعيد بن قيس الهمداني ؛ لما له من مواقف مشهودة ، ومحمودة في مواطن كثيرة فقال (عليه السلام) :

يُقودُهُمْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مَا جِدُّ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ مُحَامٍ

حقق البيت تناغماً جميلاً ، وتساوقاً هادئاً في التطابق بين الألفاظ وحركاتها ، فقد عمل على تقديم ماحقه التأخير وبالعكس ، ففي سبيل الإيحاء يحاول التخلص من الجمل المرتبة بحسب قواعدها النحوية ، فحذفوا الفواصل من التشبيه ، وقدم الصفة على الموصوف ؛ ليحقق إيحاءاً تحث المتلقي على وضع تأويلات لذلك النص ،

ونجد الشاعر يكسر قواعد اللغة المألوفة من خلال ولوجه في عالم ترأسل الحواس ، والذي يرى بدوره أن الحواس تستطيع ان تولد وقعا نفسيا موحدا كما في قوله :

لَقَدْ جَدَعْتُ أَذْنًا وَأَنْوَفًا غَدَاةً فُجِعْنَا بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وقول الشريف الرضي :

أَلَا لَيْسَ فَعْلُ الْآخِرِينَ وَإِنْ عَلَا عَلَى قَبْحِ فَعْلِ الْأَوَّلِينَ بَزَائِدُ (٢٣)

نجد في قول الرضي للكلمة قيمة رمزية من خلال تفاعلها مع مآثر رمز إليه ، فيؤدي إلى إيحاءها ، وإثارتها لمعاني عميقة ، وتذكير بمواقف تنسجم مع مآثر رمز إليه ، إذ شحنت هذه الأبيات بتأويلات ، ودلالات ، قديمة وحديثة ، ما يزال المتلقي يستوحي منها الصور المترابطة ، (فحين يوظف الشاعر _الرمز_ فإنه بذلك يعتمد على شيئين أساسيين هما : الحدس والإسقاط ، إذ بالحدس يصل القاريء إلى الوتر المشترك ومعقد الالتقاء ، وبالإسقاط يخرج إلى الدلالة المحتملة) (٢٤)

ولهذا الأنصارية ترثي حُجْر بن عدي :

ترفع أيها القمر المنيرُ لعلك أن ترى حُجرا يسيرُ
تجبرت الجابرة بعد حُجرٍ وطاب لها الخورنق والسديرُ
واصبحت البلادُ له محولا كأن لم يُحيها مُزنٌ مطيرُ
فإن تهلك فكلُّ عميدٍ قومٍ من الدنيا إلى هلكٍ يصيرُ^(٢٥)

إن تتبع المفردات نجدتها تحمل إيجاءات رمزية ، تكاد تكون رامية إلى حقول دلالية تحمل رؤية الشاعر الإيجابية لشخص حُجر ، ونظرته المأساوية لمصيره ، فيحمل النص تدفقاً وسيلاً من المفردات الرامية ، التي تستعين بالتشبيه بالقمر المنير ، ووصف حال البلاد وما آلت إليه أوضاعها وأحوالها ، ثم أن النداء ب(أيها) إنما هو تعبير داخلي ، هو نجوى لشخص حُجر يتسم بالهدوء من لدن الراثي ، وهذا ما يتفق مع البيت الأخير الذي عرض فيه الشاعر صورة من صور مصير الإنسان المحتوم حيث جاء الوعظ بقبول المصير بهدوء وقبول ، وقول الحميري :

أتى حسناً والحسين الرسولُ وقد برزا ضحوةً يلعانُ
فَضَمَّهُمَا وَتَفَدَّاهُمَا وَكَانَا لَدَيْهِ بِذَاكَ الْمَكَانِ
وَمَرُّوا وَتَحْتَهُمَا عَاتِقَاهُ فَنِعِمَّ الْمَطِيَةُ وَالرَّاكِبَانِ^(٢٦)

٢- الرمز الكلي أو المركب :

(وهو الفكرة المطلقة أو المعنى الاساسي ، أو المحور الذي تدور حوله كل الصور الأدبية ، على أن تكون تلك الفكرة هي التي تنظم كل الصور الجزئية ، التي تتأثر في النص ، ومهما تناثرت فروعها ، فهناك قوة تربط بينها برباط وثيق ينبع من التجربة الشعرية) ^(٢٧) كما في قول الشاعر ذاكرا اوصاف الإمام الحسن فيقول :

مادب في بطن الأوهام من حسنٍ إلا وكان له الحظُّ الخُصُوصي
كأن جبهته من تحت طُرته بدر يتوجه الليل البهيمي

فالفكرة الرئيسة التي تدور حولها أبيات الوصف ، هي التي جعلت الالفاظ تنتظم ، (كان له الحظ ، كأن جبهته ، بدر يتوجه الليل) وترتبط برباط القوة الشعرية التي تنبع من نفسية الشاعر ، وقول عمرو بن العاص يلوم معاوية على إطلاق سراح عبد الله بن هاشم

أمرأ عازماً فَعَصَيْتَنِي وَكَانَ مِنَ التَّوْفِيقِ قَتْلُ ابْنِ هَاشِمٍ
أَلَيْسَ أَبُوهُ يَامَعَاوِيَةُ الَّذِي أَعَانَ عَلَيَّ يَوْمَ حَزِّ الْغَلَاصِمِ ؟
فَلَمْ يَنْتَهِ حَتَّى جَرَّتْ مِنْ دِمَائِنَا بَصْفِينَ أَمْثَالَ الْبُحُورِ الْخَضَارِمِ
وَهَذَا ابْنُهُ وَالْمَرْءُ يَشْبُهُ شَيْخَهُ وَيُوشِكُ أَنْ تَرَعَ بِهِ سِنَّ نَادِمٍ^(٢٨)

توسع الشاعر في هدم العلاقات اللغوية ؛ خدمة للإيحاء والرمز ، فقدّم ، وآخر ، واختصر ، وحذف ، غير مكترث بأي التزام ، المهم عنده الإيحاء بالتجربة الشعورية ، ونقل ظلالها ومناخاتها بعلى الرغم من أن الشاعر أكتفى بترديد الشائع والمتداول من أخبار الحرب الدائرة ضد آل البيت ، والإمام الحسن خصوصاً فانطبعت الأبيات بطابع النمطية والتقليد ، لكن نرى تآزر الصور مع الأصوات والإيقاعات ؛ لتوحي بتلائم الموسيقى مع الصورة ، بحيث صار كل بيت يمثل صورة صغيرة ، تتألف بمجموعها في بناء صوري متكامل تنبع قيمته الإيحائية من الإيقاع ، والاسلوب معاً ، يرى بعضهم أن اللجوء إلى الرمز في بيان الصورة الشعرية كان (بدافع التخلص من الغنائية الفردية ، والإنفعالية وتحويل التجربة الذاتية إلى تجربة كيانية إنسانية شاملة)^(٢٩)

وبذلك يكون الرمز أفضل وسيلة للتعبير ، فيتوحد الرمز الجزئي ، والكلي ، والحسي ، والمجرد ، وترتبط التجارب الحالية للشاعر بالتجارب الحية في التاريخ ، وبذلك تحمل تجربة الشاعر الخاصة ، المعبرة عن تجربة إنسانية ، فقد رثى الصقر البصري الإمام الحسن ، محشدا المفردات والصور ؛ لتثبت قدرته على تجسيد تجربته ليجعلها تجربة كيانية هذه المفردات الرمزية ليست تراكمية بل متباعدة مزجها الشاعر ليعبر عن صورة ماتزال ماثلة ، ترمي بتأنيدها في المجتمع الإسلامي الشيعي خصوصاً ، وقد حظيت هذه الحادثة بالاهتمام والدراسة ، فيقول :

وَيَوْمَ الْحَسَنِ الْهَادِي عَلَى بَغْلِكَ أَسْرَعْتُ
وَمَا يَسْتِ وَمَا نَعْتُ وَخَاصَمْتُ وَقَاتَلْتُ
وَفِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ بِالظُّلَمِ تَحَكَّمْتُ
هَلِ الزَّوْجَةُ أَوْلَى بِالْمَوَا رِيثٍ مِنَ الْبَنَاتِ
لَكَ التَّسْعُ مِنَ الثَّمَنِ فَبِالْكُلِّ تَحَكَّمْتُ
تَجَمَّلْتُ تَبَغَّلْتُ وَلَوْ عَشْتُ تَقَيَّلْتُ^(٣٠)

على الرغم مما في الصورة من نقل حرفي للواقع ، والتي تطرقت إلى حوادث تاريخية كان لزوج الرسول عائشة دور كبير فيها ، لكن ذلك لم يحل دون تحقيق النجاح الفني الذي يصبو إليه الشاعر لما تحمله الصورة من دلالات وإيحاءات ، وظلال لم تتضح من الوهلة الأولى ، فعمد الشاعر إلى بث صور متعددة موحية ،

الإيحائية التي هي أحد سمات الرمز اثبتت أن له دلالات متعددة ، ولا يجوز أن يحصر بدلالة واحدة ، وإن كان كذلك لكنه لا يمنع من تصدر إحدى الدلالات وتنبثق بعده صور ، ففي الأبيات أعلاه كل بيت يعطي صورة من صور المجتمع في عهد رسول الله ومابعده ، والتي يوحى بها الشاعر إلى تلك الأحداث ،

وجدنا من خلال قراءة ديوان آل ياسين أنه لم يستعمل الرمز لإبراز صورته الشعرية ، كما استعمله الرمزيون من استعمال الأسطورة ، والغموض ، أو استعمال الرموز التراثية ، لكن جاءت الرمزية عنده بطريقة تقترب من الإيحاء ، والتدليل ، بعيدة من المباشرة ؛ ليحقق الجمالية والمتعة الفكرية والشعرية ، تارك الحكم على نصوصه ، فالشعراء في خطابهم استطاعوا الدخول إلى عوالم رفدت النصوص بقيم جمالية بعدتهم عن الوقوع في بؤر المباشرة والتقريبية التي تفقد النصوص قيمها الجمالية ، في الوقت نفسه لا بد من أن نشير إلى أن الشاعر كان واضحا في صوره ؛ لذا يتمكن المتلقي من بيان مقاصد الشاعر .

- ١- صلح الإمام الحسن ، المقدمة .
- ٢- الصلح ، المقدمة .
- ٣- فن الشعر ، إحسان عباس ، ص ٢٣٨ .
- ٤- ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة رمز ، دار صادر ، بيروت ، ص ٣٥٦ .
- ٥- ينظر : الحيوان ، الجاحظ ، ص ٤٨ .
- ٦- ينظر : بنائية الأطلال ودلالاتها الرمزية والإيحائية د. صفاء القيسي ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، العدد ١٧ ، ٢٠١٧ ، ص ٢٥-٢٧ .
- ٧- الرمز والرمزية في الشعر لعربي المعاصر ، أحمد محمد الفتوح ، ص ٣٤ .
- ٨- ينظر : الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره ، عز الدين اسماعيل ، ص ١٩٥ .
- ٩- الرمز والقناع في الشعر العربي ، محمد علي كندي ، ص ٣٨ .
- ١٠- ينظر : في حداثة النص الشعري ، د. علي العلاق ، ص ٦٠ .
- ١١- ينظر : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، نصرت عبد الرحمن : ص ٨ .
- ١٢- ينظر : الصورة الشعرية ، مجيد عبد الحميد ، بحث منشور في مجلة أفلام ، ص ٩ .
- ١٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، القرطاجني : ص ١٤٤ .
- ١٤- الحيوان ، الجاحظ : ٣/ ١٣٢ .
- ١٥- الصورة الأدبية ، مصطفى ناصيف : ص ٨ .
- ١٦- زاوية لقاءات أفاق عربية في حوار مع عناد غزوان ، مجلة آفاق عربية ، ص ١١٦-١١٧ .
- ١٧- الصورة الشعرية ، ديسي لويس ، ص ٢٠ .
- ١٨- الصلح ، ص ٤٣٠ .
- ١٩- المصدر نفسه ، ص ٨٩ .
- ٢٠- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، علي عشري زايد ، ص ١٢٠ .
- ٢١- المصدر نفسه ، ص ١٧ .
- ٢٢- المصدر نفسه ، ص ٣٣٦ .
- ٢٣- المصدر نفسه ، ص ٨٨ .
- ٢٤- ينظر : الصورة الأدبية ، مصطفى ناصيف ، ص ١٧٢ .
- ٢٥- الصلح ، ص ٤٨٠ .
- ٢٦- المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ .
- ٢٧- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، ص ١٩ .
- ٢٨- الصلح ، ص ٥٠٤ .
- ٢٩- ينظر : مصطفى ناصيف ، الصورة الأدبية ، ص ١٨١ .
- ٣٠- الصلح ، ص ٨٠ .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، على عشري زايد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

* الحيوان ، أبو بحر عمرو الجاحظ (ت ٢٥٠هـ) وضع حواشيه ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧١ ، د.ط.

* الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر ، أحمد فتوح ، دار المعارف ، مصر ، د.ت ، د.ط.

* الرمز والقناع في الشعر العربي ، محمد على كندي ، دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ط ١ .

* الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره ، عز الدين اسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، د.ت ، ط ٣

* صلح الأمام الحسن عليه السلام ، العلامة الشيخ راضي آل ياسين ، حققه : الشيخ عبد الصاحب الموسوي ، منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٣٩٣

* الصورة الأدبية ، مصطفى ناصيف ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ط ٣ .

* الصورة الشعرية ، دي سي لويس ، تر: أحمد ناصيف وآخرون ، منشورات وزارة الثقافة

والإعلام ، بغداد ، د.ت.

* الصورة الشعرية ، دي سي لويس ، تر: أحمد ناصيف وآخرون ، منشورات الثقافة والإعلام ، بغداد ، د.ت .

* ٩- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الاقصى ، عمان ١٩٧٦ .

* فن الشعر ، إحسان عباس ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٥ ، pdf

* في حداثة النص الشعري ، على العلاق ، دار الشروق ، ٢٠٠٣ ، pdf .

* لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت pdf .

* منهج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، لبنان ، ط ٣ ، pdf .

* الدوريات :

* بنائية الأطلال ودلالاتها الرمزية والإيحائية ، د. صفاء العيسى ، مجلة حوليات التراث ، جامعة مستغانم ، العدد ٢٠١٧ ، ١٧ .

* زاوية لقاءات ، في حوار مع عناد غزوان ، مجلة آفاق عربية ، pdf .

عقيدة الإمامة في خطاب الإمام الحسن المجتبي عليه السلام



السيد يوسف البيومي الرضوي

لبنان

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد

إنما نحمد الله ونصلي على نبيه محمد وآله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ويمكننا القول أن الأئمة من النبي محمد (عليهم السلام أجمعين) لديهم المعرفة الكاملة بجميع النتائج والحقائق والأفعال والسياسات التي تجري على أرض الواقع. ويجب أن يعلم الجميع أن الكشف عن نتائج جميع الأقوال والأفعال والسياسات وكمياتها ومواصفاتها أمر في غاية الأهمية؛ لأنها تساعد في أخذ الدروس في تخطيط السياسات، وفي وضع الخطط لتطبيق ما يمكن عمله منها، وما تتجه في الحياة الواقعية.

ومن الواضح أن الإمام الحسن المجتبي ﷺ كان يعيش في زمن يشكل نقطة تحول في التاريخ الإسلامي؛ حيث أن الجهة المقابلة من الأعداء ضد أئمة أهل بيت النبي (عليهم السلام أجمعين) كانت تمارس سياسات ضارة لتدمير المجتمع الإسلامي والإسلام في آن واحد. ويمكن تعريف هذه السياسات بأنها تضليل وإهلاء للمسلمين لإبعادهم عن أحد الأمرين الثقيلين اللذين أكد عليهما النبي محمد ﷺ قبل وفاته. لأن اليد الأخرى هي أفراد بيته.

وهذا ما جعل الإمام الحسن المجتبي يقف ضد هذه السياسات التشيتية التي أعلنها (آل أمية)، ومن أهم ما دافع عنه الإمام الحسن ﷺ الأمور المتعلقة بالعقائد والمعتقدات الموجودة؛ لما فيه خير المسلمين ونفعهم ويظهر فضائل أهل بيته. وإذا ضل الناس الطريق إلى خالقهم فإن ذلك سيدفع المجتمع الإسلامي ويذوب في العقائد الباطلة بفعل هذه المغالطات. وفي هذا البحث الذي بين يدي القارئ العزيز تظهر السياسات التي وضعها الإمام الحسن ﷺ:

الفصل الأول: في بيان فضائل آل محمد ﷺ كما عرض الإمام الحسن ﷺ.

الفصل الثاني: وفي هذا الجزء من البحث تحدث عن فضائل الإمام علي ﷺ كما بينها الإمام الحسن ﷺ في كلامه. ومن ناحية أخرى يلاحظ الباحث أن التفسيرات التي حصلنا عليها من ذلك الخطاب لم تتناوله من جميع جوانبه. ويجد كل باحث مدى عجزه عن إيجاد جميع المضامين والمعاني والمقاصد الموجودة في كلمة أهل البيت والوصول إلى محتواها الإجمالي أو التفصيلي.



وفي النهاية أسأل الله العظيم والإمام الحسن عليه السلام أن يتقبل من كرمائهم هذا العمل
القليل، وأرجو أن ينال بحثي القبول من القارئ. كما أود أن أشكر من أتاح لي هذه الفرصة
 للمشاركة في هذا المؤتمر الذي يسلط الضوء على الدور العظيم للإمام الحسن عليه السلام وفكره
ومبادئه وسياساته، وأتمنى من القائمين علي هذا المؤتمر كل التوفيق، آملي أن يتقبل الله
جهودهم وإلى مزيد من التقدم.



Abstract

The descendants of the Prophet Muhammad (peace be upon them all) possess a comprehensive understanding of all real-world outcomes, realities, actions, and policies. It is essential for everyone to appreciate the importance of revealing the outcomes of all words, actions, policies, their quantities, and specifications. This knowledge gives lessons for policy planning, formulating feasible action plans, and comprehending the real-life consequences of such policies.

During a pivotal era in Islamic history, when the opposing faction of enemies against the Imams of Ahl al-bayt (peace be upon them all) employed harmful policies to destroy both the Islamic society and Islam in one fell swoop, Imam Hassan (peace be upon him) lived. These policies can be characterized as a deliberate attempt to misguide and divert Muslims away from either of the two crucial issues that Prophet Muhammad (peace be upon him and his pure progeny) strongly recommended before his death.

In response to the destructive policies implemented by the Umayyad dynasty, Imam Hassan (peace be upon him) resolutely opposed these divisive tactics. Among the most critical issues he defended were the established beliefs and doctrines, ensuring the welfare of the Muslims, upholding the virtues of Ahl al-bayt, and safeguarding the community from losing their connection with their Creator. If the people lost the path of righteousness, this would inevitably lead to the decline of Islamic society and its susceptibility to false ideologies due to these misleading practices.



This study is comprised of two chapters: the first chapter deals with the virtues of Ahlulbayt as presented by Imam Hassan (p.b.u.h.) whereas the second chapter addresses Imam Ali's (p.b.u.h.) virtues as mentioned in Imam Hassan's words. However, the researcher observes that the interpretations obtained from that discourse did not encompass all its aspects. Each researcher finds himself unable to uncover all the content, meanings, and objectives in the words of the Ahlulbayt and to fully comprehend its overall or detailed essence.



المقدمة

الخطاب الديني في المسائل العقائدية خاصة يحتاج إلى أدلة دامغة وطريقة مميزة لإيصال هذه الأفكار للمستمع أو القارئ كي لا يغشاه الشك في صحة ما يقال وقد استخدم الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبته هذه عباراته بطريقة مميزة وجذابة، مفعمة بالعاطفة ومدعمة بالأدلة والبراهين من كتاب الله وأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن سيرته وأخيه الإمام الحسين (عليه السلام)؛ لكي يضع الأمور في موازينها الصحيحة وحتى يدفع بالمستمع لمراجعة تلك الأدلة والأحاديث والحوادث التي شهدها بعض وسمعا بشكل مباشر، وهم ما زالوا قرييين من عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومنهم من حفظ تلك الآيات والأحاديث وتناقلوها من جيل إلى آخر حتى وصلت إلى عصرنا هذا.

والهدف من الاستدلال بها هو أن يضع الجميع إمام مسؤوليتهم بعد اثبات حقه ومكانته من دين الله، وصلته برسول الله (صلى الله عليه وآله) مستخدماً قدراته الخطابية - وهو ابن خير من نطق بالضاد - ومدعماً كلامه بالحجج الدامغة التي لا يستطيع أحد ردها أو الاعتراض عليها.

فبكللماته هذه أراد أن يعصم الناس من الوقوع في الزلل والخطأ بإرجاعهم إلى جادة الحق والصواب، مستخدماً الطريقة السردية والتي سرد فيها هذه الأدلة والبراهين ليؤكد وجوب اتباعهم فهم «أولى الناس بالناس» كما عبر عن ذلك بنفسه (عليه السلام).

وهذه البلاغة المعجزة لا يستطيع أحد من المخلوقات مجاراتهم بها، فقد جاء على لسان أمير الكلام علي بن أبي طالب (عليه السلام): «أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلَا يُمَهِّلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنْشَبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ»^(١).

هذا يدل على أن الأئمة (عليهم السلام) يؤيدون من الله بالدليل والحجة، وأشربوا العلم وتلقفوه كابر عن كابر، وتمرسوه في العديد من المناسبات، وهم أهل بيت قد زقوا العلم زقا. هذا باعتراف أعدائهم وشأنئهم قبل محبيهم وشيعتهم. وليس لأحد من وسيلة يستطيع الرد عليهم، وهذا ما سنأتي على ذكره فيما سيأتي خلال البحث في أجزاء هذه الخطبة العصماء المباركة، والتي أتحفنا بها الإمام الحسن (عليه السلام) لا لتكون حجة على أهل زمانه فقط بل هي حجة على كل الآتين فيما بعد لما تضمنتها من دلائل وبراهين.

ويجب لفت نظر القارئ الكريم إلى أنني سأقوم بعرض أهم النقاط التي سردها الإمام

الحسن عليه السلام حيث أن الخطبة الشريفة تعج بالادلة الكثيرة التي ساقها الإمام عليه السلام. ولا يمكن لنا في هذا المقام ونحن نسعى للاختصار أن نضيء كامل جوانبها؛ لأن طبيعة البحث لا تسمح بذلك، فهو محصور في إظهار اللطائف العقائدية بشكل مجمل، ولكن دون الانتقاص من حق الأدلة. سنبحث هذه الأدلة على نحو الاجمال حيناً، ونفصل غيرها حيناً آخر، كما يقتضيه واقع الحال؛ لأن بعضها لا يمكن اختصاره والمروء عليه مرور الكرام، بل لا بد من تحصيلها؛ لأهميتها وشمولها حيث أنني أهدف للإشارة إلى بعض المعاني العقائدية التي اشتملت عليها، فإلى طياتها المبدعة نتقل سائلين المولى عز وجل التوفيق.. وهذا نص الخطبة التي تعد قمة في الدلالة والاحتجاج قبل أن نقدم على تفصيلها على محورين:

المبحث الأول: فضائل أهل بيت النبوة عليهم السلام.

المبحث الثاني: خصائص أمير المؤمنين في كلام الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

خطبة عصاء:

قال عليه السلام بعد الحمد والثناء، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله: «نحن أهل بيت أكرمنا الله واختارنا، واصطفانا، وأذهب عنا الرجس، وطهرنا تطهيراً، ولم يفترق الناس فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما من آدم إلى جدي محمد صلى الله عليه وآله فلما بعثه للنبوة، واختاره للرسالة، وأنزل عليه كتابه، فكان أبي أول من آمن، وصدق الله ورسوله، وقد قال الله في كتابه المنزل على نبيه المرسل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾» (٢).

وقد قال له جدي صلى الله عليه وآله حين أمره أن يسير إلى مكة في موسم الحج بسورة براءة: سر بها يا علي، فإني أمرت أن لا يسير بها إلا أنا أو رجل مني وأنت فأبي من جدي، وجدي من الله. وقال له جدي صلى الله عليه وآله حين قضى بينه وبين أخيه جعفر، ومولاه زيد ابن حارثة في ابنة عمه حمزة: أما أنت يا علي فمني، وأنا منك، وأنت ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي.

فلم يزل أبي وقى جدي بنفسه، وفي كل موطن يقدمه جدي لكل شدة، يرسله ثقة منه وطمأنينة إليه، وقال الله جل شأنه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٣).

فكان أبي سابق السابقين وأقرب المقربين إلى الله وإلى رسوله، وذلك أنه لم يسبقه إلى الإيمان أحد غير خديجة عليها السلام فكما أن الله عز وجل فضل السابقين على المتأخرين،

فضل سابق السابقين، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (٤)

نزلت هذه الآية في أبي، وكان حمزة وجعفر قد قُتلا شهيدين في قتلى كثير من الصحابة، فجعل الله حمزة سيد الشهداء من بينهم، وجعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة كيف يشاء من بينهم؛ وذلك لقربتهما من جدي (عليه السلام)، وصلى جدي على عمه حمزة سبعين صلاة من بين الشهداء يوم أحد، وكذلك جعل الله تعالى لنساء نبيه المحسنة منهن أجريين، وللمسيئة منهن وزرين ضعفين لكانهن من جدي.

وجعل الله الصلاة في مسجد نبيه بألف صلاة من بين سائر المساجد إلا المسجد الحرام لمكان رسول الله (عليه السلام)، فلما نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. (٥)

قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك؟

فقال: قولوا: «اللهم صل على محمد وآل محمد».

فحق على كل مسلم أن يصلي علينا مع الصلاة على جدي فريضة واجبة، وأحل الله خمس الغنيمة لرسوله وأوجبها في كتابه، وأوجب لنا من ذلك ما أوجب له، وحرم عليه الصدقة وحرمها علينا، نزهنا عما نزهه وطيب لنا ما طيب له، كرامة أكرمنا الله بها، وفضيلة فضلنا على سائر عباد.

وقال تعالى لجدي حين جحدته كفره أهل الكتاب وحاجوه: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. (٦)

فأخرج جدي معه من الأنفس أبي، ومن البنين أنا وأخي الحسين، ومن النساء أمي فاطمة، فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه وهو منا، وقد قال الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (٧)

فلما نزلت هذه جمعنا جدي: وأخي وأمي وأبي ونفسه في كساء خيبري في حجرة أم سلمة (رضي الله عنها).

فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطيرا.

فقال أم سلمة أنا أدخل معهم يا رسول الله؟

فقال: قفى مكانك، يرحمك الله أنت على خير، وأنها خاصة لي ولهم.

ولما نزلت: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٨).

يأتينا جدي كل يوم عند طلوع الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت يرحمكم الله، و﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٩).

وأمر بسد الأبواب في مسجده غير بابنا فكلّموه في ذلك فقال: إني لم أسد أبوابكم ولم أفتح باب علي من تلقاء نفسي، ولكن أتبع ما أوحى إلي، إن الله أمرني بسد أبوابكم وفتح باب علي، وقد سمعت هذه الأمة جدي يقول: «ما ولت أمة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل يذهب أمرهم سفلاً حتى يرجعوا إلى ما تركوه».

وسمعه يقول لأبي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

وقد رأوه وسمعه حين أخذ بيد أبي (بغدير) خم، وقال لهم: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب.

ثم قال ﷺ: أيها الناس إنكم لو التمسستم ما بين جابلقا وجابر سا رجلاً جده نبي، وأبوه وصيه لم تجدوا غيري وغير أخي، فاتقوا الله ولا تضلوا.

أيها الناس لو أذكر الذي أعطانا الله تبارك وتعالى وخصنا به من الفضائل في كتابه، وعلى لسانه نبيه لم أحصه، وأنا ابن البشير النذير، وأنا ابن السراج المنير الذي جعله رحمة للعالمين، وأقسم بالله لو تمسكت الأمة بالثقلين لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولأكلوا نعمتها خضراء من فوقهم، ومن تحت أرجلهم من غير اختلاف بينهم إلى يوم القيامة، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾^(١٠).

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١١).

نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيه ﷺ أيها الناس اسمعوا وعوا، واتقوا الله وارجعوا إليه، هيهات منكم الرجعة إلى الحق، وقد صار عكم النكوص وخامرهم الطغيان والجحود، ﴿أَنْزِلْ مُكُومَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(١٢).

والسلام على من اتبع الهدى.^(١٣)

المبحث الأول: فضائل أهل بيت النبوة (عليهم السلام):

نحن أهل بيت:

ابتدأ الإمام الحسن (عليه السلام) بالتعريف عن فضل أهل البيت (عليهم السلام) من خلال ذكر أمور اختصهم الله تعالى بها دونهم من البشر، واستخدم (عليه السلام) طريقة البديع في اللف والنشر وهذه من الطرق البلاغية.

واللف والنشر، عند أهل البديع هو من المحسنات المعنوية «وهو أن يذكر شيئاً أو أشياء إجمالاً أو تفصيلاً، وبأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، كل واحد من المتقدم، ولا ينص على ذلك الرجوع إلى ما ذكره سابقاً بل يغوص إلى عقل السامع، ورد كل واحد إلى ما يليق به. وذكر الأشياء الأولى تفصيلاً أو إجمالاً ويسمى باللف، وذكر الأشياء الراجعة إلى الأولى يسمى بالنشر»^(١٤).

فعرض الإمام الحسن (عليه السلام) تلك المختصات على سبيل الإجمال بطريقة اللف؛ ليعود وينشرها فيما بعد بإرجاع السامع إلى ما سبق ولكن بشكل تفصيلي.

ونشير للعبارة التالية التي في صدر الخطبة حيث قال (عليه السلام): «نحن أهل بيت» ونستدل منها على أمور عدة نختصرها بالآتي:

أولاً: إن من مختصات استخدام الضمير المتكلم «نحن»:

١- حيث عبر عن نفسه وعن أهل البيت (عليهم السلام) بشكل الأعم، وذلك من خلال الضمير المنفصل الذي يدل على الجمع، والذي يستخدم، وهذا لا يعتبر من الفخر والتباهي بل من باب إعلام المخاطب بواقع الحال.

٢- إن استخدام الضمير المتكلم «نحن» يفيد معنى المشاركة والقرب، إذ يجعل المتكلم ناطقاً باسمه وبإسم غيره.

٣- إن استخدام الضمير «نحن» يجعل من المخاطب وكأنه عالم بما يخبره به المتكلم ومشارك فيه، وعلى اطلاع عندما يتم الحديث عنه، ويكون المتكلم في موضع التذكير ليس إلا..

ثانياً: إن استعمال الإمام الحسن (عليه السلام) لصيغة التنكير لا التعريف حيث قال: «أهل بيت» ولم يقل «أهل البيت» فلذلك دلالات خاصة أيضاً، ومنها:



١- عبارة «أهل بيتٍ» تدل على حصر بعض المختصات بهم فقط لا تصح لأن تكون لغيرهم، والدليل على ذلك حين قال الإمام الحسن (عليه السلام) فيما قال: «أكرمنا الله، واختارنا، واصطفانا.. الخ».

٢- ويراد من هذه العبارة بيان فضل جماعة خاصة من الناس قام القرآن الكريم والنبى ﷺ بإطلاق عنوان عليهم وهو: بيت أهل النبوة، أي من حيث هو نبى، ومن حيث أن هذا البيت هو: بيت النبوة.

٣- وأراد منها صرف ذهن السامع أن ما لهم من خصوصية لا يختص بها كل من نسب إلى النبى ﷺ من الأهل والأقارب والأنسباء والأزواج بل هم خصوص هؤلاء الثلاثة الذين تم اختيارهم ليكونوا هم أهل بيت النبوة وعتره الرسول الطاهرة.

أكرمنا الله واختارنا:

كما أسلفنا سابقاً فإن الإمام الحسن (عليه السلام) عرض مختصات أهل بيت النبوة بشكل أجمالي، حيث قال (عليه السلام): «نحن أهل بيت أكرمنا الله واختارنا، واصطفانا، وأذهب عنا الرجس، وطهرنا تطهيراً، ولم يفرق الناس فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما من آدم إلى جدي محمد ﷺ...».

إن التكريم والاختيار، والاصطفاء ما هو إلا تصريح من الإمام أن الله عز وجل هو الأساس والأصل من وراء هذا التكريم والاختيار والاصطفاء، وهو في عطائه مستمر لهؤلاء الصفوة، وهم دائماً في حال استجلاب الرضا الإلهي، والقرينة على أن العطاءات الإلهية مستمرة لهم وفيهم حين أضاف الضمير «نا» الذي يدل على جماعة من المتكلمين، ولإظهار الكرامة والعزة والعظمة المختصة بها هذه الجماعة من البشر. حيث أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليهم بكل تلك الكرامات لأنهم أهل لكي يحملوها ويتشرفوا بها، ولأن هذه النعم والكرامات والمختصات هي من أعظم النعم وأعلى الكرامات، التي لا يستحقها سوى نوع خاص من العباد.

وحال أهل بيت النبوة هو حال خاص، فإنهم قضوا حياتهم وأعمارهم في سبيل الله واعلاء كلمته، وفي طاعته، وسخروا كل ما حباهم الله به من حول وقوة في رضا الله، ولذلك استحقوا كل هذه العطايا..

إضافة إلى ذلك فإن هؤلاء الجماعة المطهرة استحققت تلك الكرامات قبل هذه الحياة حيث شهد الله عز وجل لنفسه بالربوبية ولمحمد ﷺ بالنبوة والرسالة ولعلي وأهل بيته بالإمامة.



وقد شهد لهم بذلك، وأخذ الله الميثاق من جميع الخلق وأشهد الملائكة عليهم بالقبول بهذا الميثاق. وصرحت الآية التالية بأن بعضهم سيعتذرون يوم القيامة بأنهم نسوا في الدنيا هذا الميثاق وعملوا بخلافه.

حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. (١٥)

وقد تحدثت العديد من الروايات عن تفصيل هذا الميثاق:

أ - عَنْ حُمْرَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ، خَلَقَ مَاءً عَذْبًا، وَمَاءً مَالِحًا أَجَاجًا، فَامْتَزَجَ الْمَاءَانِ، فَأَخَذَ طِينًا مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ، فَعَرَكَهُ عَرَكًا شَدِيدًا». فَقَالَ: لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَهُمْ كَالذَّرِّ يَذُبُّونَ: «إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ». وَقَالَ لِأَصْحَابِ الشِّمَالِ: «إِلَى النَّارِ وَلَا أَبَالِي».

ثُمَّ قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. (١٦)

ثُمَّ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ فَقَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ «وَأَنَّ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولِي وَأَنَّ هَذَا عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ».

قالوا: ﴿بَلَى﴾ فَنَبَّيْتُ لَهُمُ النَّبُوَّةَ وَأَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُولِي الْعِزْمِ أَنَّنِي رَبُّكُمْ وَمُحَمَّدٌ رَسُولِي وَعَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَوَلَاةُ أَمْرِي وَخُزَّانُ عِلْمِي وَأَنَّ الْمُهْدِيَّ أَنْتَصِرَ بِهِ لِدِينِي وَأُظْهِرَ بِهِ دَوْلَتِي وَأَنْتَقِمَ بِهِ مِنْ أَعْدَائِي وَأُعْبُدُ بِهِ طَوْعًا وَكَرْهًا قَالُوا أَقْرَرْنَا يَا رَبَّ. (١٧)

ب - عن علي بن إبراهيم، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبي الربيع القزاز، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «قلت له: لما سمي أمير المؤمنين أمير المؤمنين؟ قال: الله سماه، وهكذا أنزل الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾» (١٨). وأن محمداً رسولاً، وأن علياً أمير المؤمنين» (١٩).

ج - عن علي بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن الحلبي، عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أول من سبق من الرسل إلى: ﴿بَلَى﴾ رسول الله ﷺ، وذلك أنه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل (عليه السلام) لما أسرى به إلى السماء: «تقدم يا محمد فقد وطئت موطئاً لم يطأه أحد قبلك لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل».



ولولا أن روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله عز وجل، كما قال الله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٢٠) أي بل أدنى، فلما خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه عليه السلام. فقال الصادق عليه السلام: «كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية، ولرسوله بالنبوة، ولأمير المؤمنين والأئمة بالإمامة، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ومحمد نبيكم، وعلي إمامكم، والأئمة الهادية أئمتكم؟» فقالوا: «بلى شهدنا».

فقال الله: «أن تقولوا يوم القيامة، أي لئلا ﴿تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾»^(٢١). فأول ما أخذ الله عز وجل الميثاق على الأنبياء له بالربوبية وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾^(٢٢). فذكر جملة الأنبياء، ثم أبرز أفضلهم بالأسماء، فقال: ﴿وَمِنْكَ﴾ يا محمد، فقدم رسول الله ﷺ لأنه أفضلهم، ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾^(٢٣). فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء، ورسول الله أفضلهم.

ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله ﷺ على الأنبياء بالإيمان به وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾^(٢٤). يعني: «رسول الله»، ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يعني: «أمير المؤمنين» تخبروا أئمتكم بخبره وخبر وليه من الأئمة»^(٢٥).

د- عن أحمد بن محمد، عن الحسن ابن موسى، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمان بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢٦).

قال: «أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا وهم كالذر فعرفهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه.

وقال: ألسنت بربكم؟

قالوا: بلى، وإن هذا محمد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين خليفتي وأميني»^(٢٧).

فإن الإمام الحسن عليه السلام وجه الناس إلى ما سمعوه وعرفوه من النبي ﷺ في حق أهل بيته عليه السلام، وبما أوصى له الله عز وجل. وإن كان من باب الإشارة والتلميح بداية إلى أنه انتقل فيما بعد للتصريح والدراية حيث فصل للجميع هذه المختصات والكرامات من خلال الأدلة التي لا بدأنهم عرفوا



بها أو سمعوا عنها في حق أهل بيت النبوة.

آية المباهلة:

يكمل الإمام الحسن (عليه السلام) في عرض فضائل أهل البيت (عليهم السلام) إلى أن وصل إلى حادثة المباهلة، والتي فيها العديد من الاستدلالات، منها:

أ: لقد أقرت حادثة المباهلة أن النبي (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) هما نفس واحدة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد جعل نفس عليّ موضوعاً ومحمولاً لقضية واحدة، ولكن ذات وجهين. وجعل نفسه الطاهرة (صلى الله عليه وآله) موضوعاً ومحمولاً أيضاً لنفس هذه القضية الواحدة، التي هي ذات وجهين، وكأنه من خلال أخراجه لعلي (عليه السلام) معه إلى المباهلة يقول: «نفسه نفسي، ونفسي نفسه».

ب: إن السيدة الزهراء (عليها السلام) هي من تمثل نساء أهل بيت النبوة وليس من أحد غيرها له تلك الصفة التمثيلية كالزوجات والعمات أو غيرهن..

٢٤٣

ج: إن ما جاء في آية المباهلة يثبت بنوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) للحسين (عليه السلام). إذ أن الآية عبرت عن ذلك بـ «ابناءنا» وهذا أقوى دليل يضحده به الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) أعراف الجاهلية الأولى الذين ادعوا أن البنوة تكون فقط لأولاد الأب بن دون أولاد الأبنة.

د: إن آية المباهلة تدل أن من أخرجهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) هم المتمحضين بالصدق مقابل من قالوا زوراً وبهتاناً على الله أن له أبناءً والعياذ بالله، وهذا ما تؤيده الآية الكريمة حين قالت: ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢٨). فيكون أهل البيت (عليهم السلام) هم الذين يمثلون الصدق المطلق، وهم المؤيدون من الله تعالى وإلا لما جعلهم في مقابل الذين كذبوا على الله بالدعوى الباطلة التي لم ينزل بها من سلطان.

هـ: يروى أن في حادثة المباهلة قال كبير وفد نجران: «أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، فلا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة».^(٢٩)

ويمكن أن نقول أن هذه الثلة التي خرجت مع النبي (صلى الله عليه وآله) للمباهلة كانوا على استعداد للتضحية بأنفسهم من أجل قضية تمس روح العقيدة الإسلامية وهي توحيد الذات الإلهية حيث أن لا ولد

له ولا هو ثالث ثلاثة، وتعد هذه الثلة في قمة النضج الرسالي، بالإضافة إلى أنهم أقرب الناس إلى النبي ﷺ وأحبهم إلى قلبه. ومع ذلك اندفعوا معه وخرجوا من أجل المباهلة..
إلا أن البعض حاول التشكيك بهذه الدلالات التي تكلمنا عنها، وقالوا: إن الآية قد جاءت بصيغة الجماعة، فكيف يكون المقصود هو المثني والمفرد؟!
ونجيب:

إن الآية لم تكن تتكلم على سبيل المجاز بل الحقيقة حيث أن مرويات جميع المسلمين تثبت أن النبي ﷺ أخرج معه حصراً علي وفاطمة والحسين وهذا ما لا يمكن إنكاره، فيكون النبي ﷺ قد فسر آية المباهلة بالشكل العملي الذي لا يحتاج إلى الشك أو التشكيك. وقد استدلل الإمام الحسن (عليه السلام) نفسه بهذه في معرض خطبته التي نحن بصدددها حين قال: «فنحن أهلنا ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه وهو منا..» وهذا كله ليرسخ في أذهان الناس ومن الذين يسمعونهم ومن سيأتي فيما بعد أنهم هم من يمثلون رسول الله ﷺ، ومن يحبهم فقد أحبه، ومن أبغضهم وحاربهم فقد أبغضه وحاربه..
وقد جعل الإمام الحسن (عليه السلام) هذه العبارة رابطاً ومدخلاً لما سيأتي من بعدها وهو استدلاله بآية التطهير..

آية التطهير:

وعاد الإمام الحسن (عليه السلام) لربط اللاحق بالسابق واحتج على القوم بآية التطهير، ولكنه لم يكتفي فقط بسرده الآية الكريمة ولكنه أتبعها بحادثة الكساء التي كانت سبباً بنزول هذه الآية المباركة، وحادثة الكساء تدل على الآتي:

أولاً: أن من تحت الكساء هم فقط أهل بيت النبي ﷺ دون غيرهم.
ثانياً: لا يمكن لأحد إلحاق الزوجات بأهل البيت (عليهم السلام) لأن رواية حديث الكساء تذكر أن النبي ﷺ لم يقبل بدخول أم سلمى (رضي الله عنها) وقال لها: «يرحمك الله أنت على خير» أو «انك إلى خير» باختلاف الروايات.

ثالثاً: إن هذه الحادثة والروايات التي رواها الصحابة، ونقلها المحدثون في كتبهم، وتكلم عنها المفسرون في تفسيرهم لآية التطهير قد وصلت حد التواتر، وكل هؤلاء يذكرون أنه ﷺ

قد أدخل علياً وفاطمة والحسين حصرًا معه تحت الكساء وجللهم به، ثم تلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (٣٠)

وبعض هذه الرويات تقول: أنه دعا لهم بهذه الآية دون غيرهم. (٣١)

رابعاً: إن الذين هم تحت الكساء مطهرون من كل رجس، وهم معصومون لا يأتيهم أي نوع من أنواعه، ولا يلاقيهم، وهم محض طهارة لأن الآية عبرت بـ ﴿يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ويفهم من ذلك أنهم الطهارة المتمثلة بالبشر وهم أناس مختارون من قبل الله عز وجل. وخامساً: وحسب ما نقل لنا الإمام الحسن (عليه السلام) أنه حين نزول قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾. (٣٢)

كان النبي ﷺ وبأمر من الله عز وجل يؤكد المؤكد بما لا يشوبه أي شائبة وبفعل عملي على أن أهل بيته هم هؤلاء الذين يطرق بابهم ويناديهم: «يا أهل البيت»، ومن ثم يتلو عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. (٣٣)

وهذا الفعل يعد تفسيراً عملياً وتأكيداً وإصراراً منه ﷺ على هوية أهل البيت (عليهم السلام)، وأنها لهم دون غيرهم..

وذلك بدوره سوف يعمل على تثبيت وترسيخ هذه الصفة عند المسلمين ويزيل أي ريب أو شبهة فيما يتعلق بتوصيف من هم «أهل البيت». وتقول الروايات أن النبي ﷺ بقي مدة ستة أشهر وهو يطرق باب الزهراء وعلي (عليه السلام) ويناديهم للصلاة عند كل فجر على طول هذه المدة. (٣٤)

سد الأبواب.. غير بابنا:

وإن من تبعية التطهير من كل رجس أن يأمر النبي ﷺ بسد كل الأبواب المؤدية إلى مسجده غير باب علي (عليه السلام)؛ وذلك لأنه هو وأهل بيته هم أيضاً متمحضون بالطهر، وبكل شيء طاهر، وهم المطهرين لغيرهم من أتباعهم..

وعلق العلامة الشيخ المظفر على هذه المسألة على الشكل الآتي: «إن هذه القضية تكشف عن طهارة علي (عليه السلام)، وأنه في المحل الأعلى منها، فلا تنتقض هذه الطهارة بأي حدث حتى لو كان من موجبات الغسل، فيحل له البقاء في المسجد في جميع الأحوال، ولا يكره له



النوم فيه، تماماً كما كان ذلك لرسول الله ﷺ. فإن عمدة الغرض من سد الأبواب هو تنزيه المسجد عن الأدناس، وإبعاده عن المكروهات». (٣٥)

فإن من أذهب الله عن الرجس وطهره تطهيراً لا تؤثر فيه الجنازة كدنس معنوي، ويكون بيت الله كبيته تماماً، وبحكم سكنه بالقرب منه، وهذا ما جعل دخول علي عليه السلام إلى المسجد النبوي حسنٌ ولو كان على جنابة.

وإن علي عليه السلام كرسول الله ﷺ بل هو نفسه بديل آية المباهلة، وهو منه بمنزلة هارون من موسى، ولذلك لحقته الأحكام المتعلقة بالنبى ﷺ.

وقد استدل أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه على أهل الشورى بتلك الحادثة قائلاً لهم: «أكان أحد مطهراً في كتاب الله غيري، حين سد النبي ﷺ أبواب المهاجرين، وفتح بابي». (٣٦) حتى يرجعوا إلى ما تركوه:

لقد وضع النبي ﷺ قاعدة عامة للأمة، وقانون كلي حتى تسير عليه، ورسم خطأ واضحاً، فمن يعمل بخلافها فإن مصير الأمة سيكون سقلاً، وسوف تنحدر الأمور بالأمة إلى الفراق والشقاق والتنازع. والسبب في ذلك كله أنهم تركوا أفضل من فيها، وأتقى من عليها، وأحسنهم خلقاً، وهو أعلم إنسان بعد رسول الله ﷺ، فهو باب مدينة العلم.

وهذه القاعدة تسري على كل من هم بمكانة وفضل الإمام علي عليه السلام وهذا يشمل أئمة أهل البيت عليهم السلام فهم من يمثلون هذا الخط الإلهي، فمن تبعهم وتولاهم وسار على هداهم فإن أمور حياته العامة والخاصة سوف تتطور نحو الأفضل وتتسامى به المراكز ويرتفع بذلك شأن هذه الأمة..

ولكن ليت شعري فإن الأمة ضيعت حقوقهم وترك علماءهم الربانيين وولوا شأنهم إلى جهالها وأصحاب المصالح والمآرب الدنيوية فمن المؤكد وحسب القاعدة التي وضعها النبي ﷺ سيميل أمرها إلى الخضوض..

ولكن هذه القاعدة التي وضعها النبي ﷺ لم تترك الأمر مغلقاً بشكل نهائي بل هناك مجال للعودة وخط للرجوع، بأن تعود الأمة عن غيها وضلالها وتولي أمرها لمن أمر الله ورسوله ﷺ أتباعهم.

ويكون ذلك بالرجوع إلى العالم الرباني الذي تكتمل فيه عناصر القيادة التي تحوله النهوض بالأمة من الخضوض، وعندها فقط فإن شأن الأمة سوف يتبدل إلى الأفضل



ويتطور إلى أحسن حال؛ لأن هذه القاعدة قد وضعت من قبل النبي (صلى الله عليه وآله) الذي هو السبب المتصل بين الأرض والسماء.

ولا يستطيع أحد تكذيب أو تدليس أو انكار هذه الفضيلة الثابتة للإمام علي (عليه السلام) ويدعي أنه (عليه السلام) لم يكن من أول السابقين إلى دين الله، والإيمان برسول الله (صلى الله عليه وآله)، حيث نذر حياته من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة المشركين هي السفلى..

كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله:

ويحدد الإمام الحسن (عليه السلام) سبب نزول هذه الآية المباركة، فيقول: «نزلت هذه الآية في أبي..» وقد جاء في الحديث أن قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. (٣٧) نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٣٨). وفي رواية أخرى: أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما نزلت هذه الآية قال لبعض من أصحابه عن الإمام علي (عليه السلام): «إنه آمن بالله قبلهما بسنوات، وإنه صاحب الجهاد». (٣٩)

٢٤٧

وبعد تذكير الإمام الحسن (عليه السلام) القوم بمناسبة نزول هذه الآية وارتباطها بأمر المؤمنين (عليهم السلام)، يظهر لهم أنه كان عضد النبي (صلى الله عليه وآله) وساعده الأيمن بعد فقدانه (صلى الله عليه وآله) لعمه حمزة ولجعفر أخ أمير المؤمنين (عليه السلام). ويظهر لهم مقامهما عند الله بما قدماه في سبيل الله وفي سبيل رسوله (صلى الله عليه وآله). فأصبح حمزة (عليه السلام) سيد الشهداء وجعفر له جناحان.

ويعلل الإمام الحسن (عليه السلام) تفضيل هذين الشهيدين بسبب التضحيات التي بذلت واقرنت بقربهما من رسول الله (صلى الله عليه وآله) والدفاع عن دين الله، وبين الإمام الحسن (عليه السلام) أن هذه المكانة وهذا الفضل هو الفضل الأكبر عند الله، وليس للذين يدعون الفضائل لأنفسهم لمجرد كونهم في خدمة الحجيج أو أنهم يعمرّون المسجد الحرام، فإن ذلك ليس من الفضل بشيء. وإنما الفضل لمن سبق بالإيمان وضحى بالغالي والنفيس من أجل النبي (صلى الله عليه وآله).

وشرح الإمام الحسن (عليه السلام) مسألة مهمة وأظهر أن من كان له صلة نسبية بالنبي (صلى الله عليه وآله) وكان ظهيراً له واتبعه بكل أموره وشؤونه فإن الله عز وجل يكرمه ضعفين؛ لإحسانه، ويجازيه ويعاقبه ضعفين لخطئه.



ومثاله على ذلك حين قال الإمام الحسن (عليه السلام): «وكذلك جعل الله تعالى لنساء نبيه المحسنة منهن أجريين، وللمسيئة منهن وزرين ضعفين لمكانهن من جدي». وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن لا كرامة لعاصية منهن حتى ولو كانت من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله)، ويكون أجرها مضاعفاً عند الله وأجرها بأجريين لإحسانها.

واللافت أيضاً أن الإمام الحسن (عليه السلام) إنما صرح باسم جده، لكي يعرفه القاصي والداني بهذه الخصوصية، فلعل بعض الناس البعيدين عن مصادر المعرفة، ويعيشون في الصحارى والأدغال، يدعون أنهم يجهلون ذلك، بل إن بعض الناس قد حاولوا طيلة عقود من الزمن أن يزوروا الحقائق، وأن ينكروا بنوة الحسنين لرسول الله، إنطلاقاً من المفاهيم الجاهلية، التي عبر عنها الشاعر بقوله:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأبعد.^(٤٠)

واعبدوها ذا من ولا توال ... ذا الإحن (به أبك يا حسن).^(٤١)

ثم يبين الإمام الحسن (عليه السلام) مكانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من خلال إظهار الثواب والأجر الذي جعله الله عز وجل للمصلين في المسجد النبوي كرامة له (صلى الله عليه وآله) ولوجود جسده الطاهر في هذه البقعة من الأرض التي توازي الصلاة فيه ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام.

كيف نصلي عليك:

بعدها ينتقل الإمام الحسن (عليه السلام) ليوضح كيفية الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) وكيف أن الصلاة عليه لا تكون كاملة إلا إذا تمت بالصلاة على آله؛ وهذه فضيلة لهم دون غيرهم وليس لأحد أن يساويهم بها، فإن الصلاة على نبي وآله هي من واجبات الأمة في حق نبيها (صلى الله عليه وآله). لذلك فإن النبي (صلى الله عليه وآله) يوصيهم بأن لا يصلوا عليه الصلاة البتراء^(٤٢). والتي لم يقبلها منهم وأكد عليهم بأن يقرنوا الصلاة عليه بالصلاة على الآل..

وهذا ليس لأن الصلاة على النبي وآله هي فعل قولي وحسب، بل لما للصلاة عليه وآله من الارتباط بالدين من الناحية الاعتقادية وحتى أن لها آثاراً ملموسة في الواقع الخارجي لمن يصلي بها وهو معتقد أن أهل بيت النبوة (عليهم السلام) هم أفضل خلق الله وأن أفضل آل النبي (صلى الله عليه وآله) هو علي (عليه السلام). وإن فضيلة الصلاة على محمد وآل محمد لها الكثير من الآثار الدنيوية والآخروية وقد



تكلمنا عنها سابقاً في هذا البحث، ولكن هناك رواية فيها من الفائدة الكبيرة، والتي تُظهر أحد اللطائف والبركات للصلاة على النبي وآله (عليهم السلام)، وأنقلها مختصرة بما يخص المطلب الذي نحن بصدد، حيث يروى أن النبي (عليه السلام) في واقعة خروجه على المنافقين قال للزبير بن العوام، وسماك بن خرشة وكان قد أرسلهما في مهمة: «أتحبان أن يستركما الله عن عيونهم، ولا يجعل لكما ظلاً إذا سرتما، ويجعل لكما نوراً كنور القمر لا تبيينان منه»؟! ^(٤٣)

قالا: بلى.

قال (عليه السلام): «عليكما بالصلاة على محمد وآله الطيبين، معتقدين أن أفضل آل علي بن أبي طالب، وتعتقد يا زبير أنت خاصة أن لا يكون علي (عليه السلام) في قوم إلا كان هو أحق بالولاية عليهم، ليس لأحد أن يتقدمه...» ^(٤٣)

ويقول سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي «حفظه الله» في كتابه الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام) شارحاً هذه الحادثة تحت عنوان:

تأثير الصلاة على النبي وآله:

وقد تضمنت الرواية أيضاً: بيان أن اقتران بعض الأعمال بإيمان ذي مواصفات بعينها، يجعلها تؤثر في الواقع الخارجي، ومن هذه الأعمال الصلاة على النبي (عليه السلام) وآله الطيبين، فإنها: أولاً: تستر فاعلها عن عيون أعدائه.

ثانياً: لا تبقي له ظلاً.

ثالثاً: تغمره بالنور، وتستره عن عيون الناس.

ولكنها ذكرت: أن مجرد التفوه بالصلاة لا يجدي، بل لا بد أن يصاحب ذلك الاعتقاد بأن علياً (عليه السلام) هو أفضل آل النبي..

فعالم الروح متصل بعالم المادة، والتفوه بالألفاظ يترك أثراً لها نوع ارتباط بسنخ مضمون تلك الألفاظ.. كما أن الاعتقاد مؤثر في الواقع العملي الخارجي..

ولكن هذه الآثار لا يمكن التكهن بها للبشر، ولا طريق لهم لاكتشاف الصلة بينها، بالعلم البشري، بل هي مما يختص الله بعلمه، فلا بد من أخذ العلم بها من الله تعالى، فإذا أخبر الله عنها أمكن تلمسها بالممارسة» ^(٤٤)



ونقول: إن آثار الصلاة على النبي وآله هي كثيرة وعديدة وتكاد لا تعد ولا تحصى بها لها من الثواب والحسنات، إضافة إلى الآثار الخارجية في أرض الواقع شرط أن تقترن بعقيدة سليمة لها ارتباط وثيق بمن أمر الله ﷺ بولايتهم واتباع أثرهم وهذا ما عليه المئات من الدلائل والبراهين، ومنها تلك الرواية التي نقلناها..

وإن الصلاة على النبي محمد وأهل بيته الأطهار هي فريضة على كل مسلم كما عبر عن ذلك الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبته هذه حين قال: «فحق على كل مسلم أن يصلي علينا مع الصلاة على جدي فريضة واجبة». وكفى بقول الشافعي في شعره:

يا آل بيت رسول الله حبكم**فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم**من لم يصل عليكم لا صلاة له. (٤٥)

الخمس.. والصدقة:

لا بد للقارئ الكريم أن يعلم بأن الإمام الحسن (عليه السلام) قد تطرأ إلى فريضة الخمس وحق ذوي قربى رسول الله ﷺ لأن هناك بعضاً من المبغضين لهم وخاصة في المعسكر الأموي حاولوا بشتى الوسائل والطرق حرمانهم من حقوقهم التي فرضها الله ﷻ لهم في كتابه العزيز، وذلك من خلال تبريرات واهية واجتهادات مستندة إلى الأهواء والضغائن.. فقد قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. (٤٦)

وقد انقسمت الآراء حول تفسير هذه الآية الكريمة على قسمين:

الأول: أن الغنمة هي المال الذي يؤخذ من الكفار حصراً ويجب أن يغنم خلال الحرب والقتال.
الثاني: أن الغنمة هي مطلق مال مأخوذ بلا بدل.

وهذا ما اتفق عليه علماء اللغة وقد ذهب الشيعة للرأي الآخر تبعاً لأئمتهم.

وقد جاء في المعنى اللغوي لكلمة الغنم: وهو الفوز بالشيء من دون مشقة، وغنم الشيء:

أي فاز به، والاعتنام: إنتهاز الفرصة. وغنم الشيء غنماً: فاز به بلا مشقة، وناله بلا بدل.

وقيل: أن الغنم إصابة الشيء والظفر به، ثم استعمل في كل مظفور به. (٤٧)

إن الآية الكريمة قد أطلقت بأن الغنمة هي مطلق شيء مظفور به إن كان بمشقة من



خلال الحرب والقتال، أو كان غيرها من الأشكال، فلا يصح قولهم أن الخمس فقط هو نتيجة للحرب فهذا خلاف الظاهر. ولا يمكن أن يقال أن الآية عامة ثم خصصت فلقد حاولت البحث عما يخصها كما ادعى القوم ولكن دون جدوى.

لذلك فإن الخمس هو حق قربي رسول الله ﷺ ولا يستطيع أحد أن ينفي حقاً مثبتاً في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ. وروي أن الإمام الحسن (عليه السلام) حين كان صغيراً أخذ ثمرة من تمر الصدقات - وهي الزكاة ويعبر عنها بالصدقة الواجبة - فقال له النبي ﷺ: «كخ كخ» ليصرحها. ثم قال ﷺ: «أما شعرت أننا لا نأكل الصدقة». (٤٨)

ويجب ملاحظة مسألة وهي: أن قول النبي ﷺ للإمام الحسن (عليه السلام): «أما شعرت أننا لا نأكل الصدقة» يشير إلى أنه ﷺ يفترض بولده هذا الذي يراه الناس طفلاً: أن يكون عارفاً بهذا الحكم الشرعي، مع أنه لا يتوقع من الأطفال الذين هم بمثل سن الحسن والحسين (عليه السلام) أن يكونوا عارفين بالأحكام إلى هذا الحد.

أضف إلى ذلك: إنه ﷺ لم يقل للإمام الحسن (عليه السلام): أما علمت. بل قال له: «أما شعرت». فاختيار هذا التعبير قد يكون سببه أنه ﷺ يفترض بالإمام الحسن (عليه السلام) أن يعرف هذا الحكم من دون حاجة إلى تعليم صريح، أو فقل: من دون إعلام وتصريح له به.. والصدقة الواجبة، هي الزكاة التي حرمت على النبي ﷺ وأهل بيته (عليه السلام) وبني عبد المطلب، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تحل لآل محمد الصدقة». (٤٩) وقال ﷺ أيضاً: «لا تحل لنا الصدقة». (٥٠)

وحين قال الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبته: «نزهنا مما نزهه وطيب لنا ما طيب له، كرامة أكرمنا الله بها، وفضيلة فضلنا على سائر عباده». فيلزم من هذه العبارات بعض الدلالات المهمة، ومنها:

أولاً: أن ما كان للنبي ﷺ من خصائص فهي لأهل بيته (عليه السلام).

ثانياً: إن واجب الأمة تجاه أهل البيت (عليه السلام) هو ذاته الذي كان تجاه رسول الله ﷺ.

ثالثاً: إن فرض الخمس على الأمة لذوي القربى (عليه السلام) هو تنزيه وتكريم وفضيلة لهم دون الناس أجمعين لأن كرامتهم وحقوقهم وتفضيلهم هو من الله عز وجل ورسوله ﷺ فلا يشاركهم فيه أحد.



المبحث الثاني: خصائص أمير المؤمنين في كلام الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام):

حديث المنزلة:

حين شبه النبي ﷺ حال علي (عليه السلام) بحال هارون من أخيه موسى (عليه السلام) فيلزم من ذلك أن يكون ما لنبي الله هارون لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، ويمكن ملاحظة ما يلي:

أولاً: كان لهارون (عليه السلام) عدة منازل من موسى (عليه السلام)، وهي على الشكل الآتي:

١ - هو أخوه وتلك منزلة الأخوة.

٢ - هو وزيره وإنها مجعولة له من الله.

٣ - هو من أهله وهذه منزلة القربى منه.

٤ - هو مصدق له.

٥ - وهو ير دأ له.

٦ - هو من يشاركه في أمر الدين المنزل عليه من الله سبحانه وتعالى.

٧ - هو من يشد به أزره ويعاضده في أمره.

٨ - هو خليفته في قومه حال غيابه، وهذا ما فعله موسى (عليه السلام) حين ذهب لميقات ربه.

٩ - وواجب هارون أن يكون مصلحاً.

ثانياً: كل هذه المنازل التي أشرنا إليها أعلاه قد دلت عليها الآيات القرآنية التي تروي

قصة نبي الله موسى وهارون (عليه السلام):

فقد قال تعالى: ﴿فَآرِسُهُ مَعِيَ رِءَاءَ يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^(٥١).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا﴾^(٥٢).

وقال عز وجل: ﴿وَاجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي

أَمْرِي﴾^(٥٣).

وقال سبحانه: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾^(٥٤).

وقال أيضاً: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٥٥).

ونتيجة لذلك تكون كل تلك المنازل التي وصفها الله عز وجل في كتابه العزيز المجعولة لهارون

من موسى (عليه السلام) هي ذاتها مجعولة لأمير المؤمنين (عليه السلام) من رسول الله ﷺ.



ثالثاً: قال صاحب تفسير الميزان العلامة الطباطبائي قدس عن نبي الله هارون (عليه السلام) في معرض تفسيره لسورة الصافات المباركة ما يلي: «أشركه الله تعالى مع موسى (عليه السلام): في المنّ، وإيتاء الكتاب، والهداية إلى الصراط المستقيم، وفي التسليم، وأنه من المحسنين، ومن عباده المؤمنين [الصافات: ١١٤ - ١٢٢] وعده مرسلًا [طه: ٤٧]، ونبيًا [مريم: ٥٣]، وأنه ممن أنعم عليهم [مريم: ٥٨]، وأشركه مع من عدّهم من الأنبياء في سورة الأنعام في صفاتهم الجميلة، من الإحسان، والصلاح، والفضل، والإجتباء، والهداية [الأنعام: ٨٤ - ٨٨]» (٥٦).

وبعد هذا التبيان المختصر عن منازل الإمام علي (عليه السلام) لا بد أن نشير إلى مسألة مهمة، وهي أن حديث المنزلة تكرر ذكره على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مواقف كثيرة، ويوم سد الأبواب واحدة منها (٥٧) والتي ذكرها الإمام الحسن (عليه السلام) في معرض خطبته، فمن المواقف التي كرر النبي (صلى الله عليه وآله) قوله هذا فيها:

١ - يوم المؤاخاة الأولى (٥٨).

٢ - يوم المؤاخاة الثانية (٥٩).

٣ - يوم تسمية الحسن والحسين (عليه السلام) (٦٠).

٤ - في حجة الوداع (٦١).

٥ - في منى (٦٢).

٦ - يوم غدیر خم (٦٣).

٧ - يوم المباهلة (٦٤).

٨ - في غزوة تبوك خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) على المدينة وحينئذ قال لعلي (عليه السلام)

أنت مني بمنزلة هارون من موسى (٦٥).

٩ - عند الرجوع بغنائم خيبر (٦٦).

١٠ - يوم كان يمشي مع النبي (صلى الله عليه وآله) (٦٧).

آية الإشهاد:

إن آية الإشهاد التي استدل بها الإمام المجتبي (عليه السلام) تنطوي على معاني عديدة يمكن

الاستدلال بها على أمور، أهمها:

أولاً: يعدّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) شاهداً على رسالة النبي (صلى الله عليه وآله) وعلى أنه رسول الله، وأن الكتاب الذي يتلوه النبي (صلى الله عليه وآله) هو كتاب الله المنزل عليه.

وأكدت المرويات على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا المعنى بأنه هو الذي أعطي علم هذا الكتاب، وما أنزل فيه؛ لأنه شاهد على كل آية نزلت على قلب النبي (صلى الله عليه وآله). وهو الأعلّم به من بعده، ولأنه (عليه السلام) شريك معه في تلاوة هذا الكتاب، وما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله). فعن الأصبغ بن نباتة قال: «لو كسرت لي وسادة فقعدت عليها، لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل الفرقان بفرقانهم، بقضاء يصعد إلى الله يزره. والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار إلا وقد علمت فيمن أنزلت ولا من مر على رأسه المواسي من قريش إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه إلى الجنة أو إلى النار.

فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الآية التي نزلت فيك؟! قال له: أما سمعت الله يقول: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ (٦٨).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) على بيّنة من ربه وأنا شاهد له فيه واتلوه معه» (٦٩).

ثانياً: تدل آية الإشهاد على أن من لديه هذه المرتبة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيكون أول مصدقاً لما بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) وأول مؤمناً به، ومدافعاً عن ما جاء به. وهذا ما أشار إليه الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبته هذه حين قال: «فلما بعثه للنبوّة، واختاره للرسالة، وأنزل عليه كتابه، فكان أول من آمن، وصدق الله ورسوله..».

ثالثاً: إن مقام الإشهاد المعطى للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومعرفته ومنزلته من الله ورسوله هي أيضاً للأئمة من بعده، فعلمهم واحد، ويعود إلى نفس المنبع، فهم أهل العلم، ومهبط الوحي، ومعدن الرسالة..

وأثبت الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك، وحيث فسر آية الإشهاد في قوله (عليه السلام): «الذي هو على بيّنة من ربه ها هنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والشاهد الذي يتلوه منه علي صلوات الله عليه يتلوه إماماً من بعده وحجة على من خلفه من أمته» (٧٠).

ومن أراد الاستزادة من هذه الاستدلالات على هذه الآية الكريمة فعليه أن يعود إلى أمات الكتب العقائدية والكلامية (٧١).

إلا أن هذا لم يمنع البعض بما يحمله من المبغضين والكارهين لأمر المؤمنين ﷺ لأن ينكر فضائله ودلس الحقيقة وأعطى هذه الفضائل لغيره لما تحمله أنفسهم من حقد دفين، وكره شديد.. وهم يعرفون هذه الفضائل أكثر من أي أحد آخر ولكن المصالح الدنيوية، والمآرب الشخصية واخفاء الحقائق ظناً منهم أنهم يستطيعون بذلك أن يغيروها بمحاولات لحجب نور الشمس.. ومن ما روي عن هذه المحاولات لإنكار هذه الفضيلة، ما جاء عن قيس بن عباد، حيث قال: «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ»: علي.

قال معاوية بن أبي سفيان: هو عبد الله بن سلام. قال سعد: أنزل الله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وأنزل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾. فالهادي من الآية الأولى، والشاهد من الآية الثانية، علي، لأنه نصّبه ﷺ يوم الغدير، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». فسكت معاوية، ولم يستطع أن يردها^(٧٢).

وإعادة الإمام الحسن ﷺ التذكر بهذه الآية للاستدلال بها على القوم والتذكير لهم والتأكيد عليهم، وارشاد الناس إلى أصحاب الحق وحتى يكذب ادعاءات الآخرين، وينفي بها شبهات الحاقدين.

سر بها يا علي:

لقد سلسل الإمام الحسن ﷺ من خلال سرده الحوادث المشهورة التي ميز بها النبي ﷺ أهل بيته وخاصة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، ومنها حادثة تبليغ سورة البراءة التي تُعدّ من الحوادث المشهورة التي ثبت الله ﷻ فيها فضل أمير المؤمنين ﷺ حيث أن البراءة من المشركين حصر الله ﷻ إبلاغها لهم بواسطة النبي ﷺ أو رجل من أهله. ومن يكون هذا الرجل غير أمير المؤمنين ﷺ الذي هو صنوه وأخوه ونفسه ومنزلته منه كمنزلة هارون من موسى.

فإن جبريل ﷺ أبلغ رسول الله ﷺ عن رب العزة: «أن يا محمد، لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»^(٧٣).

وهذه الرواية لها دلالات خاصة، ومنها:



أولاً: إن تأدية البلاغ عن النبي ﷺ في خصوص هذه المسألة يحتاج إلى صلابة وحزم، وإصرار وقدرة على التصرف في مثل هذه الظروف، ورجل يمتلك عزة ومهابة عند أعداء الله وروسوله، ومن يملك هذه الصفات غير الإمام علي عليه السلام.

ثانياً: إن وظيفة التبليغ عن رسول الله ﷺ بما هو مبلغ عن الله سبحانه وتعالى من الأمور تتعلق بدين الله والتي ترتبط بشرعه وبكتابه سبحانه تكون من شأن الإمام المعصوم بعد النبي ﷺ، لارتباط وثيق فيما بين مقام الإمامة ومقام النبوة.

فالإمامة بما هي مقام إلهي فإنها كمقام النبوة تماماً، فلا يبلغ عن النبي ﷺ في مثل تلك الشؤون إلا خليفته ومن هو بمنزلة هارون من موسى منه. فإرساله للإمام علي عليه السلام بهذه الرسالة إلى المشركين وهم الذين خبروه في كل المواقع، ابتداءً من الأيام الأولى للدعوة، وفي زمان الحروب، فلا بد أن يكون لهذا الشخص وقع خاص في نفوسهم ووجوده سيقصم ظهورهم، ويميتهم في حساراتهم، ويبدد لهم آمالهم، وفي هذا تأكيد منه ﷺ على أن يبأس هؤلاء من الحصول على أي امتياز من النبي ﷺ أو من الإمام علي عليه السلام عند إبلاغهم هذه القرارات الحاسمة بواسطة الإنسان الذي لم يزل رسول الله ﷺ يؤكد على إمامته فإن كل ما في بالهم من أوهام على المساومة سوف تذهب مع أدراج الرياح، وستتبدد آمانياتهم ومن ثم تزول..

وبعد شرح هذه دلالات المنبثقة عن تلك الحادثة من لا بد أن نبين للقارئ الكريم: أن البعض حاول ذر الرماد في العيون حيث أنهم أثاروا شبهتين حول هذه الحادثة:

الشبهة الأولى: قال بعضهم: «إن الشيعة هم فقط من يدعون هذا، ولا دليل عليه أنه لا يبلغ عن النبي ﷺ إلا هو نفسه أو رجل من أهل بيته»^(٧٤).

الشبهة الثانية: وقام بعضهم الآخر بتضعيف رواية التي تتكلم عن تكليف النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام بأن يؤدي عنه، وقالوا أنه: «خبر شاذ»^(٧٥).



ونجيب:

بالنسبة لهذين الإشكالين فإنه لا يخرج عن مجرد نفي أو تكذيب أي خبر يتعلق بمناقب أمير المؤمنين عليه السلام. فيلجأ هؤلاء إما لنفي المنقبة أو تضعيف الخبر، ولا بد من لفت نظر هؤلاء إلى بعض الأمور فيما يتعلق بخبر تبليغ سورة البراءة، وهي:

أولاً: لو كان الخبر من ناحية السند ضعيفاً أو شاذاً كما ادعى البعض لما رأيت مصادر المسلمين زاخرة بذكر هذا الخبر ولما تم تناقله فيما بينهم. ولو أن الشيعة هم فقط من يدعون أن الإمام علي عليه السلام هو الذي يؤدي فقط عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كنا وجدنا مصادر المسلمين قاطبة قد ذكرت هذا الخبر وعلى أقل تقدير فإن العشرات من المصادر نقلت هذا الخبر وتداولته..

ثانياً: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقوم بأي عمل عشوائياً - والعياذ بالله - فهو موحى له من السماء، ومرتبطة مباشرة بالله عز وجل ولا يمكن لعمله أن يكون عبثياً، ومن ادعى أن الشيعة هم الذين تفردوا بهذا، فليراجع كتب عقائد المسلمين كافة والتي تشهد بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى.

وقد اكتفينا في معرض الرد على هذا الكلام بهاتين النقطتين وإلا احتجنا لمطولات للرد على مثل هذا الكلام، والرد الذي قدمناه بما يسمح به المقام..

أنت فمني، وأنا منك:

قبل الشروع في الحديث عن دلالات هذه المقولة يجب العروج على أسباب ربط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتصريحه بفضائل أهل البيت وخاصة الإمام علي عليه السلام وحادثة القضاء في قضية ابنة حمزة، وما هو الدافع من وراء تصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الفضيلة للإمام علي بخصوص هذه القضية..

وحيث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك فرصة أو حادثة ما إلا واستغلها لكي يظهر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وأن اختيار مثل تلك الحوادث له من الآثار والأوجه العديدة التي تثبت حقه وفضله في هذه الأمة، ومن تلك الأوجه:

أ: إن مثل تلك الحوادث بما لها وما فيها، فإنها تترسخ في ذهن الناس، فيصبح هناك ترابط فيما بين هذه الحادثة بما لها من وقع وتأثير، ومن الطبيعي كلما ذكرت هذه الحادثة أن تذكر الفضيلة معها، وتعود إلى الأذهان ويتباحث القوم فيها لارتباطها الوثيق فيما بينها وبين الحادثة.



ب: إن فعل النبي ﷺ وقوله وتقريره هو مصدر من مصادر التشريع، ولا يمكن لأي أحد أن يعترض عليه، وذلك لأنه ﷺ هو على ارتباط بالوحي الإلهي.

ومن هنا، فإن كل من يمدحه أو يزيكه النبي ﷺ ويعطيه من الفضائل لكونه أمر من عند الله سبحانه وتعالى، وبوحي منه ﷺ لإظهار حقيقة ذاك الشخص المختص بتلك الفضائل.

ج: إن استخدم النبي ﷺ لهذه الطريقة وربط الأمور والوقائع والحوادث؛ لكي يذكر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومنها فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يسمى بـ «محاكاة العقل الجماعي للأمة».

فإن ذلك لا يتعلق فقط بحادثة معينة بزمان أو مكان ما حصلت فيها فقط بل هي تمتد وتصلح كدليل يستدل به، وحجة يحتج بها.

وهذا ما قام به الإمام الحسن (عليه السلام) فعلياً من خلال استدلاله بهذه الحادثة التي لها علاقة بالقضاء فيما بين متخاصمين في مسألة هي محض مسألة فقهية شرعية لكي يظهر فضيلة من فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام). ولولا أن هذه الحادثة لم تكن عالقة في ذهن هذا «العقل الجماعي للأمة»، والذي استطاع النبي ﷺ أن يرسخها في وجدان الأمة ما كان للإمام الحسن (عليه السلام) أن يستعملها كدليل ويحتج بها عليهم، بما لها من ارتباط وثيق بالعقل الجماعي الذي تحدثنا عنه..

وبالعودة لحادثة قضاء النبي ﷺ فيما بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وجعفر بن أبي طالب (عليه السلام) وزيد بن حارثة فقد ذكرت في المصادر على هذا النحو: «حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هَانِي بْنِ هَانِيٍّ، وَهَبِيرَةَ بْنِ يَرِيمَ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «لَمَّا خَرَجْنَا مِنْ مَكَّةَ اتَّبَعَتْنَا ابْنَةُ حَمْزَةَ تُنَادِي: يَا عَمَّ، يَا عَمَّ».

قَالَ: فَتَنَاوَلْتُهَا بِبَيْدِهَا، فَدَفَعْتُهَا إِلَى فَاطِمَةَ، فَقُلْتُ: دُونَكِ ابْنَةُ عَمِّكِ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ اخْتَصَمْنَا فِيهَا أَنَا وَجَعْفَرُ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَالَ جَعْفَرُ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا عِنْدِي. يَعْنِي أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ.

وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي.

وَقُلْتُ: أَنَا أَخَذْتُهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا أَنْتَ يَا جَعْفَرُ، فَاشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي، وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَلِيُّ، فَمِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا زَيْدُ، فَأَخُونَا وَمَوْلَانَا، وَالْجَارِيَةُ عِنْدَ خَالَتِهَا، فَإِنَّ الْخَالََةَ وَالِدَةٌ» (٧٦).



وبعد مطالعة آراء الذين علقوا على تلك الرواية انقسم الرأي بينهم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قالوا أن هناك مشكلة في سندها ولا يمكن الاستدلال بها لضعف السند^(٧٧).

القسم الثاني: اعتبر هؤلاء بأنه لا يصح الاستناد بها في شيء والسبب في ذلك أنه ليس من الممكن أن يكون النبي ﷺ قد قال ذلك للإمام علي (عليه السلام)، وقالوا أنه لا يمكن الاستدلال بها على أنها من فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) وحده^(٧٨).

القسم الثالث: وذهب هؤلاء إلى أن هذه الرواية تصلح فقط لبيان مسألة فقهية أو كيفية القضاء في مثل هذه الحالات، أو اظهار حكم من له الحق برعاية البنت بعد فقدان أبيها^(٧٩).
ونجيب:

أولاً: بالنسبة للقسم الأول: الذي طعن في الرواية من جهة السند فإننا نحيلهم إلى المصادر التي وضعنها في الهامش والتي نقلنا هذه الرواية منها، لكي يتمعنوا بها وما قاله أصحاب تلك المصادر عن هذه الرواية وعن مدى صحتها. إلا أننا وزيادة في التأكيد ننقل للقارئ الكريم بعض ما قيل عن سند الرواية:

١ - قال الشيخ شرف الدين: «رواه الترمذي في المناقب مختصراً على الموافقة عن البخاري: حديث صحيح [إلى أن قال] فوقع لنا من الحديث والمتفق عليه موافقة عالية للترمذي عن شيخه البخاري كأني سمعته من أبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكراجي»^(٨٠).

٢ - وجاء في هامش مسند أحمد:

إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير هانئ بن هانئ وهبيرة بن يريم فقد روى لهما أصحاب السنن، وحديثهما حسن لمتابعة أحدهما للآخر.

وأخرجه أبو يعلى (٥٢٦) و (٥٥٤) عن عبد الرحمن بن صالح، عن يحيى بن آدم، بهذا الإسناد. وهو عنده مختصر، بذكر فضيلة زيد بن حارثة فقط.

وأخرجه الحاكم ج ٣ ص ١٢٠ من طريق عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، بطوله. وصحح إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن سعد ج ٤ ص ٣٦، وابن أبي شيبة ج ١٢ ص ١٠٥، والبزار رقم الحديث (٧٤٤)، وابن حبان رقم الحديث (٧٠٤٦) من طريق عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، به.



مختصراً، ذكر ابن سعد وابن أبي شيبه وابن حبان فضيلة جعفر وحده، وذكر البزار فضائل الثلاثة، وروايته عن هانئ بن هانئ وحده.

وأخرجه أبو داود رقم الحديث (٢٢٨٠) من طريق إسماعيل بن جعفر، عن إسرائيل، به. دون ذكر فضائل الثلاثة.

وأخرجه أبو يعلى رقم الحديث (٤٠٥)، والبيهقي ج ٦ ص ٨ من طريق زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، به. أورده البيهقي بطوله، أما أبو يعلى فأورده مختصراً بلفظ: «الخالة بمنزلة الأم» ولم يذكر في سنده هبيرة بن يريم.

وأخرجه بنحوه الحاكم ج ٣ ص ٢١١ وصححه على شرط مسلم، وعنه البيهقي ج ٦ ص ٨ من طريق الفضل بن محمد الشعрани، عن إبراهيم بن حمزة، عن عبد العزيز بن محمد، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن نافع بن عجير، عن أبيه نافع، عن علي بن أبي طالب... فذكره. قال البيهقي: وكذلك رواه محمد بن يحيى الذهلي عن إبراهيم بن حمزة، وكذلك رواه عبد العزيز بن عبد الله عن عبد العزيز بن محمد (قلنا: وهو في «التاريخ الكبير» للبخاري ج ١ ص ٢٤٩-٢٥٠). قلنا: وهذا الإسناد رجاله ثقات، ومحمد بن نافع بن عجير وثقه ابن إسحاق. فيما ذكره البخاري - وأورده ابن حبان في «الثقات» ج ٧ ص ٤٣١.

ثم قال البيهقي: وهو في كتاب «سنن أبي داود» برقم (٢٢٧٨) عن العباس بن عبد العظيم، عن عبد الملك بن عمرو، عن عبد العزيز بن محمد، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن نافع بن عجير، عن أبيه، عن علي (عليه السلام). والله أعلم، والذي عندنا أن الأول أصح. وتابعه على رأيه هذا الحافظ ابن حجر في «النكت الظراف» ج ٧ ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

وفي الباب عن البراء بن عازب عند ابن أبي شيبه ج ١٢ ص ١٠٥، والبخاري برقم (٢٦٩٩)، والترمذي برقم (٣٧٦٥)، وعن ابن عباس^(٨١).

وبعد أن عرضنا آراء علماء الحديث والرواية من المصادر التي نقلت الرواية، نقول:

أ - يكفيننا لرد شبهة الذين قالوا بضعف سندها ما تم عرضه من أدلة وأقوال تتحدث عن صحة السند ومقبوليته عند علماء الرواية والدارية..

ب - إن ما يحاوله هؤلاء من خلال تضعيف أو تكذيب مثل تلك الأحاديث التي تتحدث



عن فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) كمن يحاول بكفيه أن يحجب نور الشمس في رائعة النهار..

ج - يجد الباحث المنصف أن تضعيف هؤلاء لأي حديث أو رواية لمجرد أنها تذكر فضيلة لأهل البيت (عليهم السلام) ليس من منطلق علمي، أو استناداً لأي دليل بل هو مجرد عمل ينم عن أنهم يتبعون أهواءهم، ويريدون فقط فرض آراءهم وإن كان باطلة..

ثانياً: في هذا المحور سوف نجيب على أصحاب الرأي الثاني الذين انقسموا على أنفسهم في معرض ردهم على هذه الرواية. فمنهم من قال: أن النبي (صلى الله عليه وآله) لا يعني ما قاله عن علي (عليه السلام) بأنه هو منه، فأقصى ما قد يعنيه النبي (صلى الله عليه وآله) من قوله هذا: أن الإمام علي (عليه السلام) هو صهره ونسيبه وأب لأحفاده فقط لا غير.

ومنهم من قال: لا يمكن أن تكون هذه الرواية منحصرة بفضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وذلك لأن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لجعفر بن أبي طالب (عليه السلام): «فَأَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي». وأنه (صلى الله عليه وآله) ليس بصدد اظهار أي من فضائل علي (عليه السلام) أو غيره، إنما قال هذا الكلام فقط لكي يرضي المتخاصمين في مسألة رعاية بنت حمزة (عليه السلام).

ومن هنا، فإننا نجيب على الطرفين معاً بالتالي:

١ - كان يمكن أن يصح قول الذين قالوا أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقصد أن يسلط الضوء على قرابة الإمام (عليه السلام) منه من ناحية النسب بأنه ابن عمه وصهره وأبو أحفاده لو انحصر تصريح النبي (صلى الله عليه وآله) فقط في هذه الحادثة على المقولة التالية: «أما أنت يا علي فمني وأنا منك» ولكن النبي (صلى الله عليه وآله) أعاد هذه المقولة في عدة مناسبات ولم تكن منحصرة في هذه الحادثة فقط، ولكان من الممكن أن نقبل بصوابية رأيهم..

وكذلك الحال بالنسبة للذين قالوا بأن هذه الرواية لا تصلح لتكون استدلالاً على فضل علي (عليه السلام)، فإن الجواب عليهم هو نفسه، فلو أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكرر هذه المقولة لأمير المؤمنين (عليه السلام) أكثر من مرة وفي العديد من الأماكن ولعدة مرات لكان مقبولاً هذا الادعاء.

فهل كانت مقولة النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) مجرد كلمة عابرة؟؟

أو كانت جائزة ترضية حتى يسكت الإمام علي (عليه السلام) ويرضيه؟!

ولكنه (صلى الله عليه وآله) لم يترك مناسبة تمكنه من أن يذكر فيها منقبة من مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام)



إلا واستغلها وعبر عنها إما تصريحاً أو تلميحاً، ومن هذه الأحاديث التي جاء فيها نفس العبارة المستخدمة في حادثة أبنه حمزة، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: لعلي عليه السلام: «لولا أن يقال فيك ما قالت النصارى في المسيح لقلت اليوم فيك مقالة لا تمر بملاً من المسلمين إلا أخذوا تراب نعليك، وفضل وضوئك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك، ترثني وأرثك»^(٨٢).

ب: وروي عنه ﷺ في قوله لعلي عليه السلام: «أنت مني وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، والراد عليك هو الراد علي، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني»^(٨٣).

ونقول:

لا بد من سؤال هؤلاء وأولئك: هل أن النبي ﷺ هنا أيضاً حين استخدم التعبير ذاته كان قاصداً إظهار نسبته وقربته من الإمام علي عليه السلام، أو أن كلامه ﷺ هنا أيضاً للمواساة فقط؟! أم كان قاصداً ومتعمداً إظهار وتبيان فضائل ومناقب الإمام علي عليه السلام، ونقول لهم عليكم وبالتدبر ومراعاة الدليل..

وكما هو ظاهر من لسان حال الروايات التي قدمناها أن مقولة النبي ﷺ لا يمكن حصرها فقط في إظهار النسبية والقربة، وهي من المؤكد وبما لا يحتمل النقاش أنها من الفضائل والمناقب، بل أنها تتعدى إلى مشاركة الإمام علي عليه السلام للنبي ﷺ في المعرفة والعلم. وكما أن النبي ﷺ نشر الدعوة وأظهر دين الله الذي هو من صميم رسالته، فإن الإمام علي عليه السلام قد ساهم في إبقاء الإسلام، ودافع عن الحق في كل المواقف وزلل كل الصعوبات في جميع الميادين..

وبعد الذي تم تقديمه أصبح واضحاً للجميع بما لا يحتمل الشك أو الظن أو التخمين أن أصحاب الرأي الثاني بفرعهم والذين نفي فضائل أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً ولكن منهم على طريقته قد فشلوا في ذلك لأن المتدبر للأمور ولن تمر عليه مثل تلك الخدع والأقوال الباطلة.

ثالثاً: أما القسم الثالث والذين ادعوا أن هذه الرواية لا تصلح إلا لبيان مسألة فقهية أو قضائية أو حكم شرعي أو كيفية التقاضي، فإننا نقول:

١- لا يمنع من أن النبي ﷺ كان قد قضى بين جعفر وزيد والإمام علي عليه السلام وأتى بحكم شرعي، وأظهر مسألة فقهية. أو أنه ﷺ قد أوضح كيف يجب أن يكون القاضي عند تحاكم



المتخصصين عنده، وذلك حين أجاب الثلاثة بطريقة دمثة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أخلاقيات النبوة الذي قال ﷺ عن نفسه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٨٤).

ومع هذا فلا مانع أن يستغل النبي ﷺ مثل هذه الحادثة؛ لكي يظهر فضائل الإمام علي (عليه السلام)، بل يكون هذا عامل مساعد في ترسيخ هذه الفضيلة في أذهان الأمة، كما أسلفنا سابقاً في بداية هذا المبحث حين تحدثنا عن استدلال الإمام الحسن (عليه السلام) بهذه الرواية في خطبته وهو في معرض استدلاله على فضائل أبيه.

٢ - ويظهر لنا وللمرة الثالثة كيف أن أصحاب الأهواء والنفوس المريضة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وأقلامهم، والله متمم نوره. فإن أقصى ما يريده هؤلاء أيضاً هو التعمية على فضائل ومناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) ولكن بطرق مختلفة، ومع هذا فإن الدليل القوي واستدلال المستند إلى العقل والبصيرة السليمة لا بد وأن يفضح زيف أصحاب هذه الأقاويل الضعيفة والسرائر المريضة.

السابقون السابقون:

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه أيضاً في قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (٨٥). قال: يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل ياسين سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلى رسول الله ﷺ (٨٦).

وقد جاء في كتب السير والأحاديث أن أول من آمن بالنبي ﷺ من النساء خديجة، ومن الذكور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وعمره يومئذ عشر سنين (٨٧).

ولكن هذا لا يمنع الحقيقة التالية وهي: كون الإمام علي (عليه السلام) قد ولد مؤمناً، وقد شهد الشهادتين من حين ولادته المباركة، كما صرحت بذلك العديد من الروايات. هذا بالإضافة إلى دلائل وشواهد أخرى دلت على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان مؤمناً برسالة النبي ﷺ منذ نعومة أظفاره، وهذا ما يدل عليه ما جاء عنه (عليه السلام) بأنه «صلى قبل الناس بسبع سنين، وأنه عبد الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة» (٨٨).

واستدلال الإمام الحسن (عليه السلام) الهدف منه هو توجيه الأنظار نحو مسائل مهمة من حين تحدث عن مسألة السابق إلى الإيمان، ومن هذه النقاط التالي:



١- إن السبق إلى الإيمان والتصديق بالرسالة، ودعم مهمة النبي ﷺ ليس كمن آمن به لاحقاً.
 ٢- لا يمكن لأي فعل أو عمل حتى ولو كان عمارة المسجد الحرام، ورعايته وسقاية الحجيج بأن يكون ثوابه عند الله مثل ثواب الإيمان بالله ورسوله والسبق إلى التصديق بهذه الرسالة الإلهية، ولن ينفع فعل السقاية وعمارة المسجد الذين لا يعتقدون باليوم الآخر، أو أن يشبهوا أنفسهم بالذي جاهد في سبيل اعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، ولذلك فإن الإمام الحسن (عليه السلام) استشهد بهذه الآية في كلامه على مسألة السبق إلى الإيمان، حيث قال: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٨٩).

حادثة وحديث الغدير:

إن حادثة وحديث الغدير وما حصل فيها لهو من الأمور الثابتة عند جميع المسلمين وقد وصل حد التواتر حيث أنه لا يمكن إنكار حدوثها أو نفي ما تم فيها للإمام علي (عليه السلام). وقد جمع العلماء ما روي عن هذه الحادثة في طائفة كبيرة من المصادر ومنهم العلامة الأميني في كتابه «الغدير» وقد نقل العلامة الأميني: «رواه أحمد بن حنبل من أربعين طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً، والجزري المقري من ثمانين طريقاً، وابن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبو سعيد السجستاني من مائة وعشرين طريقاً، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً، وفي تعليق هداية العقول ج ٢ ص ٣٠ عن الأمير محمد اليميني (أحد شعراء الغدير في القرن الثاني عشر): إن له مائة وخمسين طريقاً»^(٩٠).

وقد أنهاها أبو العلاء العطار إلى مائتين وخمسين طريقاً^(٩١).

إلا أن خطبة الغدير طويلة جداً وأشار الإمام الحسن (عليه السلام) على ثلاثة أمور منها:

الأول: حين قال (عليه السلام): «حين أخذ بيد أبي (بغدير) خم».

الثاني: حين قال (عليه السلام): «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

الثالث: وهو قوله (عليه السلام) أن النبي ﷺ: «أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب».

ونقول:

أولاً: بالنسبة للمسألة الأولى، فإن أخذ النبي ﷺ بيد الإمام علي (عليه السلام) يدل على الأمور

التالية:



١- إن رسول الله ﷺ قد مازج بين حركة الواقع، وبين رمزية الفعل الدال عليه، وهذا ما يجعل الناس تعيش شعور التمثيلي المرتبط بين الواقع وما بين الرمز بصورة واقعية، تم ملاحظتها بالعين المجردة.

٢- من أجل ذلك نلاحظ: أن النبي ﷺ قام برفع يد الإمام علي عليه السلام، وهذا ما يجعل له مقام الرياسة والسيادة بإعلان إمامته من بعد رفعه ليده عليه السلام، وذلك لتتوافق الحركة العملية الواقعية مع المضمون الذي أرادته رسول الله ﷺ وهو القاضي بتنصيبه عليه السلام من قبل الله عز وجل..

ما يدل على أنه ﷺ كأنما يريد للناس أن يربطوا هم بأنفسهم بين هذه الحركة الرمزية - وهي رفع يد الإمام علي عليه السلام - وبين جعل الحاكمية له، لتصبح هذه الحركة وكأنها إنشاء عملي منه ﷺ، ورفع اليد يعني التنصيب وجعله المفضل على الآخرين أو الرابع دون غيره بهذا المقام.

٣- ثم يتجاوز النبي ﷺ من الفعل التعبيري وهو رفع يد الإمام علي عليه السلام إلى التصريح القولي، بأن يقول: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه..» ولكي نتحدث عن الدلالات المتعلقة بهذا القول نتقل لبحثه في المحور التالي.

ثانياً: الأمر الثاني الذي استند إليه الإمام الحسن عليه السلام في اظهار الحجج الدامغة حين تمثل قول النبي ﷺ معلناً ولاية أبيه من بعده بقوله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه..».

ولا بد لنا أن نبين معنى الولاية في حديث الغدير:

حيث قال السيد مرتضى قدس: «أولى بمعنى مولى، كما قاله أئمة اللغة في تفسير الآية» (٩٢).

وقوله هذا «رحمه الله» في مقابل من ادعى أن كلمة «مولى» بمعنى المحب والناصر، أو السيد، أو المتولي للأمر، أو أنها بمعنى المالك أو المعتق وأنها ليست بمعنى الولاية. ومع ملاحظة هذه المعاني التي ذكرت، نقول:

أ: إن كان المراد به: هو وجوب حب علي عليه السلام من قبل المؤمنين، أو أنه ﷺ ينشأ وجوب حبه عليهم، فإن ذلك محصل وحاصل بالفعل، وذلك أن على جميع المؤمنين أن يحبوا بعضهم بعضاً، وما معنى أن يجمع النبي ﷺ لتلك الأعداد الهائلة التي قدرت بالألوف في غدير خم؟!

ليقول لهم: يجب أن تحبوا أخاكم علياً.



ولماذا جعله الله ﷺ بالتوازي مع تبليغ الرسالة حيث قال ﷺ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (٩٣).

ولماذا جعل من وراء هذا التبليغ اكمال الدين واتمام النعمة به؟! ومن ثم يهتبه كل من حضر على هذا الأمر، وعلى رأسهم أبي بكر وعمر، ويصرحان بقولهما: «بخ بخ يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة» (٩٤). وكأنه لم يكن كذلك قبل هذا الوقت بالنسبة لهما؟!

ألم يكن الله سبحانه قد جعل حب المؤمنين بعضهم لبعض واجباً؟! وجعلهم بمثابة الأخوة؟! وقد صرح النبي ﷺ في كثير من الأحاديث التي تفيد هذا المعنى!! ب: ويمكن أن نضيف إلى ما تقدم: أن النصره والمحبة تشمل جميع المؤمنين وليس هذا الأمر خاص بالإمام علي عليه السلام لوحده..

وإن كان القصد هو إيجاد نصره أخص وأقوى من النصره التي تشمل عموم المؤمنين لكي يخصص بها الإمام علي عليه السلام فهذا هو عين المطلوب منهم، لأن هذا المعنى هو من مختصات الإمامة. وإن خصوصية هذه النصره لمولوية رسول الله ﷺ على المؤمنين قد نقلها إلى الإمام علي عليه السلام حين قرن مولويته بمولوية الإمام علي عليه السلام.

ج: وإن عكسنا الأمور، وقلنا بأنه من الواجب على الإمام علي عليه السلام أن يحب المؤمنين وينصرهم، فإن هذا لا يحتاج إلى كل تلك الجموع الغفيرة والألوف من الناس التي جمعها النبي ﷺ في يوم الغدير، ولا حتى لتتنزل هذه الآيات، وما رافق هذا الحدث من أمور، ويكون من الكافي فقط أن يبلغ الإمام علي عليه السلام أنه من الواجب عليه حب المؤمنين. على أن هذه الفرضية هي خلاف المنطق، ويجعلنا نسأل عن سبب تخصيص الإمام علي عليه السلام دون غيره لكي يحب المؤمنين؟!

د: إذا تأملنا بقول النبي ﷺ: «ألست أولى بكم من أنفسكم». فذاك يفيد أن هذه الولاية الواجبة من نصره ومحبة للنبي ﷺ مصدرها هذه الأولوية منهم له.. ثم أنه ﷺ جعل نصره ومحبة علي عليه السلام كوجوب محبته ونصرته. فلذلك أتبع هذه العبارة بقوله: «فمن كنت مولاه، فهذا علي مولاه..».



هـ: وأما قولهم بأن المراد من كلمة «المولى» هو المالك والمعتق، فإن ظاهر الحال ينفي هذا الادعاء إذ لم يكن هناك من ملكية حقيقية، ولا عتق ولا اعتناق..

و: أما عن قولهم بأن كلمة «المولى» تعني «السيد»، فهو قريب جداً من المعنى الأول وذلك: «لأن السيد هو المتقدم على غيره. وهذا التقدم ليس بالقهر والظلم، لأن النبي ﷺ قرن سيادة علي (عليه السلام) بسيادة نفسه، فلا بد أن يكون التقدم بالإستحقاق، من خلال ما يملك من مزايا ترجحه عليهم، وبديهي: أن أية مزية شخصية لا توجب تقدماً، ولا تجعل له حقاً عليهم، يجعله أولى بهم من أنفسهم، إلا إذا كانت هذه المزية قد أوجبت أن يجعل من يده منح الحق ومنعه لصاحب هذه المزية مقام الأولوية بهذا المستوى الذي هو من شؤون النبوة والإمامة. وليس لأحد الحق في منح هذا المقام إلا الله تبارك وتعالى»^(٩٥).

ز: وبالنسبة لقولهم أن «المولى» تعني «المتصرف» أو «المتولي للأمر»، فهناك ارتباطاً وثيقاً فيما شرحناه سابقاً أعلاه وبين هذه المقولة، وهو أنه يثبت له بجعل من الذي له الحق في الجعل بالتصرف بالأمر والتولي لها، وهو الله عز وجل بطبيعة الحال.

ثالثاً: حين ركز الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبته هذه على أمر النبي ﷺ حين قال: «أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب»، فيلزم منه أمور عدة:

١- حين يأمر النبي ﷺ من حضر بأن يعلم الشاهد منهم الغائب بما سمعوا ورأوا منه، فذلك يشير إلى أن هذا الأمر سيواجه من بعض المشككين بالإنكار، وستثار الشكوك والشبهات حوله، حتى إنه سيحتاج هؤلاء الشهود من الناس الذين حضروا لكي يقولوا ما حصل من جديد يوم غدیر خم.

٢- لأنه ليس أمراً عادياً، بل للناس مسؤولية كبرى تجاهه.

٣- لأنه أمر اعتقادي، تدبيري، يرتبط بمصير الأمة بأسرها، فمن الواجب الاهتمام، والالتزام به فكرياً، واعتقاداً، وعملاً، وأن يمنعوا الآخرين من تزويره وتدليسهم والعبث به، أو أن يتخطوه إلى غيره.

وخلاصة القول، لا يمكن للمشككين أن يخفوا ما أوضحه الله ورسوله، وبينه الأئمة الأطهار لوضوح الحق دون أي شائبة، وقد احتج الإمام المجتبي (عليه السلام) بهذه الحادثة المتواترة



التي لم تخفَ على أحد، حيث أن الإمام الحسن (عليه السلام) قال في خطبته هذه: «وقد رأوه وسمعوه حين..» وهذا يدل على أنهم شاهدوا وسمعوا وقد طرق كلام النبي (صلى الله عليه وآله) أبواب مسامعهم، وهز أستار نفوسهم، ومع هذا كله ضيعوا حق أهل البيت (عليهم السلام)..
لم تجدوا غيري وغير أخي:

ثم انتقل الإمام الحسن (عليه السلام) ليقول: «أيها الناس إنكم لو التمستم ما بين جابلقا وجابر سا رجلاً جده نبي، وأبوه وصيه لم تجدوا غيري وغير أخي، فاتقوا الله ولا تضلوا».
ونقول:

أولاً: إن الإمام الحسن (عليه السلام) يوضح ويبين للناس مكانته وأخاه الإمام الحسين (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن هذا الدين الذي ارتضاه الله (عز وجل) بعد اتمام النعمة وكمال الدين بالوصاية والولاية للإمام علي (عليه السلام) وولايتهم من بعده. ويمكن أن نلاحظ مسألة حين قال (عليه السلام): «جده نبي، وأبوه وصي»، ولم يذكر أبوه الإمام علي (عليه السلام) بأنه مثلاً زوج ابنة النبي (صلى الله عليه وآله)، أو ابن عم النبي. بل قال (عليه السلام) وبشكل واضح عبارة «وأبوه وصيه» مركزاً على مقام الوصاية والولاية كي لا يلتبس على الناس مقامهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ثانياً: وإسباًغاً للحجة تحدى السامعين له في هذه الخطبة قائلاً لهم: «لو التمستم ما بين جابلقا وجابر سا رجلاً..».

وهذا يحثهم على الأمور التالية:

أ - البحث والتدقيق في نسبه من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ب - عدم وجود من هو مثله ومثل أخيه في هذه المكانة.

ج - استخدم الإمام الحسن (عليه السلام) أسماء مناطق وهي «جابلقا وجابر سا» وقد جاء في التعريف عن هاتين المنطقتين ما يلي:

نقل السرخسي: «وعن أبي يوسف «رحمه الله تعالى» فيه روايتان في إحدى الروايتين قال: من جابلقا إلى جابلتا، وهما قرستان أحدهما بالشرق والآخرى بالمغرب..» (٩٦).

وعن المسعودي نقل عن الحديث التالي: «إن الله عز وجل خلق مدينتين واحدة في المشرق واسمها جابلقا، وأخرى في المغرب واسمها جابر ضا..» (٩٧).



ونفهم أن استخدام الإمام الحسن (عليه السلام) لأسماء هاتين المدينتين قاصداً لو أنهم سعوا في الأرض من مشرقها إلى مغربها فلن يجدوا رجلاً بهذه المواصفات التي يحملها واختصه بها الله عز وجل غيره وأخاه الإمام الحسين (عليه السلام).

ثالثاً: أما عن قوله (عليه السلام): «لم تجدوا غيري وغير أخي». وهذا على نحو الجزم والقطع أنهم لم ولن يجدوا غيرهما، وبذلك أيضاً يكون الإمام الحسن (عليه السلام) يعمل على إيضاح مسألة مهمة، وهي أن ما له هو من خصائص فإنها لأخيه الحسين (عليه السلام)، وأن الناس لن يلتمسوا من هم بنفس قدرهما ومكانتهما من دين الله ونبيه ﷺ.

وقد استخدم الإمام الحسين (عليه السلام) نفس هذه العبارة حين ظهر له حقد مروان بن الحكم حيث نقلوا عن محمد بن السائب أنه قال: «قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن علي (عليه السلام): لولا فخركم بفاطمة، بم كتمت تفتخرون علينا؟!

فوثب الحسين (عليه السلام) - وكان (عليه السلام) شديد القبضة - فقبض على حلقه فعصره، ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه، ثم تركه.

وأقبل الحسين (عليه السلام) على جماعة من قريش فقال:

أنشدكم بالله إلا صدقتموني إن صدقت: أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحب إلى رسول الله ﷺ مني ومن أخي؟! أو على ظهر الأرض ابن بنت نبي غيري وغير أخي؟! قالوا: اللهم لا.

قال: وإني لا أعلم أن في الأرض ملعوناً ابن ملعون غير هذا وأبيه، طريدي رسول الله.

والله ما بين جابرس وجابلق أحدهما بباب المشرق، والآخر بباب المغرب رجلان ممن ينتحل الإسلام أعدى لله ولرسوله، ولأهل بيته منك، ومن أهلك إذ كان. وعلامة قولي فيك أنك: إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبك.

قال: فوالله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب، فانتفض، وسقط رداؤه عن عاتقه» (٩٨).

وكرر الإمام الحسين استخدام نفس المعنى في معرض محاججته جيش ابن سعد، كما استدل الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبته هنا على القوم، فقام الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء باستخدام نفس هذه الطريقة، فقال لهم: «فَإِنْ كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَفْتَشْكُونَ أُنِّي

ابنُ بنتِ نبيِّكم! فوالله، ما بينَ المشرقِ والمغربِ ابنُ بنتِ نبيِّ غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابنُ بنتِ نبيِّكم خاصَّةً» (٩٩).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الأمة ضيعت حقوق أهل بيت نبيها، وجارت عليهم ظلماً وتقتيلاً، إما بالسيف أو بالسم، ولذلك قال لهم الإمام الحسن (عليه السلام): «فاتقوا الله ولا تضلوا». لأن من يضل عن هدي الله سبحانه وتعالى، فإن سعيه سيخيب وجهده سيكون هباءً منثوراً.

لو تمسكت الأمة بالثقلين:

بعد عرض الإمام الحسن (عليه السلام) لكل تلك الفضائل والخصائص والمناقب التي هي لأهل البيت (عليهم السلام) والتي هي لا تعد ولا تحصى، وكما عبر (عليه السلام) حين قال: «لم أحصه..».

وأكمل قائلاً لهم: «وأنا ابن البشير النذير، وأنا ابن السراج المنير الذي جعله رحمة للعالمين..»، وهذا إصرار منه (عليه السلام) على تركيز قضية بنوته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنه أبنة وسبطه في ضمير الأمة ووجدانها، بشكل لا يبقى معه أي مجال للشبهة، أو الشك والترديد.

إلى أن أقسم بالله لو أن الأمة تمسكت بالثقلين وهما الكتاب والعترة لظهرت عليهم آثار هذا التمسك، وقد بين (عليه السلام) بعض هذه الآثار التي كانت ستظهر لهم بالمشاهدة والمعاينة لو أن الأمة فعلت ما أمرها به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فإضافة إلى الأمور الأساسية التي تنبثق عن هذا التمسك بالقرآن والعترة لحفظ الأمة من الضلال، ولا بد أن يكون الاقتران فيما بين العترة والقرآن متناسب مع شموليته، ومع ما يتضمنه من حقائق، وبعد هذا كله فإنك تجدهم قد انصرفوا عن التمسك بالثقلين.

وحين تأخذ الأمة بحديث الثقلين فإنها ستجد التناسب فيما بين العترة والقرآن في مجال العلم، والعمل، والتربية. ويترتب على هذه الأمة أن تلزم الطاعة والنصر لهما. وإن حديث الثقلين يختزن في طياته معنى الإمامة بكل أبعادها وشؤونها..

أما عن الآثار الملموسة الصادرة عن التمسك بكتاب الله وعترة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما عددها الإمام المجتبي (عليه السلام)، فهي:

١- تعطي السماء قطرها أي أنها تنزل مطرها.

والكنوز..الخ

والسلوى لبني اسرائيل إلى أن استبدلوا ما هو أدنى بالذي هو خير.

الخيرات بين الناس إلى يوم القيامة..

عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠٠﴾ .

ومطابق النعل بالنعل، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه»^(١٠١).

الخيرات ستحجم عنهم، والبركات ستمنع أيضاً..

النكوص والطغيان والجهود:

الرجعة إلى الحق».



وسبب هذا الحكم الصادر عن الإمام الحسن (عليه السلام) لأنه أحسن منهم ثلاثة أمور، وهي:

١- صارعهم النكوص وهو التراجع والارتداد ويعني أن أنفسهم قد صُرعت و غُلبت بالارتداد عن الحق واتباعه.

٢- خامرهم الطغيان أي أن عقولهم راودتهم بتجاوز حدود الله وعدم الاستماع لأوامره.

٣- والجحود هو نبذ المعروف، وما أكبر جحود هذه الأمة حين اختارت عدم الانصياع لما أوصاهم به النبي ﷺ في عترته من بعده.

وأنتم لها كارهون:

وأنهى الإمام الحسن (عليه السلام) خطبته بقوله تعالى: ﴿أَنْزِلْ مُكُومَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (١٠٢).

وهذا يعني أن الناس كارهون للبينة التي حكى عنها القرآن مع قوم هود الذين لم يقبلوا منه بيئته واتهموه بالجنون، وقد كرهوا الحق والبينة الآتية من الله فأبدوا كرههم لها ولم يلتزموا بها ولم يستطع نبي الله هود أن يلزم قومه بها. وحين تمثل الإمام الحسن (عليه السلام) بهذه الآية فإنه قصد أن الناس قد تركوا البينات والدلائل والفضائل ومنها تلك التي عرضها لهم في خطبته، مع أن واجبهم أن يتمسكوا بها وأن لا ينكروها، بل وصلت بهم الجرأة لأن يكرهوها كما عبرت الآية الكريمة، ولذلك أنهى الإمام الحسن (عليه السلام) خطبته بكلمة ختامية حين قال: «السلام على من اتبع الهدى» أي أنه يسلم على كل من أخذ بكلامه، واتبع هداه المتبثق من الله عز وجل ورسول الله ﷺ ..



الخاتمة

إن هذه الخطبة تُعد من الخطب البلاغية من حيث الشكل، وخطبة احتجاجية من حيث المضمون لكثرة ما جاء فيها من أدلة وبراهين، فقد ثبتت التالي:

أولاً: من حيث الشكل:

١- قام الإمام الحسن ﷺ بعرض المحور الأساس الذي سوف يعالجه في خطبته، وما يسمى بصدر الخطبة، فقد قدم مقدمة ستمحور حولها الخطبة، ألا وهم أهل البيت.

٢- قام بإجمال تلك الفضائل في تلك المقدمة لكي يفصلها في صلب الخطبة، وهذا ما يسمى من الناحية البلاغية باللف والنشر.

٣- استخدم الإمام الحسن ﷺ الطريقة السردية في خطبته حيث أنه قام بسرد الحجج بطريقة متسلسلة ومتراطة مع بعضها البعض، ما يسمى بالحبكة المتواصلة، بحيث أنه ربط بين الدليل والآخر، بحيث أسس على الدليل الأول ليجعله مقدمة لدليل التالي، ومن ثم للدليل الذي بعده، وهكذا..

٤- اختتم الخطبة بنتيجة أوصل السامع والقارئ إلى خلاصة مفيدة، بعدما أن فند أصل المشكلة واحتج عليهم، وأظهر لهم العقدة التي حاول أن يعالجها من خلال خطبته ليصل في النهاية لحلول التي عرضها.

ثانياً: من حيث المضمون:

١- استند الإمام الحسن ﷺ إلى أدلة معروفة ومشهورة ومعلومة بل لا نبالغ إذا قلنا أنها محفورة في أذهان الناس.

٢- كان يقدم الدليل القرآني ويتبعه بالأحاديث المتواترة، ولم يستخدم الإمام الحسن ﷺ أي من الأدلة التي قد يعترض عليها البعض أو أن يشكل عليه فهمها. بل استخدم الأدلة القوية والتي لها وقع كبير في ضمير الأمة.

٣- قام الإمام الحسن ﷺ خلال عرضه للأدلة بمخاطبة عقل السامع، وفي ذات وقت حاول استثارة الجانب العاطفي عند الناس. وذلك لأن هذه الطريقة لها تأثير أقوى لو أن الخطاب كان عقلياً محضاً، وهو في معرض اثبات حق وتبيان مظلومية. لذلك فإنك تجد في



مفاصل الخطبة بعض الإشارات التي تخاطب عاطفة المستمع والقارئ على حد سواء. ومن الأمثلة على ذلك:

أ: حين تكلم عن فقدان النبي ﷺ لعمه حمزة وابن عمه جعفر (عليه السلام).

ب: حين نسب نفسه لرسول الله ﷺ.

ج: حين خاطب القوم سائلاً هل يوجد من جده نبي وأبوه وصي غيره والإمام الحسين (عليه السلام).

د: حين أبدى تأسفه على ما أصبحت إليه حالة الأمة.

وعند كل هذه الأمثلة فإن عاطفة السامع سوف تتحرك، وتثار لأنه يخاطب ضمير هذه الأمة.

٤ - في معرض سرده للأدلة فإنه اختار أحداث مفصلية ومهمة يستنبط منها دلالات معينة، وعرضها بطريقة مشهدية حيث تجعل السامع أو القارئ يستخدم تخيلته لكي يتصور في ذهنه كيف حصلت تلك الحادثة التي أخبر عنها. ونعطي على سبيل المثال لا الحصر:

أ- حين تكلم عن إخراج النبي ﷺ لأهل بيته (عليه السلام) في يوم المباهلة.

ب- حين أدخل النبي ﷺ أهل البيت (عليه السلام) معه تحت الكساء ومنع السيدة أم سلمى.

ج- حين أمر النبي ﷺ الإمام علي (عليه السلام) بأن يسير بسورة البراءة.

د- حين رفع النبي ﷺ يد علي (عليه السلام) في يوم الغدير.

ففي كل تلك المفاصل، فلا بد لخيال السامع الذي سيحاول تخيل المشهد ليرسمه ويتصور كيفية حصوله.

وأخيراً، فإن الإمام الحسن (عليه السلام) ومن موقعه الإرشادي والحاكمي على هذه الأمة حاول أن يعظهم قدر المستطاع مستخدماً كل الوسائل الممكنة كي يحرك عقولاً جافة، ويقيم نفوس متقلبة، ويردع أهواء متشوقة لدنيا. محاولاً أخذهم إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، إلى أن بذل مهجته (عليه السلام) واستشهد مظلوماً في أمة ضيعت حقه، وقتله الظالمون، وهو الإمام المظلوم المسموم، وسيد شباب أهل الجنة، فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً..



الهوامش

١- نهج البلاغة خطب الإمام علي (عليه السلام): (تحقيق صالح) ص ٣٥٤، وشرح نهج البلاغة: لابن ميثم ج ٤ ص ١١٢، وبحار الأنوار: ج ٣٤ ص ٢٢٤ وج ٦٨ ص ٢٩٢، ومستدرک سفينة البحار: للشاهرودي ج ٩ ص ٢٤٩، وميزان الحكمة: للريشهري ج ٤ ص ٢٧٧٦، وأعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين ج ٤ ص ٧٨، وأعلام الدين: للديلملي ص ٣٢١، واختيار مصباح السالكين: لابن ميثم البحراني ص ٤٢٤.

٢- الآية: ١٧ من سورة هود.

٣- الآية: ١١ و ١٢ من سورة الواقعة.

٤- الآية: ١٩ من سورة التوبة.

٥- الآية: ٥٦ من سورة الأحزاب.

٦- الآية: ٦١ من سورة آل عمران.

٧- الآية: ٣٣ من سورة الأحزاب.

٨- الآية: ١٣٢ من سورة طه.

٩- الآية: ٣٣ من سورة الأحزاب.

١٠- الآية: ٦٦ من سورة المائدة.

١١- الآية: ٩٦ من سورة الأعراف.

١٢- الآية: ٢٨ من سورة هود.

١٣- الأمالي الطوسي: ص ٥٦٧، وحلية الأبرار: للشيخ البحراني ج ٢ ص ٧٨، وتفسير البرهان: للسيد البحراني ج ٢ ص ٨٣٢ وج ٤ ص ٤٥٨، وينايع المودة لذوي القربى: للقندوزي الحنفي ج ٣ ص ٣٧٠، والروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (عليه السلام): للسيد الموسوي ص ٥٨.

١٤- كشاف اصطلاحات الفنون: لمحمد علي التهانوي ص ٤٥٢.

١٥- الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

١٦- الآية السابقة.

١٧- الوافي: للفيض الكاشاني ج ٤ ص ٤١، وبصائر الدرجات: لمحمد بن الحسن ص ٩٠ وص ١٢٦، والكافي: للشيخ الكليني ج ٢ ص ٨، مختصر بصائر الدرجات: لحسين بن سليمان الحلبي ص ١٥٥.

١٨- الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

١٩- بحار الأنوار: للعلامة المجلسي ج ٣٧ ص ٢٩٣ وص ٢٩٥ وص ٣٢٢، ومدينة المعاجز: للسيد البحراني ج ١ ص ٥٨ وج ١ ص ٦١.

٢٠- الآية: ٩ من سورة النجم.

٢١- الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

٢٢- الآية: ٧ من سورة الأحزاب.

٢٣- الآية: السابقة.

٢٤- الآية: ٨١ من سورة آل عمران.



٢٥- بحار الأنوار: للمجلسي ج ٥ ص ٢٣٦ وج ٢٦ ص ٢٦٨، ومدينة المعاجز: للسيد البحراني ج ١ ص ٦٠، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للهاشمي الخوئي ج ٢ ص ١٦٦، ومستدرک سفينة البحار: للشاهرودي ج ١٠ ص ٢٤١، والبرهان في تفسير القرآن: للسيد البحراني ج ٤ ص ٤١٨، وتفسير نور الثقلين: للحويزي ج ١ ص ٣٥٨.

٢٦- الآية: ١٧٢ من سورة الأعراف.

٢٧- بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٥٠، وبصائر الدرجات: لمحمد بن الحسن ص ٩١، ومدينة المعاجز: للسيد البحراني ج ١ ص ٦١، ومستدرک سفينة البحار: للشاهرودي ج ١٠ ص ٢٤٢، والأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة: للشيخ الكربلائي ج ٤ ص ٤٠٠، وغاية المرام وحجة الخصام: للسيد البحراني هامش ص ٩٥، وتوحيد الإمامية: للشيخ الملكي ص ١٤٢.

٢٨- الآية: ٦١ من سورة آل عمران.

٢٩- التفسير الحديث: لمحمد عزت دروزة ج ٨ ص ١٠٨، عن التاج الجامع للأصول: ج ٣ ص ٣٩٦ عن مسلم والترمذي، والكشاف: للزمخشري ج ١ ص ٣٦٨-٣٧٠، والإرشاد: للمفيد (ط دار المفيد) ص ١٦٦.

٣٠- الآية: ٣٣ من سورة الأحزاب.

٣١- جامع البيان: ج ٢٢ ص ٥ و ٧، والدر المنثور: ج ٥ ص ١٩٨ و ١٩٩، عنه وعن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والخطيب، والترمذي، والحاكم، وصحاحه، والبيهقي في سننه، وابن أبي شيبه، وأحمد، ومسلم، وفتح القدير: ج ٤ ص ٢٧٩ و ٢٨٠، وجوامع الجامع: ص ٣٧٢، والتسهيل لعلوم التنزيل: ج ٣ ص ١٣٧، وتأويل الآيات الظاهرة: ج ٢ ص ٤٥٧ و ٤٥٩، والطرائف: ص ١٢٢ و ١٣٠.

٣٢- الآية: ١٣٢ من سورة طه.

٣٣- الآية: ٣٣ من سورة الأحزاب.

٣٤- جامع البيان: ج ٢٢ ص ٥، وكنز العمال: ج ١٦ ص ٢٥٧، ومنتخب كنز العمال: (بهامش مسند أحمد) ج ٥ ص ٩٦ عن ابن أبي شيبه، ولباب التأويل: ج ٣ ص ٤٦٦، والتفسير الحديث: ج ٨ ص ٢٦٢، والدر المنثور: ج ٥ ص ١٩٩.

٣٥- دلائل الصدق: ج ١ ص ٢١ و ٢٢.

٣٦- تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٤٣٣ و ٤٣٥، وكنز العمال: ج ٥ ص ٧٢٤، والطرائف: لابن طاووس ص ٤١١، والصراط المستقيم: ج ٢ ص ٦٤.

٣٧- الآيات: ١٩ - ٢٢ من سورة التوبة.

٣٨- تفسير فرات: ص ١٦٨ و ١٦٩، وبحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٧. وقصة الإفتخار هذه مروية عن الإمامين الباقر والصادق (عليه السلام) وعبيد الله بن عبدة، وعروة وجابر، وعن الكلبي والحارث الأعور.

٣٩- الطرائف: لابن طاووس ص ٥٠، والعمدة: لابن البطريق ص ١٩٣ و ١٩٤، وبحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٣٧ وج ٣٦ ص ٣٨، ونبائع المودة: ج ١ ص ٢٧٧.

٤٠- تفسير ابن كثير: ج ٢ ص ١٥٥، والغدير: ج ٧ ص ١٢١.

٤١- البداية والنهاية: (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ١٥٨، وتاريخ الأمم والملوك: ج ٥ ص ٣٤١ و (ط



- (الأعلمي) ج ٤ ص ٢٥٢، والمتظم في تاريخ الأمم والملوك: ج ٥ ص ٣٢٤، ومقتل الحسين: لأبي مخنف (ط المطبعة العلمية - قم) ص ٧.
- ٤٢- الصواعق المحرقة: ص ١٤٧، وينايع المودة: ج ٢ ص ٤٣٤ و (ط دار الأسوة) ج ١ ص ٣٧ و ج ٢ ص ٤٣٤.
- ٤٣- تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ١٦٩ و ١٩٩ و (ط مدرسة الإمام المهدي ﷺ سنة ١٤٠٩ هـ) ص ٤٨٠ ص ٤٨٨، وبحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٥٧ و ٢٦٣، وتفسير الصافي: ج ٢ ص ٣٧٦.
- ٤٤- الصحيح من سيرة الإمام علي ﷺ: للسيد جعفر مرتضى العاملي ج ٦ ص ٩٦.
- ٤٥- ديوان الشافعي: ص ٧٢ (دار احياء التراث العربي - بيروت).
- ٤٦- الآية: ٤١ من سورة الأنفال.
- ٤٧- لسان العرب، وأقرب الموارد، ومفردات الراغب، والقاموس، ونهاية ابن الأثير، ومعجم مقاييس اللغة، وتفسير الرازي، وغير ذلك من كتب اللغة.
- ٤٨- صحيح البخاري: ج ٢ ص ١٥٧، وسنن الترمذي: ج ١ ص ٣٨٧، وسنن البيهقي: ج ٧ ص ٢٩، ومسند أحمد: ج ٢ ص ٤٠٩.
- ٤٩- مسند أحمد: ج ٢ ص ٤٠٦ و ٤٦٧، وتاريخ بغداد: ج ١ ص ٤٣٥، وكشف الغمة: ج ٢ ص ١٥٠، والمجموع: للنووي ج ٦ ص ٢٢٧، وبحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٣٠٥.
- ٥٠- مسند أحمد: ج ١ ص ٢٠١ و ٢٠٠، وعمدة القاري: ج ٩ ص ٨٠، والمعجم الكبير: ج ٣ ص ٨٦، والذرية الطاهرة: للدولابي ص ١١٣ و ١١٤.
- ٥١- الآية: ٣٤ من سورة القصص.
- ٥٢- الآية: ٣٥ من سورة الفرقان.
- ٥٣- الآيات: ٢٩ - ٣٢ من سورة طه.
- ٥٤- الآية: ٣٥ من سورة القصص.
- ٥٥- الآية: ١٤٢ من سورة الأعراف.
- ٥٦- تفسير الميزان: للعلامة الطباطبائي «قدس سره» ج ١٦ ص ٤٤.
- ٥٧- ينايع المودة: ص ٨٨، ومناقب الإمام علي بن أبي طالب: لابن المغازلي ص ٢٥٥، وترجمة الإمام علي بن أبي طالب: لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ٢٦٦، والإحتجاج: للطبرسي ج ٢ ص ١٤٥، وعلل الشرائع: ج ١ ص ٢٠١، ووسائل الشيعة: (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ٢٠٨ و (ط دار الإسلامية) ج ١ ص ٤٨٧، وشرح الأخبار: ج ٢ ص ٢٠٤، ومناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ٤٠، والعمدة: لابن البطريق ص ١٧٧، والصراط المستقيم: ج ١ ص ٢٣١.
- ٥٨- بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٣٣٤ و ج ٨ ص ٣٣٠، وإثبات الهداة: ج ٣ باب ١٠ ح ٦١٩ و ٧٦١، وعن كنز العمال: ج ١٥ ص ٩٢ و ج ٦ ص ٣٩٠، وتذكرة الخواص: ص ٢٣، وفرائد السمطين: ج ١ ص ١١٥ و ١٢١، وترجمة الإمام علي ﷺ من تاريخ ابن عساكر: (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٠٧، وينايع المودة: ص ٦٥ و ٥٧.
- ٥٩- المناقب: للخوارزمي ص ٧، وتذكرة الخواص: ص ٢٠، والفصول المهمة: لابن الصباغ ص ٢١، ومنتخب كنز العمال: (مطبوع مع مسند أحمد) ج ٥ ص ٣١.



- ٦٠- علل الشرائع: ص ١٣٧ و ١٣٨، وينايع المودة: ص ٢٢٠، وفرائد السمطين: ج ٢ ص ١٠٣ و ١٠٥، والأمالى: للصدوق (ط مؤسسة البعثة) ص ١٥٦، والأمالى: للطوسي ص ٣٦٧، وعيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٨.
- ٦١- بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٥٦، ودعائم الإسلام: ج ١ ص ١٦، والأمالى: للطوسي ص ٥٢١، والغدير: ج ١ ص ٢٦٨، ووفيات الأعيان: لابن خلكان ج ٥ ص ٢٣١، وكنز الفوائد: ص ٢٨٢.
- ٦٢- بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٦٠، ومستدرك سفينة البحار: ج ١٠ ص ٢٩، والدر النظيم: ص ٢٨٤.
- ٦٣- بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٠٦، وتفسير العياشي: ج ١ ص ٣٣٢، والإحتجاج: للطبرسي ج ١ ص ٧٣، واليقين: لابن طاووس ص ٣٤٨، وتفسير الصافي: ج ٢ ص ٤٥، ودعائم الإسلام: ج ١ ص ١٦.
- ٦٤- بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٤٣، ومناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ١٤٢، والمناقب: للخوارزمي ص ١٠٨، وعن الطرائف: ج ١ ص ١٤٨ و ١٤٩ ح ٢٢٤، المناقب: لابن المغازلي، والعمدة: لابن البطريق ص ٤٦.
- ٦٥- مختصر تاريخ دمشق: ج ١٧ ص ٣٣٢، والإعتقاد على مذهب السلف: لأحمد بن الحسين البيهقي ص ٢٠٥، ومسند أبي يعلى: ج ١ ص ٢٨٦، ومعارج القبول: ج ٢ ص ٤٧١، ومسند فاطمة: للسيوطي ص ٦٢، والمعجم: لابن المثنى التميمي ص ٢٣٠، وتحفة الأخوذي: ج ١٠ ص ٢٢٩.
- ٦٦- الأمالى: للصدوق ص ٨٥ (ط مؤسسة البعثة) ص ١٥٦، وإثبات الهداة: ج ٣ باب ١٠ ح ٢٤٣، والمناقب: للخوارزمي ص ٧٦ و ٩٦، ومقتل الحسين: للخوارزمي ج ١ ص ٤٥، وكفاية الطالب: ص ٢٦٤.
- ٦٧- إثبات الهداة: ج ٣ باب ١٠ ح ١٠٨، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٢.
- ٦٨- الآية: ١٧ من سورة هود.
- ٦٩- بصائر الدرجات: لمحمد بن الحسن ص ١٥٣، وبحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٣٨٧، وج ١٠٩ ص ٧، وكتاب الأربعين: للماجوزي ص ٤٥٥، ومنهاج البراعة: للهاشمي الخوئي ج ٢ ص ٢٢٣، وميزان الحكمة: للريشهري ج ٤ ص ٣١٩٤، وشواهد التنزيل: للحسكاني ج ١ ص ٣٦٧، وينايع المودة: للقندوزي الحنفي ج ١ ص ٢٢٥، وغاية المرام: للسيد البحراني ص ٦٢، وشرح إحقاق الحق: للمرعشي ج ١٤ ص ٣١٢ وج ١٧ ص ٤٦١.
- ٧٠- دعائم الإسلام: للقاضي النعمان المغربي ج ١ ص ١٩، وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: للريشهري ج ٨ ص ١٥.
- ٧١- الاعتقادات في دين الإمامية: للصدوق ص ٧٤، وكمال الدين واتمام النعمة: للصدوق ص ١٣، ومعاني الأخبار: للصدوق ص ٢٨ في ترجمة المؤلف، وشرح أصول الكافي: للمازندراني ج ٥ ص ١٦٤، والخاصية على أصول الكافي: للنائيني ص ٥٧٣، ومستدرك نهج البلاغة: للميرجهاني ج ٢ ص ٢٥٧، وكتاب سليم بن قيس: ص ٣١٤ و ٤٢٢، والهداية الكبرى: لحسين بن حمدان الخصبي ص ٩٢، وشرح الأخبار: للقاضي المغربي ج ١ ص ٤٢٠.
- ٧٢- نيايع المودة لذوي القربى: للقندوزي الحنفي ج ١ ص ٣٠٨، وشرح إحقاق الحق: للمرعشي ج ٥ ص ٧٢، والصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: للسيد جعفر مرتضى العاملي ج ٤ ص ١١٣.
- ٧٣- المستدرك: للحاكم ج ٣ ص ٥١، وتخريج الأحاديث والآثار: ج ٢ ص ٥٠، وشواهد التنزيل: ج ١ ص ٣١٨، وذخائر العقبى: ص ٦٩، ومسند أحمد: ج ١ ص ١٥١، ومجمع الزوائد: ج ٧ ص ٢٩.
- ٧٤- دراسة نقدية «لا يؤدي عني إلا علي»: لتقي الدين السني (فلسطين) ص ١ بحث منشور في شبكة



الدفاع عن أهل السنة بتاريخ ٢٥/٢/٢٠١١.

٧٥- تخريج أحاديث الكشف: لجمال الدين الزيعلي تفسير سورة التوبة ج ٢ ص ٥٠، ومختصر تلخيص الذهبي: لابن الملحق الشافعي ج ٢ ص ١١٢٧، والشاذ والمنكر وزيادة الثقة: للدكتور عبد القادر المحمدي ص ٩٣.

٧٦- شرح إحقاق الحق: للسيد المرعشي ج ١٦ ص ١٦٠ وج ٢٦ ص ١٦٢ وج ٣١ ص ٨٧، والمجموع للنووي: ج ١٨ ص ٣٢٨، وسبل السلام: للصنعاني ج ٣ ص ٢٢٩.

٧٧- أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثني عشرية: ج ٢ ص ٦٨٧، وثم أبصرت الحقيقة: لمحمد الخضر ص ٣٤٥، وإكفار الملحددين في ضروريات الدين: لشاه الكشميري ص ١٥٧.

٧٨- ابن تيمية لم يكن ناصياً: لسليمان بن صالح الخراشي ص ١٧٩، والوجيز في أسباب ونتائج قتل عثمان: لمصطفى يونس الفاخري ص ٤٠ و ٤٥، والتعليق على تفسير القرطبي: ج ١ ص ١٤١ و ١٤٢.

٧٩- أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثني عشرية: ج ٢ ص ٦٨٨، وثم أبصرت الحقيقة: لمحمد الخضر ص ٣٤٦، وإكفار الملحددين في ضروريات الدين: لشاه الكشميري ص ١٥٩.

٨٠- أحاديث العوالي: للدماطي ص ٦، والموافقات التساعات: للدماطي ج ١ ص ٧.

٨١- مسند أحمد: (ط الرسالة) ج ٢ هامش ص ١٦١ و ١٦٢.

٨٢- بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٨٤، ومناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢٢٧، ونهج الإيمان: ص ٤٧٩ و ٤٨٧.

٨٣- بحار الأنوار: ج ٣١ ص ٤٠٧ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٣٢، وكتاب سليم بن قيس: ج ٢ ص ٦٣٦ و ٦٦٠.

٨٤- مقدمة كتاب مكارم الأخلاق: للطبرسي (ط سنة ١٣٩٢ هـ) ص ٨، وسفينة البحار: ج ١ ص ٤١٠

و ٤١١، والسنن الكبرى: ج ١٠ ص ١٩٢، ومجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٥، وتحفة الأحوذى: ج ٥ ص ٤٧٠،

ومسند الشهاب: لابن سلامة ج ٢ ص ١٩٢ و ١٩٣، وكنز العمال: ج ٣ ص ١٦، وكشف الخفاء: ج ١

ص ٢١١، والبداية والنهاية: ج ٦ ص ٤٠.

٨٥- الآية: ١٠ من سورة الواقعة.

٨٦- موسوعة الغدير: للأميني (ط سنة ١٤١٦ هـ) ج ٢ ص ٤٣١، وكشف الغمة: للأربلي ج ١ ص ٨٨ و ٨٩.

٨٧- بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٢٩ وج ٣٥ ص ٤٤ وج ٣٨ ص ٢٣٧ و ٢٧٣ وج ١٠٨ ص ٢٥٧، والغدير: ج ٣ ص ٢٣٥، ومستدرك سفينة البحار: ج ٥ ص ١١٤، وتهذيب الكمال: للمزي ج ٢٠ ص ٤٨١.

٨٨- مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١١٢، والخصال: للشيخ الصدوق ص ٤٠٢، والعمدة: لابن البطريق ص ٦٤ و ٢٢٠، والطرائف: للسيد ابن طاووس ص ٢٠ و ٧٠، وذخائر العقبى: ص ٦٠، والصراط المستقيم: ج ١

ص ٢٣٥، وبحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٠٩ و ٢٣٩ و ٢٥٣ و ٢٦٩.

٨٩- الآية: ١٩ من سورة التوبة.

٩٠- الغدير: ج ١ هامش ص ١٤، وذكر تفاصيل ذلك ص ١٥٢ - ١٥٨.

٩١- الغدير: ج ١ هامش ص ٣٠٢ و ١٥٨، عن القول الفصل: ج ١ ص ٤٤٥ للعلوي الهدار الحداد، ونهج

الإيمان: لابن جبر ص ١٣٣، وشرح إحقاق الحق (الملحقات): ج ٩ ص ٦٧٨.

٩٢- رسائل المرتضى: ج ٣ ص ٢٥٣ وج ٤ ص ١٣١، والشافعي في الإمامة: للشيخ المرتضى ج ٢ ص ٢٦١،



- العمدة: لابن البطريق ص ١١٦، وبحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٣٨ وج ٣٧ ص ٢٤٠، وتفسير مجمع البيان: ج ٨ ص ١٢٥، ونهج الإيمان: لابن جبر ص ١٢٤، والصراط المستقيم: ج ١ ص ٣٠٨، والرسائل العشر: للشيخ الطوسي ص ١٣٥، وكنز الفوائد: ص ٢٢٩، وقد ذكر العلامة الأميني طائفة كبيرة من أقوال العرب وأهل اللغة، فراجع كتاب الغدير: ج ١ ص ٣٤٥ و ٣٤٨.
- ٩٣- الآية: ٦٧ من سورة المائدة.
- ٩٤- ما نزل من القرآن في علي عليه السلام: لأبي نعيم ص ٨٦، وثمار القلوب: للثعالبي ص ٦٣٦، تاريخ بغداد: ج ٨ ص ٢٩٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٢٨٤، وتاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢ ص ٢٣٣ و ٢٣٤، وسير أعلام النبلاء: ج ١٩ ص ٣٢٨، والبداية والنهاية: ج ٧ ص ٣٨٦، والمناقب: للخوارزمي ص ١٥٦، ومناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: للكوفي ج ٢ ص ٤٣٠ و ٥١٦، وينايع المودة: ج ٢ ص ٢٤٩.
- ٩٥- الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام: للسيد جعفر مرتضى العاملي ج ٧ ص ٧١.
- ٩٦- كتاب المبسوط: للسرخسي ج ٤ ص ٢٢٢.
- ٩٧- كتاب أخبار الزمان: للمسعودي ص ٤٠.
- ٩٨- الدر النظيم: ص ٥٢٩، والإحتجاج: للطبرسي ج ٢ ص ٢٣، ومناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ٥١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٢٠٩، ومدينة المعاجز: ج ٣ ص ٤٩٧ و ٤٩٨، وبحار الأنوار: ج ٤ ص ٤٤٦، والعوامل: ج ١٧ ص ٨٦.
- ٩٩- موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٤ ص ١٠٨ و ١١٠، وتاريخ الأمم والملوك: ج ٥ ص ٤٢٤ و (ط الأعلمي) ج ٤ ص ٣٢١، والكامل في التاريخ: ج ٤ ص ٦٢، والبداية والنهاية: ج ٨ ص ١٧٨.
- ١٠٠- الآية: ٩٦ من سورة الأعراف.
- ١٠١- مسند أحمد: (ط دار صادر) ج ٢ ص ٣٢٥ و ٥١١ وج ٣ ص ٨٤ و ٨٩، وسنن ابن ماجه: ج ٢ ص ١٣٢٢، وصحيح البخاري: (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٤٤، و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ١٧٠ وج ١٥ ص ٢٣٥، وصحيح مسلم: (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٥٧.
- ١٠٢- الآية: ٢٨ من سورة هود.



معالم قوة الشخصية في خطاب الإمام الحسن (عليه السلام)
- دراسة وتحليل في نص خطبة (أخبركم عن أخ لي) -



الشيخ حسن الجوادي

مركز الدراسات والمراجعة العلمية / العتبة العباسية المقدسة

ملخص البحث

إن الكتابة عن سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام خطوة جادة على مستوى الإيمان للإنسان، وخطوة قياسية في نشر الحق الذي أراد الله نشره بين المجتمع البشري، فكلما تعرض الإنسان لهذه الحقائق كلما تعرض لتدهور كبير، ونعتقد أن بعض ملامح الكارثة تحدث بالفعل ولا يمكن إنكارها، ومنها أنه من الواضح أن إزالة الشخصيات الإلهية المستوحاة من المجتمع الإنساني وغياب أفكاره يؤثر سلباً وبشكل كبير، وتأتي الأبحاث والمؤتمرات لقراءة المؤثرين والمباركين في المسيرة الإنسانية في محاولة لإحياء سيرة الإنسان، لذا أماننا مرحلتان: الأولى: التعريف بالأشخاص المؤثرين والمهمين والمقدسين. الثاني: عرض خطب ومحتويات ووصايا الأئمة والأنبياء عليهم السلام، ومن ثم فإن دعم المؤتمرات هو بمنزلة الافتراض الأكيد من خلال المساهمة والمشاركة، ولذلك تم الالتزام بالعدد الكبير من الالتزامات. فالمشاركة في هذا المؤتمر الهام من إيماننا المجتبي الحسن بن علي عليه السلام، فقد توصل البحث إلى كثير من القواسم المشتركة بين ما يقوله الإمام الحسن المجتبي عليه السلام عن شخصية الإمام الإمام الحسن المجتبي عليه السلام من مودة ومحبة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وبيان موقفه وخاصة في إظهار سمو شخصيته وأنه ليس شخصية هامشية في الإمام وقد تناول الحسن عليه السلام أبعادها المختلفة بعناية.

Abstract

Writing about the biography of the imams of Ahlul Bayt (peace be upon them) is a serious step on the level of faith of human, and a standard step in the dissemination of the truth that Allah wanted to spread among humans .The more human exposed to these facts, the more he was exposed to a great deterioration, and we believe that some of the features of the disaster really happen and cannot be denied, it is clear that the removal of the divine figures inspired by the human society and the absence of their ideas affects a large negative way. The research has reached many commonalities between what the imam Hassan al-Mujtaba (peace be upon him) says and the affection and love of the noble Prophet (peace be upon him) to show the transcendence of his personality and that he is not a marginal figure in the Islamic world.

المقدمة

يتطلع الإنسان المعاصر لبناء شخصيته والعناية بها، لا سيما وأنّ العالم يتجه صوب المادية الساحقة للقيم والفطرة الإنسانية، وما نشاهده من انحراف كبير يجعل البشرية في دوامة من القلق المستقبلي، وما ذلك الا نتيجة واضحة لابتعاد المجتمعات الإنسانية عن الرسالة الإلهية، وهجر العمل بها، فصار الإنسان يتخبط ويتعثّر في متاهات هذه الحياة الشائكة، وصار يحن إلى المنهج الذي يرفع من عطشه، ويعيد توازنه، وراح يبحث في العلوم والفنون المختلفة ويشبع رغباته وغرائزه فتحرر من كل شيء، ولم يجد نفسه في كل هذه المساحات والفضاءات، ويقر الإنسان أنّه بحاجة إلى ملهم ومسدد له في قوله وعمله، يحتاج إلى مرشد في هذه الحياة يرشده إلى الصواب ويستنير بهديه في ظلمات الدنيا ومحنها، ومن هذا المنطلق ووفاءً لقادة البشر اعني بهم رسل الله تعالى وأوليائه الطاهرين (عليه السلام) اجمعين؛ اخذت اسعى لنيل معارف هؤلاء العظماء ونشر ما يمكن نشره وتبليغه، كما هو ديدن رجال هذا الدين الحنيف وسمة أساتذتنا الكرام، فوجدت خطبة الإمام المجتبى (عليه السلام) ناجعة رائعة بديعة في معالجة مشاكل الإنسان الأخلاقية والفكرية وفتحت باب المشاركة في مؤتمر الإمام الحسن (عليه السلام) وقدّمتهام مادة بحثية ضمن المحور الثاني للمؤتمر، فتألف البحث من مبحثين، الأول حمل عنوان، نص الخطبة وتوثيقها في مصادر المسلمين، والثاني حمل عنوان: مركّزات قوة الشخصية في الخطبة الحسنية، وختمته بنتائج البحث.

المبحث الأول: نص الخطبة وتوثيقها في مصادر المسلمين

أولاً: الخطبة في مصادر الإمامية: روى هذه الخطبة عدد من اعلام الطائفة، ونذكر المتقدمين منهم:

١- رواها الشيخ الكليني في كتابه الكافي عن الإمام الحسن (عليه السلام).

٢- رواها ابن شعبة الحراني في تحف العقول عن الإمام الحسن (عليه السلام).^(١)

٣- رواها الشريف الرضي في نهج البلاغة عن الإمام علي (عليه السلام).

تعدّ هذه المصادر من اقدم وامتن المصادر وامتنها التي أخرجت لنا هذه الخطبة، اقدمها يشير إلى انها صدرت عن الإمام الحسن (عليه السلام)، وبعضها يشير إلى انها وردت عن الإمام علي (عليه السلام)، وسيأتي مزيد تحقيق حول حسم هذه المسألة في قادم البحث، ونجد من الضروري ان نورد الخطبة من مصدرين مختلفين على اختلاف في النسبة، نورد الخطبة الأولى من كتاب الكافي، ونورد الخطبة الثانية من كتاب نهج البلاغة، ولتأمل في الخطبتين، هل هما على نسق ادبي ومعرفي واحد ام ان ثمة اختلاف وحذف وتغيير في الخطبتين؟

الخطبة الأولى: روى الكليني في الكافي قائلاً: عَنْهُ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ رَفَعَهُ قَالَ خَطَبَ النَّاسَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ (عليه السلام) فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَخِي كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي وَكَانَ رَأْسَ مَا عَظُمَ بِهِ فِي عَيْنِي صِغَرِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانٍ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانٍ فَرَجِهِ - فَلَا يَسْتَخِفُّ لَهُ عَقْلَهُ وَلَا رَأْيَهُ كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانٍ الْجَهَالَةِ فَلَا يَمُدُّ يَدَهُ إِلَّا عَلَى ثِقَةٍ لِمَنْفَعَةٍ كَانَ لَا يَتَشَهَّى وَلَا يَتَسَخَّطُ وَلَا يَتَبَرَّمُ كَانَ أَكْثَرُ دَهْرِهِ صَمَاتاً فَإِذَا قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ كَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مِرَاءٍ وَلَا يُشَارِكُ فِي دَعْوَى وَلَا يُدْبِلُ بِحُجَّةٍ حَتَّى يَرَى قَاضِياً وَكَانَ لَا يَغْفُلُ عَنْ إِخْوَانِهِ وَلَا يُحْصِ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ دُونَهُمْ كَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً فَإِذَا جَاءَ الْجُدُّ كَانَ كَيْثاً عَادِياً كَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا فِيمَا يَقَعُ الْعُذْرُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَرَى اعْتِدَاراً كَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ مَا لَا يَقُولُ كَانَ إِذَا ابْتَزَّهُ أَمْرَانِ لَا يَدْرِي أَيُّهُمَا أَفْضَلُ نَظَرَ إِلَى أَقْرَبِهِمَا إِلَى الْهُوَى فَخَالَفَهُ كَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبُرْءَ وَلَا يَسْتَشِيرُ إِلَّا مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحَةَ كَانَ لَا يَتَبَرَّمُ وَلَا يَتَسَخَّطُ وَلَا يَتَشَكَّى وَلَا يَتَشَهَّى وَلَا يَنْتَقِمُ وَلَا يَغْفُلُ عَنِ الْعَدُوِّ فَعَلَيْكُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ إِنْ أَطَقْتُمُوهَا فَإِنْ لَمْ تُطِيقُوهَا كُلَّهَا فَاخْذُوا الْقَلِيلَ

خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٢).

الخطبة الثانية: روى الشريف الرضي في نهج البلاغة: الخطبة عن الإمام علي عليه السلام: (كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ - وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صَغُرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ - وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ - فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَحِجُّ وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ - وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً - فَإِنْ قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ - وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً - فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثٌ غَابٍ وَصِلٌ وَادٍ - لَا يَذِلُّ بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً - وَكَانَ لَا يُلُومُ أَحَدًا - عَلَى مَا يَحِجُّ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ - وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ - وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ - وَكَانَ إِذَا غَلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ - وَكَانَ عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ - وَكَانَ إِذَا بَدَّهَ أَمْرَانِ - يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى - فَيُخَالِفُهُ فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلَائِقِ فَالْزُمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا - فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا - فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخَذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ)^(٣).

بعد ايراد الخطبتين من مصادر من مصدرين مهمين، نلاحظ ان الخطبة التي رواها الشيخ الكليني في الكافي تختلف في بعض العبارات، وتتفق في عبارات أخرى عن الخطبة التي أوردها الرضي في نهج البلاغة، فهناك عبارات تتوفر في الخطبتين معاً، وسنذكر بعض العبارات محل الاتفاق والاختلاف:

١- اتفقت كلا الخطبتين على ايراد عبارة (عن أخ لي) مع اختلاف يسير في التقديم والتأخير وهذه العبارة تنم عن أن الخطبة واحدة وليست، خطبتين أو أكثر، فلو كانت الخطبة ليست واحدة لما حصل هذا الاتفاق في أصل ومنشأ الخطبة، فالمرتكز هو وجود شخصية عظيمة في تقدير الإمام عليه السلام.

٢- اتفقت كلا الخطبتين على عبارة (صغر الدنيا في عينه) وهي تعدّ مفتاح الخطبة ومنطلقها، ومعنوياً هذا المطلع متفق عليه مع حذف أو تغيير بعض العبارات القليلة.

٣- تخلو خطبة نهج البلاغة عن هذه العبارة (كَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مِرَاءٍ) وأيضاً عبارة (وَكَانَ لَا يَغْفُلُ عَنْ إِخْوَانِهِ).

٤- يوجد تبدل في بعض الكلمات مثل (ابتزّه) في خطبة الكافي و كلمة (بَدَّهَ) في خطبة النهج.

٥- اتفقت الخطبتان على المضمون بصورة عامة مع دخول بعض المعاني ضمن نفس التوجه الفكري والأخلاقي دون الخروج عن السياق والجري للنص.

الخطبة في مصادر العامة

إنَّ شهرة هذا الخطاب تتخطى إirاده من قبل محدثي الشيعة الإمامية، فقد رواه عدد من محدثي العامة في مصنفاتهم منهم:

١- أقدم من روى النص من العامة هو ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار بإسناده نوره بصورته: حدثني محمد بن داود عن أبي شريح الحواري قال: سمعت أبا الربيع الأعرج عمرو بن سليمان يقول: قال الحسن بن علي...^(٤).

٢- أخرجهما البغدادي في تاريخه بأسناد ذكره: هيثم الزاهد: أخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان، حدثنا محمد بن الحسين بن حميد اللخمي، حدثني خضر بن أبان بن عبيدة الواعظ، حدثني عثيم البغدادي الزاهد، حدثني محمد بن كيسان - أبو بكر الأصم قال: قال الحسن بن علي ذات يوم لأصحابه...^(٥).

٣- أوردها الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار عن الإمام علي (عليه السلام)^(٦).

٤- أوردها ابن عساكر في تاريخ دمشق بنفس اسناد البغدادي^(٧).

٥- رواه ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي بكر محمد بن كيسان الأصم^(٨).

٦- التذكرة الحمدونية: ابن حمدون رواها، وان أسندها إلى الإمام علي (عليه السلام)^(٩)، نفس الفاظ الخطبة التي أخرجهما الرضي في نهج البلاغة.

٧- رواها ابن الأثير في كتابه المختار من مناقب الأخيار عن أبي بكر الأصم عن الإمام الحسن (عليه السلام)^(١٠).

الاختلاف في نسبة الخطبة

وقع الاختلاف حول نسبة هذا النص الشريف، واختلط الأمر على بعض الباحثين من جهتين، الأولى: هل ان النص صادر عن الإمام علي (عليه السلام) أم عن الإمام الحسن (عليه السلام) أم عن غيره من الأئمة؟ والثانية: هل أن النص صادر عن معصوم أم منسوب إلى غيره. ونستعرض هنا الآراء والاثباتات لتتوصل إلى نتيجة واضحة حول عائدية هذه الخطبة الشريفة، واليك الأقوال:



١- نسبه الشريف الرضي إلى الإمام علي عليه السلام وقد بين بعض الاعلام انه قد حصل في النسبة اشتباه من الشريف طاب ثراه ولا ريب أنه للإمام المجتبي عليه السلام، ويرى الطبرسي في مشكاة الأنوار ان الخطبة للإمام علي عليه السلام لكن الإمام الحسن عليه السلام خطبها في الناس^(١١).

٢- نُسب إلى ابن المقفع فقد أورد النص في كتابه الادب الكبير، وردّ هذه النسبة الشيخ التستري الرجالي المعروف قائلاً: (وأما كتابه « الأدب الكبير » ففيه حكم أخذها من أئمة الإسلام، سرق كلامهم ونسبه إلى نفسه. ومّا يوضح ذلك قوله في آخر كتابه: « وإني مخبرك عن صاحب لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما أعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه... الخ ») مع أنه كلام الحسن السبط عليه السلام كما رواه ابن قتيبة في عيونہ والخطيب في تاريخ بغداده والكليني في كافيہ وابن أبي شعبة في تحفه وإن توهم الشريف الرضي فنسبه إلى أبيه عليه السلام^(١٢)، وقد صرح ابن ميثم البحراني في شرحه على النهج من أن ابن المقفع نسب هذا الخطاب للإمام الحسن عليه السلام^(١٣) ولكن عند مراجعة بعض النسخ المطبوعة لم نعثر على هذه النسبة^(١٤)، كما ان ابن المقفع يعترف في ان ما يدرجه ضمن كتبه مشتق من حكم الأولين^(١٥).

٣- نسبه أبو نعيم الاصفهاني في حلية الأولياء إلى الإمام الباقر عليه السلام بهذا الاسناد: حدثنا أبو ثنا أحمد بن محمد بن عمر، ثنا عبد الله بن محمد القرشي، ثنا أحمد بن محمد. قال: قال محمد بن علي^(١٦).. ووافقه سبط ابن الجوزي^(١٧) في ايراد شيء يسير من الخطبة ومثله كذلك في روض الرياحين^(١٨).

٤- نسبه الشيخ الخاني في كتابه الكواكب الدرية إلى الإمام الصادق عليه السلام وهذا خلط واضح^(١٩).
٥- أوردها الراغب الاصفهاني في محاضرات الادباء لاحد الحكماء من غير أن ينسبه لشخص معين^(٢٠).

ان مدار هذه الخطبة بين الإمام علي عليه السلام وبين الإمام المجتبي عليه السلام والنظر في هذا الأمر على عدة جهات:

١- الجهة العقدية: ان عائدية النص لأي امام من الائمة المعصومين عليه السلام من جهة المقبولية والموثوقية والواقعية على حد سواء، فلا فرق بين القول ودقته واهميته سواء قاله الإمام علي عليه السلام أو أي واحد من أولاده المعصومين، لانهم على خط واحد من العصمة مع اختلاف في الرتبة وهذا لا يضر على مستوى القول.



٢- الجهة الحجتية: البحث في حجة النص، هل يفرق بين امام وآخر ام لا؟ وهذا بحث في غاية الأهمية، فلم نر من العلماء من يفرق بين قول امام أو آخر من جهة الحجة، فان كلام امير المؤمنين (عليه السلام) حجة، وكلام الإمام الحسن (عليه السلام) حجة أيضاً، وهكذا الكلام يجري مع سائر الأئمة (عليهم السلام) فهم حجج الله تعالى على خط واحد من الحجية.

٣- الجهة المصدرية: الثابت في الفكر الشيعي أنّ الأئمة (عليهم السلام) يتلقون علمهم من مصدر واحد، وليس هناك من مجال للاجتهاد الشخصي أو الاستحسان الذوقي، فالإمام لا يعارض امام آخر، الا ما خرج بالتقية واضرابها، ومصدرهم الوحي الإلهي، أي ان علم الائمة (عليهم السلام) من الله تعالى وعائدية هذا العلم لجهة واحدة فلا مدخل للرأي والهوى والشيطان في كلامهم (عليهم السلام). ويمكن اثبات أصالة هذه الجهات المتقدمة من خلال النصوص المروية عن أهل البيت (عليهم السلام) منها: ما روي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: (علمنا واحد، وفضلنا واحد ونحن شيء واحد) (٢١).

ما قيل في هذا الخطاب الشريف

١- عقّب الشيخ الكليني بعد ان أورد الخطاب قائلاً: (هذا لو لم يكن المراد من الموصوف أحد من الأنبياء أو الأوصياء صلوات الله تعالى عليهم أجمعين فليس الامر من قبيل التكليف بما لا يطاق بل لا بدّ من شدة السعي في المجاهدة ولا باس بشدة عسر أداء التكاليف فإنها من باب أرباب التربية) (٢٢).

٢- وعليك بما نقص عليك من قصص ثلاث هي من أحسن القصص دستوراً، أما الأولى فقد روى ثقة الإسلام الكليني في باب المؤمن وعلاماته وصفاته من كتاب الإيمان والكفر من الكافي: إنّ الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما خطب الناس فقال: أيها الناس أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني (...) (٢٣).

٣- صنّفه الشيخ باقر شريف القرشي وموضعه ضمن باب الصديق والصاحب (٢٤).

فائدة: من المقصود بكلام الإمام (عليه السلام)؟

وقع الاختلاف بين الشّراح وعدد من العلماء حول المقصود في خطاب الإمام الحسن (عليه السلام) فمن هو الأخ الذي عناه الإمام (عليه السلام)، نورد الأقوال قديمها وجديدها:

١- فصل ابن أبي الحديد قائلاً: (اختلف الناس في المعنى بهذا الكلام، ومن هو هذا

الأخ المشار إليه ؟ فقال قوم : هو رسول الله ﷺ ، واستبعده قوم لقوله : (وكان ضعيفا مستضعفا) ، فإن النبي ﷺ لا يقال في صفاته مثل هذه الكلمة ، وإن أمكن تأويلها على لين كلامه وسماحة أخلاقه ، إلا أنها غير لائقة به ﷺ .

وقال قوم : هو أبو ذر الغفاري واستبعده قوم (لقوله : فإن جاء الجذ فهو ليث عاد ، وصل واد) ، فإن أبا ذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة ، والمعروفين بالبسالة .

وقال قوم : هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ، وكان من شيعة علي ﷺ المخلصين ، وكان شجاعاً مجاهداً ، حسن الطريقة ، وقد ورد في فضله حديث صحيح مرفوع . وقال قوم : إنه ليس بإشارة إلى أخ معين ، ولكنه كلام خارج مخرج المثل ، وعادة العرب جارية بمثل ذلك ، مثل قولهم في الشعر : فقلت لصاحبي ، ويا صاحبي ، وهذا عندي أقوى الوجوه (٢٥) .

٢- يرى العلامة المجلسي أن الإمام المجتبي يصف بهذا الخطاب الإمام علي ﷺ : لا يبعد أن يكون المراد به أباه ﷺ عبر هكذا لمصلحة (٢٦) .

٣- يرى العلامة المازندراني أن المراد به هنا هو (أبو ذر الغفاري) على احتمال (٢٧) .

٤- يقول الشيخ محمد جواد مغنية : (وأيا كان فقد وصف الإمام هذا الشخص كمثال أعلى في دينه وخلقه ، وعلمه وعقله ، وصبره وزهده ، وجهاده وشجاعته) (٢٨) .

ويمكن التعليق حول هذا الأمر من هذه الجهة : إن الإمام الحسن ﷺ في خطابه لم يكشف عن اسم الشخص وعنوانه أو أي شيء يدلنا على التكهن بمعرفة هذا الشخص وطالما جعله الإمام ﷺ مجهولاً ولم يصرح باسمه فحتماً هناك أثر وفائدة من عدم التصريح ، وقد ذكرنا في المبحث الثاني بعض الفوائد من عدم التصريح .

المبحث الثاني: متركزات قوة الشخصية في الخطبة الحسنية

يؤسس الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) في هذا الخطاب الرائع لمنظومة اخلاق سامية ترتقي بالسامعين إلى مراقي الكمال وتحفزهم للاستغاثه بالأخلاق والاستعانة بالهدى لبلوغ المرتبة الإنسانية التكاملية التي من أجلها خلق الإنسان، ويتضح بصورة جلية ان هدف الإمام (عليه السلام) جاء لاستنهاض همة الإنسان نحو الارتقاء وتحذيراً له من التمسك بالدنيا الزائلة، وكأنه يصور لنا الإنسان ويختصر مسيرته في الحياة ويوجزها بهذه الجمل القليلة ذات المعاني، والابعاد المذهلة، فهذه الخطبة من الخطب التي قلّ نظيرها في التأثير، والتي تتناول حقيقة الإنسان المهتدي، والإنسان الصالح بالمرتبة الأعلى، كما يمكن عدّ هذه الخطبة دليلاً، لبيان أسس ومتركزات قوة الشخصية الإنسانية من خلال المعاني التي وفّرها الإمام المجتبي (عليه السلام) في هذا الخطاب المهم، ومن هنا سنخرج على بيان هذه الابعاد والمتركزات بعد ان نحلل مدخل الخطبة بالنقاط الأربع القادمة:

١- المفردة الأولى: (أيها الناس) هذا استعمال قرآني وروائي، وهو ادب سار عليه الإمام الحسن (عليه السلام) تأسي بالقرآن الكريم، ومن سبقه من المعصومين كجده وابيه (عليه السلام)، ويحمل تنبيه لهم وتحريك وتوجيه للكلام القادم.

٢- المفردة الثانية: (اخبركم عن أخ لي) وجههم الإمام (عليه السلام) إلى الاستعداد لمعرفة مواصفات هذا الإنسان على الرغم من عدم افصاحه عن شخصيته من اسمه؟ وما عنوانه وما شابه؛ ولذا ذكرنا ان عدد من الاعلام والباحثين راحوا يخمنون من المقصود بهذه العبارة، وعدم افصاح الإمام (عليه السلام) ذكر الشخصية فيه مقاصد: الأول، تحفيز الآخرين للفلاح والصالح والارتقاء بالنفس، فربما ذكر لهم اسمه ويأخذ بعضهم بالتعلل أو إيجاد اعدار ما مثل (ظروفه ليست مثل ظروف) أو (ما توفر له لم يتوفر لي) أو (سبقي للإسلام) أو (قربه من المعصوم)، وما شابه من تلك الاعذار التي تنم اما عن جهل أو حسد أو ضعف نفس أو اشتباه.

واما المقصد الثاني، صيانة الشخصية والحفاظ عليها، من جهتين: الأولى، خوفاً على الشخص نفسه من العجب، لأنه ليس بمعصوم فقد يأخذه هذا المديح والثناء ولا يحتمله مثلاً.. والجهة الثانية، خوفاً عليه من حسد الآخرين؛ لأنّ المدح في حقيقته هو توصيف من اجل الاتعاض

والاعتبار، وليس توصيفاً شخصياً، كدفع شبهة أو بيان موقف، وما شابه، فربما لو ذكر عنوان المقصود لتسبب له ببعض الأذى أو الكراهية، وربما يفهم آخرون كجهة انحياز وما شابه. وأما المقصد الثالث: فيمكن أن يقال بأن سبب عدم ذكر الشخص باسمه يعود إلى تقصد واضح من الإمام (عليه السلام)؛ كي يحفز الناس إلى تلك الصفات والخلال الحميدة وعدم اشغالهم باسم أو جهة أو عنوان ما، وإنما صرف نظرهم عن الشخصية والارتقاء بهم إلى الموضوع، والخطيب إذا أراد أن يصرف الناس إلى قضية أساسية لا يشغلهم بذكر الشخص، وإنما يهتم بالموضوع كي يعطيه نوعاً من الأهمية والتركيز.

٣- المفردة الثالثة: (كان من اعظم الناس في عيني)، أراد بها عدم تعلقه بالدنيا، وإنما جاءت الصياغة هكذا كناية عن زهده في الدنيا^(٢٩)، والسامع ينتظر من الإمام (عليه السلام) سبب عظمة هذا الشخص، إذ ليس من السهل أن يحوز الشخص مقام العظمة عند أهل البيت (عليهم السلام) فهم لا يجاملون ولا يداهنون في جنب الله تعالى، ولا سيما وأن هذه الصفات قد عرضت للناس من أجل الاقتداء بها.

٤- الجملة الرابعة: (وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه) بيّن الإمام (عليه السلام) سبب عظمة هذا الإنسان، وهنا أخذ يرسل كلماته واحدة بعد الأخرى وجعل السبب الأول في هذه العظمة هو هوان الدنيا وصغرها في نفس هذا الشخص مما جعله يرتقي منزلة عند الإمام (عليه السلام).

الركائز الستة عشر المستخلصة من خطبة المجتبي (عليه السلام)

بعد أن بيّن الإمام المجتبي (عليه السلام) السبب في عظمة أخيه المؤمن في عينه ومنزلته الرفيعة في نفسه، أخذ يبين تلك المفردات الأخلاقية والصفات الحميدة التي أهلت هكذا شخصية، وسنخرج على هذه المفاتيح والاسس التي ذكرت في خطاب الإمام الحسن (عليه السلام).

تنبيه: اشعر أن كل من يقرأ هذا النص مخاطب به، فليس هو بنص خارج مخرج الكلام الثري الذي يبحث صاحبه عن منزلة أدبية في نفوس الآخرين، وإنما كلام الإمام (عليه السلام) جاء للاعتبار، وهذا الاعتبار ممتد إلى وقتنا، وعابر للأزمنة الأخرى.

١- السر في قوة شخصية الإنسان «عدم التعلق بالدنيا»: يشعنا خطاب الإمام (عليه السلام) (صغر

الدنيا بعينه) أنّ معيار قوة شخصية الإنسان بانفكاكه عن الدنيا وتخلصه من شرائكها، وقد بين لنا الحق تعالى بالتنزيل العزيز: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الانعام ٣٢. كما فسر أهل البيت (عليهم السلام) الدنيا واحوالها ومآلها، والمقصود طبعاً الدنيا بأخلاقها والوضعية وصفاتها التي تفقد الإنسان انسانيته واخلاقه مثل الحرص والطمع والجشع وغيرها من الصفات الرذيلة التي تكسر شخصية الإنسان.

ولم ار خطاباً بهذا الجمال في وصف الدنيا وتقليل منزلتها عند الإنسان، فالمجتبى (عليه السلام) ربط بين عظمة الإنسان والزهد في الدنيا، فكلماً تمسك الإنسان بالدنيا ضعفت شخصيته وكلماً قلّ تمسكه بها قويت شخصيته، ومن هنا يكشف لنا الإمام عظمة شخصية الإنسان، وانها تنطلق من فهمه للدنيا وعدم الانصياع لها، فكل مسألة دنيوية يتمسك بها الإنسان، ويذل نفسها لها تأخذ من شخصيته، فيضعف الإنسان بمقدار تعلقه بالأشياء، وهذا هو مفهوم الزهد، بمعنى ان يزهد الإنسان بالأشياء التي لو تمسك بها لضعفت نفسه وهانت شخصيته، وقد روي عن أخيه الحسين بن علي (عليه السلام): (مالك إن لم يكن لك كنت له، فلا تبق عليه؛ فإنه لا يبقى عليك، وكُله قبل أن يأكلك)^(٣٠). فالإنسان لا يعمل للدنيا كي يبقى فيها، وانما هي رحلة عابرة، وهي دار للممر إلى الآخرة، وليست دار بقاء وخلود، وانتزاع صفة الخلود من الدنيا، وافهام البشرية هذا المعنى كان من اعظم الرسائل والاهداف النبيلة التي سعى الائمة الاطهار (عليهم السلام) إلى بيانها، فخذ الدنيا في ميزان الإمام علي (عليه السلام) وكيف يسلبها صفة الخلود وينزع عنها ثوب القداسة، والزينة، والفخر بما أثر عنه من بيانات رائعة منها الرواية المعروفة في وصف الدنيا: (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، واسترق لي قطانها، مذعنة بأملاكها، على أن أعصي الله في نملة أسلبها شعيرة فألوكها، ما قبلت ولا أردت، ولدنياكم أهون عندي من ورقة في جرادة تقضمها، وأقذر عندي من عراقة خنزير يقذف بها أجذمها، وأمر على فؤادي من حنظلة يلوكها ذو سقم فيبشمها)^(٣١)، ونلخص إلى:

(ان الحياة الإنسانية حياة خالدة غير محصورة في هذه الأيام القلائل التي ستفنى ويبقى الإنسان، ولا خبر عنها، وان سعادة هذه الحياة الدائمة غير التمتع بلذائذ المادة.. فما سعد



به من مزايا الحياة الدنيا فموهبة من عند ربه ، وما حرم منه احتسب عند ربه أجره ، وما عند الله خير وأبقى^(٣٢).

٢- قيادة الذات ومسك النفس من التوغل في المحاذير (خارجاً من سلطان بطنه): يرسل الإمام المجتبي عليه السلام معناً دقيقاً ومهماً، يجده الإنسان في حياته ويوميته، بل يمر بهذا المشهد كل يوم، وهو ان لا يجعل لبطنه سلطة على نفسه، فالبطن ان أصبح سلطان كسر الإنسان، والسلطة هنا بمعنى وصول المرء إلى حالة من الانقياد لشهوة الطعام حد فقدان العقل والادراك، فيستجيب لغرائزه المتواصلة بالطلبات، وقد حذر أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: (أبعد ما كان العبد من الله إذا كان همه بطنه وفرجه)^(٣٣)، ويأتي التأكيد على هذا المعنى ما تشهده أيا من هذه من انكباب على الأطعمة والاشربة، بل وصل الحال ببعض الناس انهم يسعون لتناول اطعمة محرمة بالشرعية، وغير مستساغة ذوقاً وعرفاً جرياً وراء حب الاستطلاع وسيطرة الشهوة الغريزية، ولعمري هذا تجرد من الفطرة السليمة والطريقة المحمودة في العيش، وانسان اليوم يعيش ازمة على مستوى الانهماك المادي والاسراف، والتبذير لا سيما في مجالي الأطعمة والاشربة، والمتأمل في نص الخطاب يجد توعية الإمام المجتبي عليه السلام وصفة علاجية على المستوى الأخلاقي والجسدي.

٣- الحصانة بالقناعة: ان الاسترسال بالنص يثبت لنا قيمة جديدة في بناء الشخصية وهي القناعة من خلال قوله عليه السلام: (فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ)، وهذه الأوصاف علامة على تحكم الإنسان بغريزة الجوع، فمن تجليات انه لا سلطان لبطنه عليه هو انه لا يشتهي ما لا يجد، وتثبت هذه الجملة مفهوم القناعة واسسه الراسخة في النفس البشرية، ونخبرنا الواقع ان المرء الذي يتحلّى بنسبة عالية من القناعة له قدرة عالية على تجاوز الكثير من الأشياء، يقول بعض علماء الأخلاق: (للقناعة أهمية كبرى، وأثر بالغ في حياة الإنسان، وتحقيق رخائه النفسي والجسمي، فهي تحرره من عبودية المادة، واسترقاق الحرص والطمع، وعنائهما المرهق، وهوانها المذل، وتنفخ فيه روح العزة، والكرامة، والإباء، والعفة، والترفع عن الدنيا، واستندار عطف اللئام. والقانع بالكفاف أسعد حياة، وأرعى بالاً، وأكثر دعة واستقراراً، من الحريص المتفاني في سبيل أطعامه وحرصه، والذي لا ينفك عن القلق والمتاعب والهموم



. والقناعة بعد هذا تمد صاحبها بيقظة روحية، وبصيرة نافذة، وتحفزه على التأهب للآخرة، بالأعمال الصالحة^(٣٤)، وملخص ما يمكن: ان القناعة تحصن الإنسان من ان يطمح بنظره إلى ما لا تحمد عقباه، يكتفي الإنسان بما عنده، وبما قسم الله تعالى إليه في هذه الحياة سواء كان ما يتعلق بشكله، وورسمه، أو رزقه، أو مطعمه، أو مشربه، فنجد اليوم من ينهمك من اجل الحصول على المال فلا يهدأ له، ويقصر مع أهله وارحامه ومجتمعه زيادة في المال وليس لسد حاجاته، وهذا الغوص في بحار المال يغرق الإنسان، ويخنقه في هذه المتاهات المظلمة، وقد ذكر بعض الاعلام ما ينفع في المقام: (أن يستعين الإنسان بالنظر دوماً إلى من هو دونه، كيف يعيش في كفاف من غير هم ولا نكد، ولا يستغرق في من يتميز عنه في بعض إمكاناته فيوجب ذلك تنافسه في عرض هذه الحياة وزبرجها، وقد علم أن من ابتلى بحب متع الدنيا لم يقنع بشيء منها، فهي كمثل الماء المالح لا يشربه الظمان إلا ازداد عطشاً)^(٣٥).

٤- تحكيم العقل وكبح الشهوة: يؤكد الإمام المجتبي (عليه السلام) ان تحكيم العقل امام الشهوة من علامات الشخصية الناجحة البالغة شأنها الصحيح وموضوعها المناسب كما يتضح من عبارة (كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ فَرْجِهِ فَلَا يَسْتَخِفُّ لَهُ عَقْلُهُ وَلَا رَأْيُهُ)، والسيطرة على الغريزة مفتاح الخير للإنسان، وقد ورد في هذا المجال روايات ونصوص مهمة جداً تدعو الإنسان إلى العفة، وكف الشهوة عن ما حرم الله تعالى، منها: (عليك بالعفاف والقنوع فمن اخذ به خفت عليه المؤن)^(٣٦). وعن النبي (عليه السلام) في وصية له قال: (يا أبا ذر من ملك ما بين فخذه وما بين لحيه دخل الجنة)^(٣٧).

٥- التغلب على سلطة الجهل: تتكامل شخصية الإنسان من خلال حسن اختياره وامضائه للأمر، فلا يضع يده على شيء قبل التأكد، ولا يدخل في مشروع يجهله، ولا يعطي رأياً قبل التثبت والتحقيق، ولذا عبر الإمام (عليه السلام) عن ذلك بقوله: (كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ الْجَهَالَةِ فَلَا يَمُدُّ يَدَهُ إِلَّا عَلَى ثِقَةٍ لِنَفْعَةٍ)، وهذا الإنسان المعظم قد وصل إلى مرتبة سامية بكسره سلطان الجهل، وتحرره من قيوده من خلال التعلم والبحث والاطلاع، ومن كملت قواه العقلية والادراكية، لا تصل إليه يد الجهل، ويكسر اغلاله، وقد وردت النصوص الصادحة في بيان قيمة العلم.

وبهذا النص يكون الإمام المجتبي عليه السلام قد حذر من السلطات الثلاث:

١- سلطة البطن. ٢- سلطة الفرج. ٣- سلطة الجهل.

٦- يترفع عن ما يشينه: من معالم الإنسان قوي الشخصية يكون قليل أو نادر والتطلب والملل والاشتواء وما شابه، فمن فعل هذه الأمور - الشكاية مثلاً - قلّ وزنه وضعف مستوى أثره بين الناس، ونلتمس ذلك في نص الإمام عليه السلام: (كَانَ لَا يَتَشَهَّى وَلَا يَتَسَخَّطُ وَلَا يَتَبَرَّمُ) وقد ورد في صفات المؤمن عن الإمام علي عليه السلام: (حَفِيَّ بِأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ مَرْجُوٌّ لِكُلِّ كَرِيهَةٍ، مَأْمُولٌ لِكُلِّ شِدَّةٍ، هَشَّاشٌ بِشَّاشٍ لَا بَعِيَّابٍ وَلَا بَجَسَّاسٍ) (٣٨). فان هذه الصفات الحسنة تعود على حاملها بالخير من جهة موقعه في نفوس الآخرين، وعدم إظهار شهية الدنيوية وتبرمه وسخطه فهذه الخلال تضعف المرء وتأخذ من هيئته ووقاره بل لا يؤلف من قبل الآخرين لكثرة متطلباته، ومما يؤسف له إن الإنسان المعاصر كثير الهموم والشكوى يتبرم من أي حدث وينزعج من أي موقف، لا يحتمل الآخرين ولا يحتملونه، كأنه يحمل ثقلاً على ظهره ويسعى للتخلص منه، ومن ترفع عن ذلك حاز الموقع الأكبر في قلوب الناس، ورضى هو عن نفسه ووثق بوعيه وعلمه.

٢٩٦

٧- يصبو للحكمة والرشد: من مميزات الإنسان البالغ مستوى الحكمة والعقلانية لديه قدرة كبيرة على التحكم بلسانه ومنطقه، فيعرف متى يتحدث، ومتى يصمت، ففي صمته رسالة، وفي نطقه كذلك، لذا عبر الإمام عليه السلام عن هذا البعد بقوله: (كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَمَاتًا فَإِذَا قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ)، لديه القدرة على مسك لسانه عن الخوض في مجالات الحديث التي لا فائدة منها، فيصون لسانه عن التغول في المقولات الخاطئة والكلمات غير السديدة التي تنتج آراء غير متساوية، لان الفكر السيء أو الذهن المشوش بوابته اللسان، فان أغلق الإنسان فمه تعطل عمل الفكر والذهن، بل ينحبس الكلام في وثاق الإنسان، كما ورد في وصية الإمام علي عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية: (واعلم أن الكلام في وثاقل ما لم تتكلم به فإذا تكلمت به صرت في وثاقله، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك ورقك، فإن اللسان كلب عقور فإن أنت خليتة عقر، ورب كلمة سلبت نعمة) (٣٩). ونتيجة لهذا الصمت الرهيب الذي يورث الحكمة تتفرع عنه قوة في الرد واحكاماً عجيبة، وهو ثمرة من ثمار الصمت ونتيجة من نتائج التحكم في اللسان وقيادته بصورة صحيحة.

٨. يحتكم للدليل: لا تخلو حياة كل انسان من جدال أو مناقشة أو مرأى، وربما على ايسر الأشياء واقلها أثرًا في أيامنا الحالية، وسمة الإنسان صاحب الشخصية المتزنة لا يدخل نفسه في ابداء رأي أو اظهار كلمة الا ومعه اليقين ويحوط كلامه بالحجة البالغة، ولا يجعل من الحوار منازلة يصارع بها محادثه، ولا يرى لنفسه ميزة على غيره، وينطلق من الدليل والشاهد ولا يجز نفسه للمهارة والجدل والسفاهة وتضييع العمر في الصراع، وقد شخّصها المجتبى (عليه السلام) ميزة من مميزات الشخصية المعظمة القوية كما في قوله: (كَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مِرَاءٍ وَلَا يَشَارِكُ فِي دَعْوَى وَلَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَرَى قَاضِيًا). ومن تكلم قبل الأوان وقبل استحكام الرأي وبلوغ الحجة والمرام عدّ من السفهاء، وقتها لا يعتمد في قول ولا يؤجر على فعل.

٩. شفيق رحيم: الشفقة والرحمة من الصفات الأخلاقية المرتبة بالعواطف والمشاعر، وهما من نتائج القلب السليم، الذي لا يكون في شخصية الا ارتقت وتسامت وجرت منها ينابيع الحكمة والصلاح، ومن تمثل الشفقة والرحمة عناية الإنسان بأخيه الإنسان، وعناية المؤمن بأخيه المؤمن، لا يقدم نفسه على اخوته كما يقول الإمام (عليه السلام): (وَكَانَ لَا يَغْفُلُ عَنْ إِخْوَانِهِ وَلَا يُخْصُّ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ دُونَهُمْ)، اذ اننا نشهد ظاهرة ارتفاع الانانية بين الناس بصورة ملفتة، فكل واحد يسعى للفوز بذاته، وكأن انسان اليوم يعيش بمفرده، فلا يشعر بالمسؤولية تجاه أبناء مجتمعه أو من يقربون منه في دائرة الارحام أو القرابة أو الصحبة..

١٠. متواضع عزيز: يحصن الإنسان نفسه امام مغريات الحياة، ويذهب لطاعة ربه ويجهز نفسه، ويعدّها للبرامج العبادية التي تضعف بدنه بعض الشيء مثل كثرة الصلاة والصيام، فهو ضعيف البدن قوي الإرادة والعزيمة، ويضعف نفسه ويكسر من جوارحه تجاه اخوته، ويلين جانبه ويخفض صوته ويعدل من سيره ويضبط حركاته وسلوكياته حتى يصفو من كدر التعالي وطمح التكبر، فهو يستثمر الضعف البدني الذي تركه العبادة في ليّ ذراع النفس، كي لا تتطاول وتتعالى على الخلق، في الوقت نفسه يصول صولة الفارس الاشوس حال تطلب الأمر، فهو الضعيف على من دونه القوي على من فوقه، وتلك صفات رجال الله تعالى في ارضه، كما عرف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، واثبت هذه الحقيقة الحق في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ

رَّحِيمٌ ﴿ وفي قوله تعالى في صفة المؤمنين: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ . وهذا عين ما ذكره الإمام الحسن (عليه السلام): (كَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعِفاً فَإِذَا جَاءَ الْحُدُّ كَانَ لَيْثاً عَادِياً). بمعنى أنه متواضع في أهله، عزيز على خصمه.

١١- سموح رحب: إنَّ واحدة من مميزات صاحب الشخصية القوية سموح رحب الصدر لما يملك من نفس واعية، وسيطرة كبيرة على هواه، اذ يقدر على ذاته أكثر من قدرته على غيره، عكس ما يتوهم بعض الناس، اذ يسعون للسيطرة على الآخرين وكبحهم، والنيل منهم؛ لدوافع انانية ومقاصد غير نبيلة، ومن قدرة هذا الشخص المتزن انه يلتمس العذر على من يقع منه الخطأ، ولا يسرع إلى لومه، والنيل منه حتى يسمع اعتذاره وعلته، وتلك صفة رائعة من صفات الإنسان الخلق، الذي يندر وجوده في أيامنا هذه، وقد استخلصها الإمام المجتبي (عليه السلام) من سيرة هذا الإنسان العظيم بقوله: (كَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا فِيمَا يَقَعُ الْعُذْرُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَرَى اعْتِذَارًا).

١٢- واقعي صادق: اعظم صفة في الإنسان صدقه مع نفسه والآخرين، ومن معالم الصدق ان يفعل الإنسان ما يقوله، واعظم منها ان لا يأمر أو يشير على احد بقضية، ولم يمتثل لها قبله، فهذا انسان واقعي لا يتلون، ولا يتقلب، ولا يتأرجح، ولا يخدع ولا يبتز ولا يداهن، هو كما هو لا زيادة في قول ولا نقصان في عمل، وقد نبه الإمام الحسن (عليه السلام) على هذه الصفة قائلاً: (كَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ مَا لَا يَقُولُ). وقد ذكرت هذه الصفة للحجة بن الحسن (عليه السلام) (٤٠).

١٣- مدعن للحق: إذعان الإنسان للحق تتطلب مقدمات على المستوى العقائدي والسلوكي، وهي صفة راسخة في المؤمن القوي الذي لا يلين تجاه الباطل ولا يرخى أمام الشبهة، فالميزان في الحياة عنده الحق، فما خالف الحق تركه، ولا يسلم امرء من وقوعه في كثير من أمور حياته بين فوضى الهوى وصلاحيه الحق، والمميز من البشر من ينظر في عواقب الأفعال والأقوال ويختار ما يخالف هواه ويثبت على ما يوافق العقل والمنطق والحق، واطهر لنا الإمام المجتبي (عليه السلام) من ذلك قوله: (كَانَ إِذَا ابْتَزَّه أَمْرَانِ لَا يَدْرِي أَيُّهُمَا أَفْضَلُ نَظَرَ إِلَى أَقْرَبِهِمَا إِلَى الْهُوَى فَخَالَفَهُ).

١٤- مُسَلِّمُ أمره: سعادة الإنسان أن يسلم أمره لله تعالى، فلا يهنئ للمرء بال وهو يتأمل كل شيء من ابن جنسه الإنسان، فهو عاجز محتاج مثله، وحاجة المرء لغيره دليل عجز غيره وفقره وضعفه،

ولا يسلم الإنسان أمره إلا بعد أن يتأهل معرفة بالله تعالى ويقيناً بصفاته وانتباهاً لعنايته سبحانه، ومن ذلك ثقة الإنسان بربه في شفاءه من علله وأمراضه، فلا يشكو مرضه لكل من هب ودب، ولا يثقل أسماع الناس بآلامه وأوجاعه، وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال: (الناس منه في راحة، والنفس منه في شدة)^(٤١). وهذا ما استخلصه الإمام الحسن (عليه السلام) (كَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبُرَّ) فلا شكوا الإنسان همه بالدرجة الأولى إلا عند رب العزة جلّ وعلا، وقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام) انه قال في وصف المؤمن الحقيقي: (وحسبه من صبره قلة شكواه)^(٤٢).

١٥- مستعمل عقله: انفع الناس الذين يستعملون عقولهم ويشاركون عقول غيرهم ويتنفعون من اجتماع الآراء بحثاً عن الصواب، فالؤمن يتقي أهل النصيحة ويستنصحهم في أمور دينه ودنياه كل حسب مرتبته وشانه، ولا يصح أن يشتم الإنسان نفسه ويطلب الحق من غير أهله، ويبحث عن الناصح الشفيق كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحيرة وتعقب الندامة)^(٤٣). وقد أوضح المجتبي (عليه السلام) هذه السجية الحميدة بقوله: (وَلَا يَسْتَشِيرُ إِلَّا مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحَةَ).

١٦- يقظ متنبه: يختم الإمام المجتبي (عليه السلام) الأسس والركائز الأساسية في الشخصية المعظمة بقوله: (وَلَا يَغْفُلُ عَنِ الْعَدُوِّ) لأن الغفلة مفتاح الوقوع بالأخطاء والشرور وبوابة سرقة عمر الإنسان، وعكسها التنبه والحزم، وهي على مراتب وأصناف منها الغفلة عن الحق بعنوانه الأكبر منها الغفلة عن الخصم والعدو ولا سيما في حال تمتع الخصم بالحيلة والدهاء، ويأخذ العدو شكلين، العدو الداخلي، وهو النفس الأمارة بالسوء واستجابتها للشيطان الرجيم وقد صرح القرآن الكريم بعدأوته كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾. واما العدو الخارجي فهو الخصم والغازي المحتل والمستعمر وكل من يريد السوء بالمجتمع الإنساني مثل الإرهابيين والمجرمين.

ينهي الإمام المجتبي (عليه السلام) بهذا الفتحة المعرفي الأخلاقي خطبته بأمر الناس حمل هذه الأخلاق والقيم المثلى؛ كي يجد الإنسان نفسه الغائبة في متاهات هذه الحياة، ويحررها من السلطات التي ذكرها - سلطة البطن والفرج والجهل - ويعود كل واحد منهم على نفسه بالخير فان لم يطبقوا هذه الأسس والمرتكزات، ويتمكنوا من تطبيقها دفعة فلا يتركوها كلها، وقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام): (قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُوءٍ مِنْهُ)^(٤٤).

النتائج

بعد رحلة معرفية مع الإمام المجتبى (عليه السلام) وفي خطبته الرائعة المبتكرة بالأسلوب والمضمون، استجد للباحث عدة من الأمور:

- ١- القدرة الفائقة للإمام المجتبى (عليه السلام) في ارسال المعارف الإلهية للمتلقين من جمهور الناس، وتحريكهم نحو الخير، وتحفيزهم لبناء انفسهم.
- ٢- بين الإمام (عليه السلام) الأسس والمرتكزات الأخلاقية والعقدية والايمانية في ارتقاء الشخصية الإنسانية.
- ٣- حذر الإمام (عليه السلام) من ثلاث سلطات تودي بشخصية الإنسان وتضعفها (سلطة البطن، وسلطة الفرج، وسلطة الجهل).
- ٤- استخلص الإمام (عليه السلام) من سيرة هذا الرجل (١٦) ركيزة أخلاقية وايمانية مثل: (شفيق رحيم، واقعي صادق، مدعن بالحق، مسلم أمره).
- ٥- جمالية وانسيابية عبارات الخطبة تسهل من حفظها وانتشارها ولكن مع ذلك لم نجد في وقتنا الحاضر شهرة لهذه الخطبة الرائعة.
- ٦- وضوح المنهجية والانتظام المعرفي في الخطبة، فالمركزية في الخطاب تبدأ من علاقة الإنسان بالدنيا ونظرته لها، ثم يتفرع على ذلك دور السلطات الثلاث في ضعف شخصية الإنسان.

الهوامش

- ١- تحف العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحراني (قرن ٤) تصحيح: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٤ هـ، ص ٢٤٥.
- ٢- الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ) دار الكتب الإسلامية، ج ٢، ص ٢٣٧.
- ٣- نهج البلاغة: محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) تحقيق، صبحي الصالح، ط ١، ١٩٦٧ م، ص ٥٢٦.
- ٤- عيون الاخبار: ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤ هـ، ج ٢، ص ٣٨٣.
- ٥- تاريخ بغداد: الحافظ أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ج ١٢، ص ٣١١.
- ٦- ربيع الابرار ونصوص الاخبار: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق، عبد الأمير مهنا، مؤسسة الاعلمي - بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٢ هـ، ج ٢، ص ١٥٧.
- ٧- تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) تحقيق، علي شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥ هـ، ج ١٣، ص ٢٥٤.
- ٨- البداية والنهاية، ج ٨، ابن كثير، ص ٤٣.
- ٩- التذكرة الحمدونية: ابن حمدون (ت ٥٦٢ هـ) تحقيق، احسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٦ م، ج ١، ص ٣٩٧.
- ١٠- ينظر: المختار من مناقب الأخيار: ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق، مأمون الصاغرجي، مركز زايد للتراث والتاريخ ط ١، ١٤٢٤ هـ، ج ٢، ص ١١٤.
- ١١- مشكاة الأنوار في غرر الاخبار: علي بن الحسن الطبرسي (ت ٧٧٠ هـ) تحقيق، مهدي هوشمند، دار الحديث، ط ١.
- ١٢- قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري، ج ١١، ص ٦٣٩.
- ١٣- شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩ هـ) تحقيق، عدة من الافاضل، مركز النشر في مكتب الاعلام الإسلامي قم - ايران، ط ١، ١٣٦٢ ش. ج ٥، ص ٣٨٩.
- ١٤- ينظر: آثار ابن المقفع: ابن المقفع (ت ١٤٢ هـ) دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٩ م، ص ٣١٤.
- ١٥- مصادر نهج البلاغة وأسانيده: السيد عبد الزهراء الحسيني، دار الزهراء، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٩ هـ، ج ٤، ص ٢٢٨.
- ١٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) دار ام القرى القاهرة - مصر، ج ٣، ص ١٨٦.
- ١٧- تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) منشورات الشريف الرضي، قم - ايران، ط ١، ١٤١٨ هـ، ص ٣٠٥.
- ١٨- روض الرياحين في حكايات الصالحين: عبد الله بن اسعد اليافعي اليميني (ت ٧٦٨ هـ) مكتبة زهران، القاهرة - مصر، ط ١، ٢٠٠٤ م، ص ١١١.
- ١٩- ينظر: الكواكب الدرية على الحقائق الوردية: الشيخ عبد المجيد الخاني النقشبندي (ت ١٣١٨ هـ)، تحقيق، محمد خالد الخرسة، دار البيروقي ص ١٢٦.
- ٢٠- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) تحقيق، عمر فاروق طباع، دار الارقم بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ج ١، ص ٣٧٢.
- ٢١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت ١١١١ هـ) تحقيق، محمد باقر البهبودي، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٣ هـ، ج ٢٦، ص ٣١٩.

- ٢٢- رسالة في حجية الظن، محمد بن محمد ابراهيم الكلباسي (ت ١٣١٥هـ) ط ١، ١٤١٧هـ، ج ١، ص ٤٢٠.
- ٢٣- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي، نشر المكتبة الإسلامية، ١٤٠٦هـ، ج ١٩، ص ٣٣٧.
- ٢٤- حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣هـ) دار البلاغة - بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ، ج ١، ص ٣١٧.
- ٢٥- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر مؤسسة اسماعيليان للطباعة، ج ١٩، ص ١٨٤.
- ٢٦- مرآة العقول في شرح أخبار الرسول: محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) دار الكتب الإسلامية، ط ٢، ١٤٠٤هـ، ج ٩، ص ٢٥٩.
- ٢٧- شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ) ضبط وتصحيح، السيد علي عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ، ج ٩، ص ١٧٠.
- ٢٨- في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ) انتشارات كلمة الحق، ط ١، ج ٤، ص ٣٩١.
- ٢٩- ينظر: اختيار مصباح السالكين: ابن ميثم البحراني (ت ٦٨٩هـ) تحقيق، الشيخ محمد هادي الاميني، مجمع البحوث الإسلامية ط ١، ١٤٠٨هـ، ص ٦٤٦.
- ٣٠- الدررة الباهرة من الأصداف الطاهرة: الشيخ الشهيد الأول (ت ٧٨٦هـ) انتشارات زائر، ط ١، ١٣٧٩ش، ص ٢٤.
- ٣١- الأمالي، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) مركز الطباعة والنشر مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٧هـ، ص ٧٢٢.
- ٣٢- الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، ج ٩، ص ١٢٠.
- ٣٣- معجم الاحاديث المعتمدة: الشيخ محمد آصف المحسن (ت ١٤٤٠هـ) الناشر، اديان، قم - إيران، ط ١، ١٤٣٤هـ، ج ٨، ص ٥٩٠.
- ٣٤- أخلاق أهل البيت عليه السلام، السيد مهدي الصدر، دار الكتاب الإسلامي، ص ٤٦.
- ٣٥- أصول تركية النفس وتوحيدها: السيد محمد باقر السيستاني، دار المؤرخ العربي، ط ١، ٢٠١٨م، ص ١١٠.
- ٣٦- جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين البروجردي (ت ١٣٨٣هـ) منشورات مدينة العلم، ط ١، ١٤٠٧هـ، ج ١٤، ص ٢٨٠.
- ٣٧- وسائل الشيعة: الحر العاملي، تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ٥، ١٩٨٣م، ج ٨، ص ٥٧٧.
- ٣٨- مسند الإمام علي عليه السلام: السيد حسن القبانجي، تحقيق الشيخ طاهر السلامي، مؤسسة الاعلمي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ، ج ١، ص ٣١٧.
- ٣٩- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٤هـ، ج ٢، ص ٣٨٨.
- ٤٠- النجم الثاقب في أحوال الحجة الغائب: الميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ) تحقيق السيد ياسين الموسوي، انوار الهدى، ط ١، ١٤١٥هـ، ج ١، ص ٣٨٦.
- ٤١- مسند الإمام الصادق عليه السلام: الشيخ عزيز الله العطاردي، الناشر عطارد - طهران، ط ١، ١٣٨٤ش، ج ٥، ص ١٦١.
- ٤٢- مستدرک نهج البلاغة، الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١هـ) منشورات مكتبة الاندلس، ص ١٨٧.
- ٤٣- ينابيع الحكمة، عباس الإسماعيلي اليزدي، الناشر مسجد جمران، قم - إيران، ط ٥، ١٤٢٨هـ، ج ٥، ص ١٤١.
- ٤٤- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد تقى التستري، مؤسسة انتشارات امير، ط ١، ١٣٧٦هـ، ج ١٣، ص ٢١٤.

المصادر والمراجع

- * آثار ابن المقفع: ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٩م.
- * اختيار مصباح السالكين: ابن ميثم البحراني (ت ٦٨٩هـ) تحقيق، الشيخ محمد هادي الاميني، مجمع البحوث الإسلامية ط ١، ١٤٠٨هـ.
- * أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، السيد مهدي الصدر، دار الكتاب الإسلامي.
- * أصول تزكية النفس وتوحيدها: السيد محمد باقر السيستاني، دار المؤرخ العربي، ط ١، ٢٠١٨م.
- * الأمالي، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) مركز الطباعة والنشر مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤١٧هـ.
- * البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٨م.
- * التذكرة الحمدونية: ابن حمدون (ت ٥٦٢هـ) تحقيق، احسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
- * الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة: الشيخ الشهيد الأول (ت ٧٨٦هـ) انتشارات زائر، ط ١، ١٣٧٩ش.
- * الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) دار الكتب الإسلامية.
- * الكواكب الدرية على الحقائق الوردية: الشيخ عبد المجيد الخاني النقشبندي (ت ١٣١٨هـ)، تحقيق، محمد خالد الخرسة، دار البيروقي.
- * المختار من مناقب الأخيار: ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق، مأمون الصاغري، مركز زايد للتراث والتاريخ ط ١، ١٤٢٤هـ.
- * الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.
- * النجم الثاقب في أحوال الحجة الغائب: الميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ) تحقيق السيد ياسين الموسوي، انوار المهدي، ط ١، ١٤١٥هـ.
- * بحار الأنوار، العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ) تحقيق، محمد باقر البهبودي، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- * بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد تقي التستري، مؤسسة انتشارات امير، ط ١، ١٣٧٦هـ.
- * تاريخ بغداد: الحافظ أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.
- * تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) تحقيق، علي شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ.
- * تحف العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحراني (قرن ٤) تصحيح: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٤هـ.
- * تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) منشورات الشريف الرضي، قم - إيران، ط ١، ١٤١٨هـ.
- * جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين البروجردي (ت ١٣٨٣هـ) منشورات مدينة العلم، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- * حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) دار ام القرى القاهرة - مصر.
- * حياة الإمام الحسن بن علي (عليه السلام): الشيخ باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣هـ) دار البلاغة - بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ.
- * ربيع الابرار ونصوص الاخبار: أبو القاسم

المجلدي (ت ١١١١هـ) دار الكتب الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ .

* مستدرک نهج البلاغة، الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١هـ) منشورات مكتبة الاندلس .
* مسند الإمام الصادق (عليه السلام) : الشيخ عزيز الله العطاردي، الناشر عطار د - طهران ، ط ١ ، ١٣٨٤ ش .

* مسند الإمام علي (عليه السلام) : السيد حسن القبانجي، تحقيق الشيخ طاهر السلامي، مؤسسة الاعلمي، بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٤٢١هـ .
* مشكاة الانوار في غرر الاخبار: علي بن الحسن الطبرسي (ت ق. ٧هـ) تحقيق، مهدي هوشمند، دار الحديث ، ط ١ .

* مصادر نهج البلاغة وأسانيده: السيد عبد الزهراء الحسيني ، دار الزهراء، بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٤٠٩هـ .

* معجم الاحاديث المعتبرة: الشيخ محمد آصف المحسن (ت ١٤٤٠هـ) الناشر، اديان ، قم - ايران، ط ١ ، ١٤٣٤هـ .

* من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ .

* منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي، نشر المكتبة الإسلامية، ١٤٠٦هـ .
* نهج البلاغة: محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) تحقيق، صبحي الصالح، ط ١ ، ١٩٦٧ م .

* وسائل الشيعة : الحر العاملي ، تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، ط ٥ ، ١٩٨٣ م .
* ينابيع الحكمة، عباس الإسماعيلي اليزدي، الناشر مسجد جملكران، قم - ايران، ط ٥ ، ١٤٢٨هـ .

محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق، عبد الأمير مهنا، مؤسسة الاعلمي - بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٤١٢هـ .

* رسالة في حجية الظن، محمد بن محمد ابراهيم الكلبي (ت ١٣١٥هـ) ط ١ ، ١٤١٧هـ .

* روض الرياحين في حكايات الصالحين: عبد الله بن اسعد اليافعي اليمني (ت ٧٦٨هـ) مكتبة زهران ، القاهرة - مصر، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .

* شرح أصول الكافي: محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ) ضبط وتصحيح، السيد علي عاشور، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٤٢١هـ .

* شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ) تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر مؤسسة اسماعيليان للطباعة .

* شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراي (ت ٦٧٩هـ) تحقيق، عدة من الافاضل، مركز النشر في مكتب الاعلام الإسلامي قم - ايران، ط ١ ، ١٣٦٢ ش .

* عيون الاخبار: ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط ٣ ، ١٤٢٤هـ .

* في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ) انتشارات كلمة الحق، ط ١ .
* قاموس الرجال ، الشيخ محمد تقى التستري (ت ١٤١٥هـ) مؤسسة النشر الإسلامي ، قم - ايران، ط ٢ ، ١٤١٠هـ .

* محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق، عمر فاروق طباع، دار الارقم بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٤٢٠هـ .

* مرآة العقول في شرح أخبار الرسول: محمد باقر



Reference

- al-Arbly, A.E. (2015). **Kashful Ghumma**, V.2. Beirut: Darul Dawa`a.
- (al-Hamshary (2019
- al-Harrani, A.A.S. (2000). **Tuhaful Uqoul**. Qum:Ansaryan Republic.
- al-Majlisi, M.B. (1983). **Baharul Anwar**, V.77-78. Beirut: Daru Ehya`a al-turathul Arabi.
- al-Qummi, A. (1984). **Safinatul Bihar**. Qum: Frahani.
- Bucholtz, M. (2003). Theories of Discourse as Theories of Gender: Discourse Analysis in Language and Gender Studies. **The Handbook of Language and Gender**. London: Blackwell Publishing.
- Crystal,D. (2008).**A Dictionary of Linguistics and Phonetics**. London: Blackwell Publishing.
- Hyland, K. (2005). **Metadiscourse: Exploring Interaction in Writing**. London: Continuum.
- Hyland, K. & Tse, P. (2004). Metadiscourse in academic writing: A reappraisal. **Applied Linguistics**. Vol. 25(2), 156–177.
- Kohnen, T. (2010). Religious Discourse in Andreas H. Jucker, Irma Taavitsainen. **Historical Pragmatics**. 379– 417
- Mahmood, I.I. and Kasim,Z.B. (2019). Interpersonal Metadiscursive Features in contemporary Islamic Friday Sermon. In **The Southeast Asian Journal of English Language Studies** – Vol 25(1): 85 – 99
- Malmström, H. (2016). Engaging the congregation: The place of metadiscourse in contemporary preaching. **Applied Linguistics**. Vol. 37(4), 561–582.
- Oskouei, L.K. (2013). Propositional or non-propositional, that is the question: A new approach to analyzing ‘interpersonal metadiscourse’ in editorials. In **Journal of Pragmatics**, V.47, pp.93-107.
- Simon, H. and Murphy, S. (2006). Spoken Strategies and Reading Interaction. In Gumperz. **The Social Construction of Literacy**. London: Cambridge University Press.
- Sinclair, J (1981). Plans of Discourse. In S. Rizvi (ed). **The Two-Fold Voice: essay in honor of Ramesh Mohan**. Salzburg: Salzburg University Press, 70-89
- Swales, J. (2004). **Research Genres**. New York: Cambridge University Press.
- Van Dijk, T. (2006). Ideology and Discourse Analysis. In **Journal of Political Ideologies**, 11(2), 115-140. London: Rutledge.





ers can grasp the cause of the narrated instructions.

3. Interactional markers are most widely used than interactive markers in the selected texts by Imam al-Hasan, peace be upon him. They helps the speaker to commit on the views and to give his attitudes towards what he presents of instructions. They provide the speaker the needed space to react towards the propositions presented.

Mainly, engagement markers are the most used interactional categories in the selected texts. They function as connectors of the speaker-listener relation by the direct addressing. They qualifies the speaker to identify his attitudes as well as to include the listener into the salient points.

Furthermore, attitude markers provides the speaker`s orientation towards important topics. The speaker is able to express his attitudes such as obligation, surprise, agreement, and so forth.

Finally, the use of numbers and names exposes a wide distinction. It makes the attitudes more objective and acceptable.





بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

(13) There is a distance of four fingers between the right & false hood (eyes & ears).

مَنْ أَدَامَ الْاِخْتِلَافَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَصَابَ إِحْدَى ثَمَانٍ.

(14) The one who continues his visits (going & coming) to the mosque does lay his hand upon one of eight benefits.

By the use of frame markers, the speaker aims to articulate that the topic of the text is made up of sequences and stages. For example “زيارة المسجد visiting the mosque” enables the visitor to get eight benefits. Such numbering stimulates the listener to dig deeply in interpretation.

Evidentials are used to express the speaker's reaction to his own vocal dominance and his being the sole voice in the text. For example, the speaker says:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ كَلَامَهُ.

(15) Praise to Allah who hears the conversation of so ever talks.

مَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ.

(16) Who so ever dies his resurrection is with Allah.

Code glosses and endophoric markers are not used in the selected texts since they are verbal texts while the two mentioned categories of markers are widely used in written texts.

5. Conclusion

Discussing the inquiries that are arose as a problem of the study arrives at the following conclusions:

1. Metadiscourse analysis plays an important role in the preaching of Imam Hassan, peace be upon him which is provided in the selected texts. These practices are interactional and interactive to address distinct goals and expectations that arouse the listener's curiosity and attract his insight into their meanings. Therefore, the use of different categories of metadiscursive markers prepares the listener for these goals.

2. Interactive markers function as directives by which the speaker guides his listeners through the texts. The dominance of transition markers enables the speaker to manage his content and aids the listeners to understand the speaker's preferred orientation of the favourable interpretation. In addition, transition markers function to organize the texts and clarify the content presented. As a result, listen-





Frame markers are used 10 times and amount 12.8%. Evidentials are used 9 times and amount 11.5%. Code glosses and endophoric markers are not used at all.

The whole occurrence of interactive markers in the selected texts are shown in table 18 and figure 3 below:

Table 18: Interactive Markers in the Selected Texts

Interactive Markers	Occurrence	Percentage
Code Glosses	-	0.0%
Endophoric Markers	-	0.0%
Evidentials	9	11.5%
Frame Markers	10	12.8%
Transition Markers	59	75.6%
Total	78	100%

Figure 3: Interactive Markers in the Selected Texts

Transition markers in the selected texts are mostly depicted by the use of the conjunctive “And”, which occur 44 times. Such marker provides the listener an opportunity to enter the text deeply. For example:

الجُبْنُ الْجُرْأَةُ عَلَى الصَّدِيقِ وَالنُّكُولُ عَنِ الْعَدُوِّ.

.Cowardice is to have courage upon friend &. recoiling from the enemy (10)

The speaker uses “and” to permit the listeners enter the text deeply by discovering more about the real meaning of “cowardice”. He open more horizons for them to know that cowardice is not merely conflicting the friend, but also recoiling the enemy.

The speaker uses “فعلیه so upon” as a transition marker in the following example:

وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ.

(11) Whoever lives, so his sustenance is upon Allah.

The speaker aims to reassure the understanding of the listener as well as introduce a momentary and effective pause in the flow of the sermon.

As concerned with frame markers, the speaker uses “ثم Then”, as in:

فَأَخَهُ.

(12) Then acquire his company.

In addition, the speaker uses numbers, as in the following examples:





ers. Consequently, he fulfills two aims: expressing his attitude as well as practicing his authority upon the listener.

On the other hand, he may lead the listener to avoid negative matters, as in the following examples:

الكِبَرُ هلاكُ الدِّينِ.

(6) Arrogance is the cause of destruction of the religion.

الجِرْصُ عَدُوُّ النَّفْسِ.

(7) Greed is the enemy of soul.

The other interactional markers are boosters, self-mention, and hedges. Boosters are used as in the following examples:

مَنْ سَكَتَ عَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ.

(8) If he remains silent (then) He knows whatever is there in his interior.

يَا بُنَيَّ لَا تُؤَاخِ أَحَدًا حَتَّى تَعْرِفَ مَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ.

(9) Oh my son! do not become the companion of anyone, but when you come to know about the places he comes & goes to (visits).

The use of “تعرف know” in 8&9 shows that boosters enable the speaker to exclude options and express certainty in the instructions that he aims to pass. In 9, the speaker uses “know” to focus on the characteristics of the companion that a person may follow.

Through the use of self-mention markers, as in “يا بني Oh, my son” and “عجبت I surprised”, the speaker expresses his presence as well as a direct attempt of persuasion. The use of “Oh, my son” is goaled to attract attention to what follows, so the listener is forced to be aware thoroughly. In addition, the use of the first person pronoun “I” expresses the speaker`s sensitivity towards involving the listeners in the argument.

Last, but not least, the speaker uses hedges such as “قد may”, “جدا quite”, and “كثير much”. Such hedges encourage listeners to offer alternative interpretations. Furthermore, they recognize doubt among listeners.

4.3.2 Analysis of Interactive Markers in the Selected Texts

Observing interactive markers in the selected texts illustrate that transmission markers are the most prominent markers which occur 59 times and amount 75.6%.





Figure 2: Interactional Markers in the Selected Texts

The prominence of engagement markers shows that Imam al-Hasan, peace be upon him, directly address and draw attention of the listeners (readers). For example:

مَا رَأَيْتَ بَعَيْنِكَ

(1) What you saw with your eyes is right.

قَدْ تَسْمَعُ بِأُذُنِكَ

(2) You may hear through your ears.

In (1), the use of the engagement markers “أنت You” and “يا التملك Your” fulfills the listener’s expectations of engagement and participation in the sermon. In addition, the use of the second person “You”, speakers simultaneously engage listeners to participate directly.

In (2), the speaker employs the rhetorical position of the listener through emphasizing a certain fact by the use of “تسمع بأذنك hear through your ears”. Accordingly, He aims to express his potential attitudes and explain some critical points.

Besides, Imam al-Hasan, peace be upon him, uses engagement markers to reveal both his authority, as a speaker of a sermon, as well as engaging the listener, as in the following example:

لَا تَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ اتَّكِلِ الْمُسْتَسْلِمَ

(3) Do not depend upon destiny like those who surrender to it

Obviously, the use of “اتكّل على depend on” obliges the listener to participate by following the coming complement of the utterance. Such engagement marker reflects the speaker’s authority.

As associated with attitude markers, the speaker, peace be upon him, either aims to enhance a positive matter or to warn from a negative one. In the following examples:

أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْحَيْرِ مَذْهَبُهُ.

(4) The most sighting eye is the one which penetrates (views) into the blessings.

أَسْلَمَ الْقُلُوبِ مَا طَهَّرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ.

(5) The healthiest of hearts is the heart which is pure from doubts.

The speaker use the attitude marker “Is” to transmit his attitude that the good deeds and the kind hearts are positive matters which must be kept by the listen-



Table 16: Metadiscourse Markers in the Selected Texts

Metadiscourse Markers	Occurrence	Percentage
Interactive Markers	78	46.4 %
Interactional Markers	90	53.5 %
Total	168	100 %

Figure 1: Metadiscourse Markers in the Selected Texts

Religious sermons and instructions, including the sermons and commandments of Imam Hassan, peace be upon him, are immediate, face-to-face communication. Adel (2012,p.98-124) believes that such sermons depend on interactional metadiscourse markers more than interactive ones. In addition, Van Setters (1991,p.269) believes that religious sermons differ from sermons directed through traditional topics that are not preachy. Interactional resources serve this purpose more didactic than interactive markers, so they are frequently employed in an attempt to pass the semantic meaning deeper.

4.3.1 Analysis of Interactional Markers in the Selected Texts

Analyzing interactional markers in the selected texts show that engagement markers are the most prominent markers which occur 44 times and amount 48.8%. Attitude markers are used 23 times and amount 25.5%. Boosters are used 15 times and amount 16.6%. Hedges are used 6 times and amount 6.6%. Then, self-mention markers are used no more than two times and amount 2.2%.

The whole occurrence of interactional markers in the selected texts are shown in table 17 and figure 2 below:

Table 17: Interactional Markers in the Selected Texts

Interactional Markers	Occurrence	Percentage
Attitude Markers	23	25.5%
Boosters	15	16.6%
Engagement Markers	44	48.8%
Self-Mention	2	2.2%
Hedges	6	6.6%
Total	90	100%



Text No.14

الجُبْنُ الْجُرْأَةُ عَلَى الصَّدِيقِ وَالنُّكُولُ عَنِ الْعَدُوِّ (al-Harrani,2000,p.225).

Table 14: Metadiscourse Markers of Text No.14

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
و	And	Transition Marker
الجُبْنُ الْجُرْأَةُ عَلَى الصَّدِيقِ	Fear is to have courage upon friend	Attitude Marker
نكول عن	Recoiling from	Engagement M.
علي	have upon	Engagement M.

Analyzing text No. 14 indicates that there are four metadiscourse markers. Interactive markers are used by the lonely use of “And” as a transition marker. Interactional markers are used by two uses of engagement marker and the lonely use of an attitude marker.

Text No.15

الْمُرُوَّةُ فِي حِفْظِ الدِّينِ، وَإِعْزَازِ النَّفْسِ وَلَيْنِ الْكَنَفِ، وَتَعَهُدُ الصَّنِيعَةِ، وَأَدَاءُ الْحَقُوقِ (al-Majlisi,1983,p.102).

Table 15: Metadiscourse Markers of Text No.15

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
و	(And (4	Transition Marker
الْمُرُوَّةُ فِي حِفْظِ الدِّينِ	Generosity is to secure the religion	Engagement M.
يَحْفَظُ	Secure	Engagement M.
اعزاز	Respect	Engagement M.
تعهد	Permanency	Engagement M.
أداء	Discharge	Engagement M.

In text No.15, there are five cases of interactional markers which all are engagement markers. On the other hand, interactive markers occur no more than one time which is a transition marker.

4.3 Results and Discussion

Analyzing the metadiscourse markers in the fifteen selected texts of Imam al-Hasan, peace be upon him, reveals that interactional markers are the most used than interactive markers. Interactional markers occur 90 times and amount 53.5%. Interactive markers are used 78 times and amount 46.4%, as illustrated in table 16 and figure 1 below:



ثلاث	Three	Frame Marker
(يتتبع) هلاك الناس (من)	Result in	Transition Marker

Obviously, there are only 5 metadiscourse markers in text No.11. There are 4 interactive markers which are 3 transition markers and one frame marker. Interactional markers are resembled by the lonely occurrence of an attitude marker.

Text No.12

خَيْرُ الْغِنَى الْقَنُوعُ وَشَرُّ الْفَقْرِ الْخُصُوعُ (al-Majlisi,1983,p.113).

Table 12: Metadiscourse Markers of Text No.12

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
و	And	Transition Marker
خَيْرُ الْغِنَى الْقَنُوعُ	The best wealth is contentment	Attitude Marker
شَرُّ الْفَقْرِ الْخُصُوعُ	The worst poverty is humility	Attitude Marker

In text No.12, there are only three metadiscourse markers. There are one transition marker, one attitude marker, and one frame marker.

Text No.13

الْمِرَاحُ يَأْكُلُ الْهَيْبَةَ، وَقَدْ أَكْثَرَ مِنَ الْهَيْبَةِ الصَّامِتُ (al-Majlisi,1983,p.113).

Table 13: Metadiscourse Markers of Text No.13

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
و	And	Transition Marker
الْمِرَاحُ يَأْكُلُ الْهَيْبَةَ	Humour removes the appalling appearance	Attitude Marker
وَقَدْ أَكْثَرَ مِنَ الْهَيْبَةِ الصَّامِتُ	The silent person has got much of appalling appearance.	Attitude Marker
يَأْكُلُ الْهَيْبَةَ	<u>Removes</u> the appalling appearance	Engagement M.
أَكْثَرَ	Has got <u>much</u> of	Hedges

Analyzing text No. 13 illustrates that there are five metadiscourse markers. Interactive markers are resembled by the lonely use of “And” as a transition marker. Interactional markers are resembled by two uses of attitude markers and one use of both engagement marker and hedges.



يودع	Store	Engagement M.
كيف لا	How he does not	Engagement M.

According to table 9 above, there are 12 uses of metadiscourse markers. Interactive markers do not occur more than one time which is a frame marker "Over". On the other hand, interactional markers occur 11 times. Engagement markers occur 9 times. Self-mentioned markers and attitude markers occur one time each.

Text No.10

لا آدَبَ لِمَن لاَ عَقْلَ لَهُ، وَلَا مُرُوَّةَ لِمَن لاَ هِمَّةَ لَهُ وَلَا حَيَاءَ لِمَن لاَ دِينَ لَهُ (Kashful Ghumma,2015,p.197).

Table 10: Metadiscourse Markers of Text No.10

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
و	(And (2	Transition Marker
لِمَن	The one who (3)	Engagement M.
لا	Does not (3)	Transition Marker
لا	There is no (3)	Transition Marker
لا آدَبَ لِمَن لاَ عَقْلَ لَهُ	The one who does not have intelligence does not have decorum	Attitude Marker
لا مُرُوَّةَ لِمَن لاَ هِمَّةَ لَهُ	The one who lacks fortitude, does not have generosity	Attitude Marker
لا حَيَاءَ لِمَن لاَ دِينَ لَهُ	The one who does not possess shame does not have religion	Attitude Marker



Analyzing the metadiscourse in text No. 10 shows that they occur 14 times. Interactive markers occur 8 times and all of them are transition markers. Differently, interactional markers occur 6 times that vary into 3 engagement markers and 3 attitude markers as well.

Text No.11

هَلَاكُ النَّاسِ فِي ثَلَاثَ: الْكِبْرُ وَالْجِرْصُ وَالْحَسَدُ (al-Majlisi,1983,p.111).

Table 11: Metadiscourse Markers of Text No.11

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
و	(And (2	Transition Marker
هَلَاكُ النَّاسِ فِي ثَلَاثَ	The annihilation of people lies in three things	Attitude Marker





اعلموا	(You) know	Engagement M.
اعلموا	(You) <u>know</u>	Booster
الله	Allah (2)	Evidential M.
انه	The one who	Frame Marker
الذين	Those who	Engagement M.
يتق	Fears	Booster
يُجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا	Paves his way of salvation	Booster
يُسَدِّدُهُ	Makes him firm	Booster
يَهْدِيهِ لَهُ	Provides him	Booster
يُفْلِحُهُ بِحُجَّتِهِ	Makes his proof	Booster
يُبَيِّضُ وَجْهَهُ	Enlighten his face	Booster
يُعْطِهِ رَغْبَتَهُ	Grants him what he desires	Booster

Table No.8 shows that there are 21 uses of metadiscourse markers. Interactive markers occur 11 times and interactional markers occur 10 times. As associated with interactive markers vary into transition markers that occur 9 times, and frame markers and evidential markers occur one time each. On the other hand interactional markers vary into boosters which occur 8 times, and engagement markers which occur two times.

Text No.9

عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَفَكَّرُ فِي مَأْكُولِهِ كَيْفَ لَا يَتَفَكَّرُ فِي مَعْقُولِهِ فَيَجَنَّبُ بَطْنَهُ مَا يُوْذِيهِ، وَيُوْذِعُ صَدْرَهُ مَا يُرْدِيهِ (-) al- (Qummi,1984,p.84

Table 9: Metadiscourse Markers of Text No.9

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
عجبت (أنا)	I	Self-mentioned
عجبت	Surprised	Attitude Marker
لمن	Over	Frame Marker
يتفكر	Think (2)	Engagement M.
مأكوله	His food	Engagement M.
معقوله	His spiritual matters	Engagement M.
بطنه	His stomach	Engagement M.
صدره	His chest	Engagement M.
يتجنب	Avoid	Engagement M.



**Text No.7**

مَنْ أَدَامَ الْاِخْتِلَافَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَصَابَ إِحْدَى ثَمَانٍ: آيَةً مُحْكَمَةً وَأَخَا مُسْتَفَادًا وَعِلْمًا مُسْتَطَرَفًا وَرَحْمَةً مُسْتَظَرَّةً وَكَلِمَةً تَذُلُّهُ عَلَى الْهُدَى أَوْ تُرْذِلُهُ عَنْ رَدَى وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاءً أَوْ خَشْيَةً (al-Harrani,2000,p.235).

Table 7: Metadiscourse Markers of Text No.7

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
و	And (5)	Transition Markers
من	The one	Frame Marker
أدام الاختلاف	Continues his visits	Frame Marker
أصاب	Find	Engagement M.
مَنْ أَدَامَ الْاِخْتِلَافَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَصَابَ إِحْدَى ثَمَانٍ	The one who continues his visits (going & coming) to the mosque does lay his hand upon one of eight benefits	Attitude Marker
احدى	One	Frame Marker
ثمان	Eight	Frame Marker
علما مستطرفا	Fresh knowledge (Know)	Booster
تدله	Leads to	Transition Markers
ترد	Averts from	Transition Markers
ترك الذنوب خشية	Not committing sin for the feat of Allah	Transition Markers

Table No.7 shows that there are 15 uses of metadiscourse markers. Interactive markers occur 12 times and interactional markers occur 3 times. As associated with interactive markers vary into transition markers that occur 8 times and frame markers occur 4 times. On the other hand interactional markers vary into attitude markers , boosters, and engagement markers which occur one time each.

Text No.8

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ وَيُسَدِّدْهُ فِي أَمْرِهِ وَيَهَيِّئْ لَهُ رُشْدَهُ وَيُفْلِحْ بِحُجَّتِهِ وَيُيَسِّضْ وَجْهَهُ وَيُعْطِهِ رَغْبَتَهُ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ (al-Har-rani,2000,p.232).

Table 8: Metadiscourse Markers of Text No.8

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
و	And (9)	Transition Markers



الإجمال في الطلب من العفة	Not being greedy in seeking sustenance is piety	Attitude Marker
ليست العفة ولا الحرص	Neither..... nor	Transition Marker
بدافعة	Repulse	Hedges
بجالب	Attract	Hedges

Metadiscourse markers occur 16 times in text No.5. As associated with interactive markers, they occur 8 times. All of them are transition markers. On the other hand, interactional markers occur 8 times too. Engagement markers occur 4 times. Both hedges and attitude markers occur two times each.

Text No.6

الكبر هلاك الدين و به لعن إبليس، و الحرص عدو النفس و به أخرج آدم من الجنة، و الحسد رائد السوء و منه قتل قابيل هابيل (al-Majlisi,1983,p.111).

Table 6: Metadiscourse Markers of Text No.6

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
الكبر هلاك الدين	Arrogance is the cause of destruction	Attitude Marker
به لعن إبليس	Satan was cursed due to it	Attitude Marker
الحرص عدو النفس	Greed is the enemy of soul	Attitude Marker
به أخرج آدم من الجنة	Adam was expelled by it	Attitude Marker
الحسد رائد السوء	Jealousy is the guide to wickedness	Attitude Marker
منه قتل قابيل هابيل	Qabil (Cain) killed Abel	Attitude Marker
و	And (5)	Transition Markers
ابليس	Satan	Evidential
آدم	Adam	Evidential
قابيل	Qabil	Evidential
هابيل	Abel	Evidential
به لعن إبليس	Satan was cursed due to it	Transition Markers
به أخرج آدم	Adam was expelled by it	Transition Markers
منه قتل قابيل	For the same reason Qabil killed	Transition Markers

Analyzing metadiscourse markers in text No.6 shows that they occur 14 times. Interactive markers occur 8 times. Transition markers and evidential markers occur 4 times each. Interactional markers occur 6 times. All of them are attitude markers.



ما رَأَيْتَ بعينيك فَهُوَ الْحَقُّ	What you saw with your eyes that is right	Attitude Marker
رَأَيْتَ (أنت)	You	.Engagement M
تسمع (أنت)	You	.Engagement M
بعينيك (أنت)	Your	.Engagement M
رَأَيْتَ بعينيك	Saw with your eyes	Booster
قد	May	Hedges
(ب) عَيْنِكَ	<u>with</u> your eyes	.Engagement M
(ب) أذْنِكَ	<u>through</u> your ears	.Engagement M
فَهُوَ	<u>That</u> is	.Transition M
رَأَيْتَ	You <u>saw</u>	.Engagement M
كثيراً	Quite	Hedges

There are 14 metadiscourse markers in text No.4. Interactive markers occur 4 times that vary into three transition markers and one frame marker. Interactional markers occur 10 times: 6 engagement markers, 2 hedges, one booster and one attitude marker.



Text No.5

لَا تُجَاهِدِ الطَّلَبَ جِهَادَ الْغَالِبِ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ اتِّكَالَ الْمُسْتَسْلِمِ، فَإِنْ ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ السُّنَّةِ، وَالْإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ مِنَ الْعِفَّةِ، وَلَيْسَتْ الْعِفَّةُ بِدَافِعَةٍ رِزْقاً وَلَا الْحِرْصُ بِجَالِبٍ فَضْلاً (al-Harrani, 2000, p.233).

Table 5: Metadiscourse Markers of Text No.5

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
و	And (4)	Transition Markers
لا تجاهد	Do not struggle	.Engagement M
لا تتكل	Do not depend	.Engagement M
تجاهد (أنت)	You	.Engagement M
تتكلم (أنت)	You	.Engagement M
تتكلم على	Depend on	Transition Marker
اتكال المستسلم	Like those who surrender to it	Transition Marker
فان	Because	Transition Marker
ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ السُّنَّةِ	Seeking the grace (of God) is a Sunnah (tradition)	Attitude Marker



interactional markers results that they occur 9 times that vary into 6 engagement markers, one booster marker, one attitude marker, and one self-mention marker.

Text No.3

إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ مَذْهَبُهُ وَأَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكَيرَ وَانْتَفَعَ بِهِ، أَسْلَمَ الْقُلُوبِ مَا طَهَّرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (al-Harrani,2000,p.235).

Table 3: Metadiscourse Markers of Text No.3

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
أَبْصَرَ	The most sighting eye	Booster
أَسْمَعَ	the most auditory ear	Booster
أَسْلَمَ	The healthiest of hearts	Booster
أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ مَذْهَبُهُ	The most sighting eye is <u>the one which</u> penetrates (views) into the blessings	Attitude Marker
وَأَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكَيرَ وَانْتَفَعَ بِهِ	The most auditory ear is the one which comprehends & gets benefitted by it.	Attitude Marker
أَسْلَمَ الْقُلُوبِ مَا طَهَّرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ.	The healthiest of hearts is the heart which is pure from doubts.	Attitude Marker
و	And (2)	Transition Markers

Analyzing text No.3 reveals that there are 8 metadiscourse markers. Interactive markers occur 2 times. Both are transition markers. Interactional markers occur 6 times: 3 boosters and 3 attitude markers.

Text No.4

بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ أَرْبَعُ أَصَابِعَ، مَا رَأَيْتَ بَعَيْنِيكَ فَهُوَ الْحَقُّ وَقَدْ تَسَمَّعَ بِأُذْنِيكَ بِاطِلًا كَثِيرًا (al-Har-rani,2000,p.229).

Table 4: Metadiscourse Markers of Text No.4

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
و	And (2)	Transition Markers
أَرْبَعُ	Four	Frame Marker



يعلم	knows	Boosters
نفسه	his interior	Engagement M.
رزقه	his sustenance	Engagement M.
معاده	his resurrection	Engagement M.
اليه	with Allah	Engagement M.
كلامه	of who so ever talks	Engagement M.
فعليه	So upon	Transition Markers

According to table No.1, there 15 observed metadiscourse markers. Interactive markers occur 8 times vary into four evidential markers and four transition markers. On the other hand, interactional markers occur 7 times that vary into five engagement markers, one booster marker, and one hedges.

Text No.2

يَا بُنَيَّ لَا تُؤَاخِ أَحَدًا حَتَّى تَعْرِفَ مَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ فَإِذَا اسْتَنْبَطْتَ الْخَبْرَةَ وَرَضِيتَ الْعِشْرَةَ فَأَخِهِ عَلَى إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ وَالْمُوَاسَاةِ فِي الْعُسْرَةِ (al-Harrani,2000,p.233).

Table 2: Metadiscourse Markers of Text No.2

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
بني	My son	Self-mention
لا تؤاخي	Do not become the companion	.Engagement M
حتى	But	Transition Marker
تعرف	know	Boosters
موارده	Places he goes to	.Engagement M
و	And (3)	Transition Markers
فإذا	After	Transition Marker
استنبطت	Observed	.Engagement M
(أنت)	You (2)	.Engagement M
رضيت	Agreed	.Attitude M
فأخه	<u>Then</u> acquire his company	.Frame M
على إقالة العثرة	<u>On the basis of</u> forgiving the faults	Transition Marker
على إقالة العثرة	On the basis of <u>forgiving</u> the faults	.Engagement M

Obviously,, there are 16 metadiscourse markers in text No.2. Interactive markers occur 7 times that vary into 6 transition markers and one frame marker. Observing



3. Boosters, which emphasize force or speaker`s certainty in proposition, such as **“in fact, it is clear that, think”**.

4. Attitude markers, which express the speaker`s attitude to proposition, such as **“I agree, unfortunately, surprised ”**.

5. Self-mention markers, which explicit reference to speaker, such as names and **“I, my, our”**.

4. Data Collection and Analysis

4.1 Data Collection

Data under scrutiny is composed of 15 selected texts of the second Imam al-Hasan, peace be upon him, who is the second Imam of the Shiites and the grandson of the Prophet, peace be upon him and his household. The texts are taken from worthy Shiite books such as: al-Majlisi (1983), al-Harrani (2000), al-Arbly (2015), and al-Qummi (1984).

The selected data is analyzed qualitatively, then there is a quantitative analysis that is used to enhance the outcomes empirically.

4.2 Analysis Metadiscourse Markers of the Selected Texts

Text No.1

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَن تَكَلَّمَ سَمِعَ كَلَامَهُ، وَمَن سَكَتَ عَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ، وَمَن عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَن مَاتَ فِإِلَيْهِ مَعَادُهُ (al-Majlisi,1983,p.112).

Table 1: Metadiscourse Markers of Text No.1

Metadiscourse Markers	Translation	Categorization
الحمد لله	Praise is for Allah	Hedges
و	And (3)	Transition Markers
مَن تَكَلَّمَ سَمِعَ كَلَامَهُ	<u>Who</u> hears the conversation of so ever talks	Evidential Markers
مَن سَكَتَ عَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ	<u>If</u> he remains silent (then) He knows whatever is there in his interior	Evidential Markers
مَن عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ	<u>Whoever</u> lives, his sustenance is upon Allah	Evidential Markers
مَن مَاتَ فِإِلَيْهِ مَعَادُهُ	<u>Who</u> so ever dies his resurrection is with Allah	Evidential Markers



3. Hyland`s (2005) Model of Metadiscourse

The current study adopts Hyland`s (2005) model of metadiscourse. Such model is widely attested in applied linguistics research and operates with a taxonomy of metadiscourse categories. Hyland (2005,p.38) supposes three main principles for metadiscourse:

1. Metadiscourse is distinct from propositional aspects of discourse.
2. Metadiscourse refers to aspects of the text that embody writer (speaker)-reader (listener) interaction.
3. Metadiscourse refers only to relations which are internal to the discourse.

Hyland and Tse (2004,p.169) believe that metadiscourse categories are divided into two main groups of rhetorical items (markers) according to their different functions to perform. Hence, they are: interactive resources and interactional resources.

3.1 Resources

According to Hyland and Tse (2004,p.169), interactive resources are subdivided into the following categories:

1. Transition markers, which express semantic relation between utterances, such as **“and, in addition, but, thus”**.
2. Frame markers, which refer to discourse acts, sequences, or discourse stages, such as numbers and **“finally”**.
3. Endophoric markers, which refer to information in other parts of the discourse, such as **“noted above, in section 2”**.
4. Code glosses, which help listeners grasp functions of ideational material, such as **“such as, e.g, namely”**.
5. Evidentials, which refer to source of information in other parts of the discourse, such as names and **“according to”**.

3.2 Interactional Resources

According to Hyland and Tse (2004,p.169), interactional resources are subdivided into the following categories:

1. Engagement markers, which explicitly refer to or build relationship between the speaker and the listener and the listener and the topic, such as **“that, you, your, see”**.
2. Hedges, which withhold speaker`s full commitment to proposition, such as numbers and **“perhaps, about”**.





study discusses the metadiscursive markers of fifteen selected texts said by Imam al-Hasan, peace be upon him. The study raises the following questions as its problem of research: How do metadiscourse markers aid to clarify the supposed relation between the speaker and the listeners? How do interactive markers play a role in guiding listeners into the text?, and how do interactional markers help to engage the leader to participate to the discourse?

The value of the study is illustrating the relation of the speaker and the listeners through his words, showing the great role of interactive markers in guiding the listeners to the instructions of the texts, and revealing the role of the interactional markers to involve both the speaker and the listener in interpreting the meaning of the presented instructions.

2. Metadiscourse

The concept of metadiscourse is related to different syntactic and functional features (Oskouei, 2013, p.94). It is first used by Harris in 1959 to provide a better understanding of written as well as spoken discourses (Hyland, 2005, p.3). Harris (1959) defines metadiscourse as "those passages of a text which contain information of a secondary importance" (Oskouei, 2011, p.54). Swales (2004, p.121) adds that metadiscourse aims to analyze evolving the text rather than to analyze the topic of the discourse.

On the other hand, Hyland (2005, p.3-4) considers the concept of metadiscourse helps to provide the user of language to choose the interactional participation and to negotiate about the effect that the writer (speaker) owns upon the reader (listener).

Bucholtz (2003, p.59) indicates that metadiscourse is not on discourse itself, but about discourse. But, Sinclair (1981, p.62) believes that metadiscourse is a second plan that is distinguished from the propositional content that marks the information to the reader (listener). According to him, such plan consists of non-propositional dimensions of the text which mainly work as instructions that make a relation between the writer (speaker) and his/her readers (listeners).

Furthermore, Hyland and Tse (2004, p.63) admit that metadiscourse is an important factor that "creates a bond between the text and the context". Simon and Murphy (2006, p.223) suppose that metadiscourse is "signaling device that a writer uses to guide readers navigate written texts."





1. Introduction

Religious sermons provide people with ideologies related to the rules of practical behaviour, therefore, they are a reward for religion, especially if they are said by one of the infallible imams, peace be upon them.

The term ideology is a social term for shared representations by group members and is used to accomplish daily social practices in the form of representation and communication (van Dijk, 2006, p.115). Studies of discourse analysis or metadiscourse analysis present the speaker's coherent belief system or intellectual ideology through his/her use of linguistic units. Kohnen (2010, p.523) indicates that an analysis of religious discourse offers the possibility of creating a fascinating and continuous picture of the development of pragmatic phenomena across centuries".

Many studies discuss religious discourses to analyze their "features in the organization or presentation of a text which help the listener to interpret its content" (Crystal, 2008, p.302). Malmstorm (2014) conducts a study to discuss the place of metadiscourse in Christian contemporary preaching. He (2014, p.1) concludes that most forms of preaching sermons raise the role of the listeners to be active participants in understanding the meanings of the sermon as a form of social and communicative participation.

In addition, al-hamshary (2019) presents an analysis of the religious discourse and Islamic identity in Sheikh al-Azhar Dr. Ahmed al-Tayeb's sermon on the occasion of the prophet's birth. She (2019, p.426) sheds light on how the speaker uses linguistic units to present his instructions and how he reformulates Islamic identity. Her study (2019, p.444) concludes that the background of a speaker has a great role in the intention to receive his right message.

Furthermore, Mahmood and Kasim (2019) discuss Interpersonal metadiscursive features in contemporary Islamic Friday Sermon. They (2019, p.97) believe that "The descriptive analyses of the situation of metadiscourse in Islamic Friday sermons revealed that metadiscourse markers are indispensable rhetorical features in the discourse of Islamic sermon."

Yet, there is a clear gap in discussing the metadiscursive markers of ancient religious texts, especially of the prophet and his household, peace be upon them all. The recent



ملخص البحث

يؤدي الشكل اللغوي للخطاب دوراً رئيساً في سياقات الاقناع. كما أن لها تأثير حيوي على ادراك المتلقي. ويعتاد علماء اللغة على دراسة تلك الأشكال ومدى ملائمتها مع الأهداف المعرفية التي يريد المتكلم أو الكاتب إيصالها للمتلقي. يمكن تعريف ما وراء الخطاب بأنه الطريقة التي ينظم بها الكتاب نصوصهم ويوجهون قرائهم نحو نواياهم ووجهات نظرهم. إن هذه الدراسة تقدم تحليلاً لعلامات ما وراء الخطاب في خطب مختارة للإمام الحسن المجتبي عليه السلام. تحلل الدراسة تلك الخطب بكونها مكتوبة حتى تضع يداً على العامل الحيوي الذي يؤديه الشكل اللغوي للخطاب الديني لتحسين طريقة عرض المحتوى. تهدف الدراسة لفحص وتوزيع المصادر الفعالة والتفاعلية فيما يتعلق بالبعدين الفعال والتفاعلي ونوع البيانات المقدمة بوصفها إرشادات دينية. كما تهدف لمعرفة التأثير العملي لتطبيق فئات ما وراء الخطاب المختلفة على الخطاب الديني. لتحقيق هذه الأهداف، تفترض الدراسة أن هناك استخداماً متميزاً لعلامات ما وراء الخطاب في الخطاب الدينية المختارة. سمات نوع الخطبة الدينية تستلزم استخدام نوعية معينة من علامات ما وراء الخطاب. يعتمد تحليل البيانات المختارة على تصنيف هايلاند (٢٠٠٥) لعلامات ما وراء الخطاب.



Abstract

The linguistic structure of discourse plays a crucial role in persuasive contexts. It also exerts a significant influence on the recipient's understanding. Linguists are accustomed to examining these structures and their alignment with the epistemological goals that the speaker or writer aims to convey to the audience. "Meta discourse" can be defined as the manner in which writers organize their texts and guide their readers towards their intentions and perspectives. This study presents an analysis of metadiscourse markers in selected sermons of Imam Hassan (peace be upon him). The researcher analyzes these sermons as written texts to elucidate the vital role played by the linguistic form of religious discourse in enhancing the presentation of content.

This study aims to investigate and categorize effective and interactive resources pertaining to the pragmatic and interactive dimensions and the nature of data presented as religious guidance. It also seeks to ascertain the practical impact of applying diverse metadiscourse categories to religious discourse. To accomplish these objectives, the study posits that there is a distinctive utilization of metadiscourse markers in the chosen religious sermons. The characteristics of the religious sermon necessitate the use of a specific type of metadiscourse markers. The analysis of the selected data is based on Hyland's (2005) taxonomy of metadiscourse markers.



**Analysis of Metadiscourse Markers in
Some of Imam Al-Hasan Al-Mujtaba`s
Selected Religious Texts**



Asst. Lect. Jaafar Hachim Malih

The Open Educational College/ Center of Thi-Qar

Asst. Lect. Salim Da`da`a Nayif

The General Directorate of Education in Thi-Qar





Title: Academic researches that participating in the activities of the tenth annual international scientific conference on the thought of Imam Hassan Al-Mujtaba

Publisher: Intellectual and Scientific Society of Al-Ameed- Publishing department

General supervision: Aqeel Abdul Hussein Al-Yasiri

Prof. Dr. Shawqi Mustafa Al-Moussawi

Coordination and Execution: Asst. Lect. Dhiea Mohammed Hassan

Technical Administration: Asst. Lect. Ali Razzaq Khudhair

Print Output: Ali AL-Mudaffer - Ahmed Hashem

Number of copies: 250

2024 AD - 1445 AH



ISBN: 978-9922-680-65-1

Deposit number in the House of Books and Documents in Baghdad (1520)